القدس.. واعادة الانتشار

# اليسار

راية المستضعفين فى الأرض

اليسار / العدد الرابع و الستون/ يونيه ١٩٩٥ م / محرم ١٤١٦ هـ / الثمن جنيهان مصريان

## الرأسمالية المصرية ترفع شعار حرية رأس المال واستعباد العامل

خطاب الرئيس بين التغيير وخطر العنف

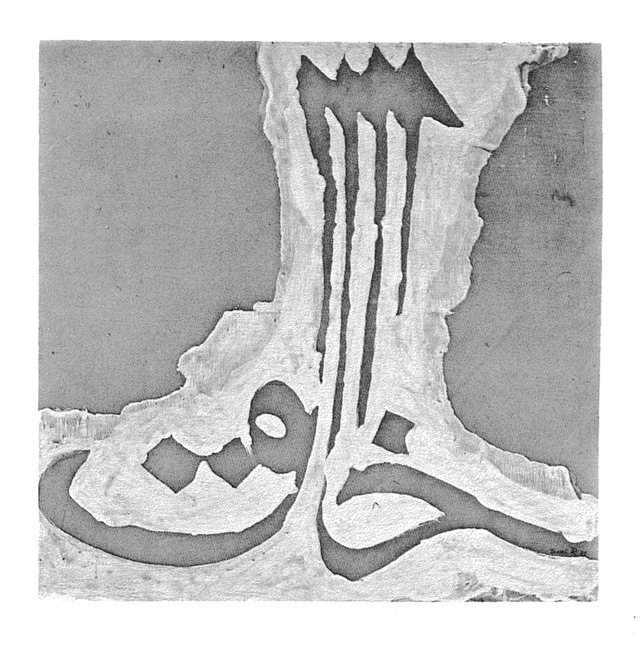
الاختراق الإسرائيلى للزراعة المصرية

الحكم والاخوان البطل والدوبلير

الحرب العربية على جبهة العفاريت

هل ينسق .. التجمع والشيوعيون والناصريون والوفد في انتخابات مجلس الشعب ؟

الميليشيات اليمينية الأمريكية .. خطر على أمريكا والعالم



**الخالق – للفنان سامى رافع**

# فى هذا العدد


** موقفنا
خطاب الرئيس .. التغيير وخطر العنف........................رئيس التحرير ٤
** الجو السياسى
تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى....................................٨
** قضايا ساخنة
الدبلوماسية المصرية .. معركة جسورة بدون أسلحة..........أمينة النقاش ١٠
** مسألة منهج
...........................................................د. سمير حنا صادق ١٤
** مصر
الاختراق الاسرائيلى للزراعة........................ عريان نصيف ١٦
العمال بعد عشرين عاما من الانفتاح الرأسمالى............مدحت الزاهد ١٩
اضراب السكة الحديد وانتفاضة كفر الدوار..............................٢٣
الحوافز والبدلات والارباح..................................................٢٤
الاستقالة المبكره...........................حسن بدوى ٢٤
الحكم والاخوان المسلمون...............أحمد عبد القوى زيدان ٢٦
أزهرجية وبطريركيون .......................مصباح قطب ٢٩
** العرب
رسالة حيفا...................................نظير مجلى ٣٢
رسالة القدس..................................حنا عميره ٣٤
رسالة الاردن..................................ناهض حتّر ٣٧
** مداخلات
الاشتراكية والاجتهاد والعالم الثالث............عبد الغفار شكر ٤١
** العالم
رسالة واشنطن...............................سمير كرم ٤٩
رسالة باريس.............................د. مجدى عبد الحافظ ٥٤
رسالة موسكو..............................أحمد الخميسى ٦١
الحظر الأمريكى على إيران...................صلاح صابر ٦٤
رسالة ألمانيا...............................نبيل يعقوب
- حظر انتشار الاسلحة النووية.............................٦٦
- اليمين الالمانى...................................................٦٩
رسالة بريتوريا.........................د. ليلى عبد الوهاب ٧٢
** اقتصاد
الاقتصاديات العربية وكابوس العولمة ..............د.حكيم بن حموده ٧٥
** فن
من فوكوياما إلى يوسف شاهين وعادل إمام..............أحمد يوسف ٨٠
برغم كل الاغراءات ..................................ماجدة موريس ٨٤
ثقافة اسرائيل فى ابداع...............................فريدة النقاش ٨٦
** أبواب ثابتة
اسلام لاكهانة: خليل عبد الكريم (٣١) أرشيف اليسار: د. رفعت السعيد(٧٧) مشاغبات :صلاح عيسى (٩٠)


## اليسار دُر

## هموم الوطن والأمة

فرض الصراع العربى الاسرائيلى نفسه على صفحات هذا العدد من اليسار وقد حاولنا رغم تلاحق الاحداث وتنوعها أن نقدم للقارئ صورة كلية لما يجرى فى منطقتنا. فتكتب **أمينة النقاش** عن «المعركة الجسورة» التى خاضتها الدبلوماسية المصرية- بلا أسلحة- فى موضوع المد اللانهائى لاتفاقية حظر الأسلحة النووية. ويكتب **حنا عميرة** من القدس عن معركة مصادرة الأراضى ، والموقف الاسرائيلى من تنفيذ اتفاقيات أوسلو والقاهرة. ويكشف **نظير مجلى** دور المعركة الانتخابية فى اسرائيل وأمريكا فى تحديد مسار الاحداث ، والغياب العربى، والفيتو الأمريكى. ويتناول «**ناهض حتّر**»- الذى انضم إلى أسرة تحرير اليسار وسيوافينا برسائله الهامة من الاردن شهريا-اتفاقية السلام الاسرائيلى الأردنى فى التطبيق. ومن القاهرة يكتب **عريان نصيف** عن الاختراق الاسرائيلى للزراعة المصرية ، و**فريدة النقاش** عن دعاوى التطبيع وأبعاد المواجهة.

بالطبع لم يكن الهم الوطنى والقومى هو شاغلنا الوحيد.

فى الساحة الداخلية برز موضوعان . الأول الملف العمالى الذى أعده **مدحت الزاهد** وشارك فيه **حسن بدوى** ليلقى ضوءا ساطعا عن أحوال الطبقة العاملة المصرية فى عهد الخصخصة والاصلاح المالى. والثانى هم التغيير وانتخابات مجلس الشعب القادمة ، وهو موضوع الافتتاحية والبيان الصادر عن اللجنة المركزيةللحزب الشيوعى.

أما فى الساحة الدولية فقد تابعت اليسار أهم الأحداث فى رسالة **سمير كرم** (واشنطون) ود. **مجدى عبد الحافظ**(باريس) و **أحمد الخميسى**(موسكو) و**نبيل يعقوب**(ألمانيا) ود. **ليلى عبد الوهاب** (جنوب أفريقيا).

وتبدأ اليسار هذا العدد حوارا حول كتاب «جارودى» الذى نشرناه فى ثلاثة أعداد متتالية . فيكتب **عبد الغفار شكر** مداخلة تحت عنوان «الاشتراكية والاجتهاد ودول العالم الثالث». ونأمل أن يتواصل هذا الجدل الفكرى من أجل مزيد من الفهم والامساك بخيوط المستقبل وصولا إلى فجر الاشتراكية.

أيضا ينضم إلى اليسار فى هذا العدد فنان الكاريكاتير الشاب الأردنى «**خالد غرايبة**».

**اليسار**

# موقفنا

# خطاب الرئيس فى أول مايو:
# التغيير..
# وخطر العنف

حسين عبد الرازق

، هناك خطابان سنويان للرئيس لهما اهمية خاصة .. الخطاب الذى يلقيه أمام الاجتماع المشترك لمجلسى الشعب والشورى فى افتتاح الدورة البرلمانية (نوفمبر) ، وخطابه فى عيد العمال العالمى( مايو) أمام مجموعة محدودة مختارة بدقة من القيادات النقابية الرسمية. فكلاهما عادة خطاب شامل يتناول مجمل سياسات الحكم ويتعرض للقضايا الهامة من وجهة نظر حكامنا.

وقد تناول الرئيس فى خطابه الأخير فى أول مايو الماضى عديداً من القضايا التى تستحق الالتفات والاهتمام والنقاش ، أكتفى منها بخمسة موضوعات.

## الاستعمار .. موجود

ولكن وقبل الدخول فى صلب هذه القضايا الخمس، اعتذر للقارئ عن عدم التعرض نهائيا للأرقام والبيانات التى وردت فى خطاب الرئيس حول ارتفاع الناتج المحلى ومعدل النمو، وزيادة الاستثمارات والنهضة الصناعية، والطفرة الزراعية ، وتنمية الخدمات ، وزيادة الأجور والمرتبات .. الخ فلم يعد أحد يصدق هذه البيانات التى تتكرر فى بيانات الحكومة وخطب الرئيس ، فقد تكفلت

تحتل خطابات وتصريحات الرئيس حسنى مبارك أهمية بالغة فى فهم الموقف والاتجاهات السياسية للحكم، فالرئيس طبقا لدستور ١٩٧١ هو السلطة الرئيسية فى إتخاذ القرار. والرئيس طبقا للواقع هو السلطة الوحيدة فى اتخاذ القرار. فمنه يستمد الحزب(الحاكم) الذى رأسه نفوذه . وهو الذى يختار عمليا وزراء المجموعة الاقتصادية ووزراء السيادة (الدفاع- الداخلية- الاعلام- الخارجية..) . وهو الذى يصدق على ترشيحات الحزب الحاكم لعضوية مجلس الشعب. وبتوجيهات الرئيس يتصرف كل الوزراء والمحافظين. وهو الذى يحدد أسماء رؤساء مجالس الادارات ورؤساء تحرير صحف ومجلات المؤسسات الصحفية . ويملك الرئيس تفويضا من مجلس الشعب يتجدد سنويا طوال مدة ولايته (مدى الحياة) بإصدار قرارات لها قوة القانون والتصديق علي اتفاقيات التسليح!.

وفوق هذا كله فالرئيس القائد الاعلى للقوات المسلحة ويصدر قرارات تعيين كبار القادة. والقوات المسلحة هى القوة الاساسية للحكم فى مصر والعالم الثالث. وهو رئيس المجلس الأعلى للشرطة، والحاكم العسكرى فى ظل العمل بحالة الطوارئ المعلنة منذ ٦ أكتوبر ١٩٨١ وحتى الآن.

وطوال ولاية الرئيس حسنى مبارك التي امتدت حتى الآن ما يقرب من ١٤ عاما


رئيس التحرير
**حسين عبد الرازق**

المشرف الفنى
**محمود الهندى**

المستشارون:
**إبراهيم بدراوى**
**د. رفعت السعيد**
**صلاح عيسى**
**د. عبد العظيم أنيس**
**عبد الغفار شكر**
**عبد الغنى أبو العينين**
**محمود أمين العالم**
شارك فى التأسيس:
**د. فؤاد مرسى**

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن التجمع الوطنى التقدمي الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر

ALYASSAR 1 KARIM EL DAW-
LASt.TALAAT HARB SQ.
CAIRO / EGYPT

الاشتراكات (لمدة سنة واحدة)
مصر:٢٤جنيهاً للأفراد و٦٠جنيهاً للهيئات
الوطن العربى: ٥٠دولاراً أمريكياً أو مايعادلها
العالم:١٠٠دولار أمريكى أو مايعادلها
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الإدارة والتحرير: ١شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب- القاهرة

ت: ٥٧٥٩١٥٢- ٥٧٥٩٠١١- ٥٧٥٩٢٨١
فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨ - FAX,5786298

بيانات وأرقام الهيئات والمنظمات الدولية التى تتعامل معها الحكومة المصرية وتقدم لها خطابات النوايا وتوقع معها الاتفاقات السرية التى لا يعرفها الرأى العام المصرى أو اعضاء مجلس الشعب، بنفى كل هذه البيانات المغلوطة . وكشفت عديد من الدراسات التى كتبها ونشرها اساتذة متخصصون فى الجامعات ومراكز التخطيط ، ونشرت فى بحوث علمية أو مقالات بالصحف القومية والحزبية ، عن الازمة الحقيقية التى يمر بها الاقتصاد وتوقف التنمية وتراجع الاجور والمرتبات الحقيقية ومستويات المعيشة ، وزيادة حجم ونسب الفقر فى الحضر والريف ، والكساد والغلاء والتضخم.

**وأهم من هذا كله أن الناس تعانى الأمرين من سوء الاحوال ، لا فرق فى ذلك بين عامل وفلاح وموظف وتاجر ، وبين الغالبية العظمى من المهنيين (محامين أطباء ومهندسين ، صحفيين ، محاسبين .. ) والضباط والجنود، بل وأصحاب المصانع الصغيرة والمتوسطة . ولا يمكن لمن يواجه العنت يوميا، ان يصدق أى بيانات أو أرقام تحدثه عن الانجازات والنهضة والطفرة ، مهما كان قائلها.**

كذلك أستأذن فى اشارة سريعة غريبة لعبارة صادمة وردت فى خطاب الرئيس يقول الرئيس.. **«الاستعمار دا انتهى من زمان .. استعمار إيه..»**. وأظن أن كثيرا من كوارثنا والسياسات الخاطئة للحكم تعود إلى هذا المفهوم الغريب ، الذى يتجاهل أن الظاهرة الاستعمارية ما زالت مستمرة، بل هى أبرز ظواهر عصرنا الحالى .. سواء أطلقنا عليها اسم الاستعمار أو الامبريالية ، أو الاستعمار الجديد أو العولمة . وأرجو أن يتاح الوقت للرئيس للاطلاع على ملخصات بعض الدراسات والكتب الهامة التى تصدر فى أمريكا والعواصم الغربية ومصر ، وتناقش هذه الظاهرة بتفصيل دقيق، لعله -والحكم بالتالى- يعيد النظر فى هذا المفهوم الخاطئ.

## أى اصلاح؟

وأعود إلى القضايا الخمس ، وأبدأ بهجوم الرئيس على الذين عارضوا- وما يزالوان -سياسة الحكومة الاقتصادية والاجتماعية ، والتى تطلق عليها زورا سياسة الاصلاح الاقتصادى.

* يقول الرئيس .. «لم تفلح محاولات .. **التحريض الباغية** ، التى حاولت -زورا- وصف جهود الاصلاح بأنها ردة تهدد حقوق العمال ومكاسبهم ، وسعت إلى إشاعة القلق فى نفوس العمال. غير ان عمال مصر الشرفاء أدركوا- بوعيهم الوطنى الأصيل- أن الاصلاح ضرورة لا مفر منها ، وأنه فى صالح الوطن وصالح العمال، وأن أحداً لا يضار بسببه ، لأن الحفاظ على حقوق العمل ، يدخل ضمن أولويات الحكم ومسئولياته الاساسية..».

وأظن انه لا يوجد حزب أو قوة سياسية أو اجتماعية فى مصر تعارض الاصلاح ، فالاصلاح التغيير ضرورة ملحة ،ولكن أى



إصلاح ..؟! هذا هو جوهر الخلاف.

فاليسار المصرى يصف الاصلاح ، الذى تمارسه الحكومات المتتالية فى عهد الرئيس مبارك- ومن قبله السادات -وخاصة حكومة د. عاطف صدقى التى بلينا بها منذ عام ١٩٨٦ ، بأنه ردة وكارثة أدت إلى توقف التنمية والكساد والتضخم وارتفاع الأسعار وتراجع الأجور الحقيقية والبطالة ، وإعادة توزيع الدخل لصالح الطفيليين وأصحاب رؤوس الاموال، وعلى حساب العاملين عمالا وموظفين وفلاحين ومهنيين.

ولا تتسع المساحة لتقديم دراسة تفصيلية لاوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية ولسياسة الاصلاح المالى ، أو «التثبيت والتكيف الهيكلى» والخصخصة طبقا لتسمية صندوق النقد الدولى والبنك الدولى، وآثار هذه السياسة السلبية على العمال ، والاضرار التى حدثت وستحدث نتيجة لهذه السياسات . واكتفى بالاشارة الى ردود حزب التجمع على بيانات الحكومة طوال خمس سنوات (وجميعها منشور ومتاح) ، وكذلك ملف العمال فى هذا العدد».

## نقابات عمالية صفراء

* القضية الثانية تدور حول الموقف من الحركة النقابية العمالية ، فالرئيس يقول«حافظ عمال مصر على الدور الصحيح لتنظيماتهم النقابية التى ظلت تحمل طابعا قوميا رائعا ، يعبر عن كل جموع العمال، لا عن مجرد فئة محدودة خارجة على الاجماع الوطنى. لم يسمح عمال مصر لفئة محدودة أن تحتكر العمل النقابى ، أو أن تجعله رافدا من روافد العمل الحزبى، لأن ذلك يمزق ، أوصال النقابات ويهدد وحدتها. ولم يسمح عمال مصر لقوى سياسية غير مشروعة بأن تستحوذ- بوسائل غير صحيحة- على تنظيماتهم النقابية ، لان فى ذلك اهدار لقومية العمل النقابى ، وتجاوز لسيادة القانون . حافظ العمال على استقلالية تنظيماتهم القومية..».

ويبدو ان الصورة الحقيقية للحركة النقابية العمالية غائبة عن صاحب القرار فى مصر **فالتدخل الحقيقى والسافر فى الحركة النقابية العمالية يتم من خلال حزب الرئيس وجهاز مباحث أمن الدولة الذى يعمل فى خدمة هذا الحزب ، وسلسلة القوانين والاجراءات المعادية لاستقلال النقابات العمالية والتى تنتهك الاتفاقات الدولية التى وقعت عليها مصر.** وآخر هذه القوانين قانون النقابات العمالية الصادر هذا العام ، وقانون العمل الموحد الذى سيصدر عقب انتخابات مجلس الشعب ، صحيح ما قاله الرئيس من أن «سيطرة العمل الحزبى على العمل النقابى وتطويع النقابات لكى تكون مجرد روافد لأحزاب وقوى سياسية ، هو أمر يضر بمصالح العمال ..» ولكن حزب الرئيس وحكومته هما اللذان يرتكبان هذه الجريمة ليل نهار . فقد ألحقا الاتحاد العام للعمال بجهاز الحكم ، مما ادى فعلا إلى«شلل النقابات وعجزها عن أن تؤدى الخدمات الصحيحة التى يحتاجها الأعضاء» ، وإلى وقوع طلاق بين جموع العمال وأغلب القيادات النقابية ، وإلى بروز يادات عمالية حقيقية خارج الاطر النقابية الرسمية ، كما حدث فى كفر الدوار والمحلة الكبرى هذا العام .. وكما يحدث فى أغلب مواقع الانتاج كل عام.

## هيمنة حكومية

*وينتقل الحديث من موضوع النقابات العمالية إلى النقابات المهنية ، فيقول الرئيس «ان ما يحدث فى بعض النقابات المهنية من خلط بين العمل النقابى والعمل الحزبى، يجعلنا ننبه إلى خطورة أن يصبح العمل النقابى حكرا على فئة محدودة .. لقد كانت النتيجة الوحيدة لسيطرة هذه الفئة المحدودة، هى غياب ديمقراطية العمل النقابى فى عدد من أهم نقاباتنا وغياب العدالة فى توزيع الخدمات النقابية».

وما يقوله السيد الرئيس صحيح . ولكن ماذا يفعل الحكم في مواجهة هذه الظاهرة؟

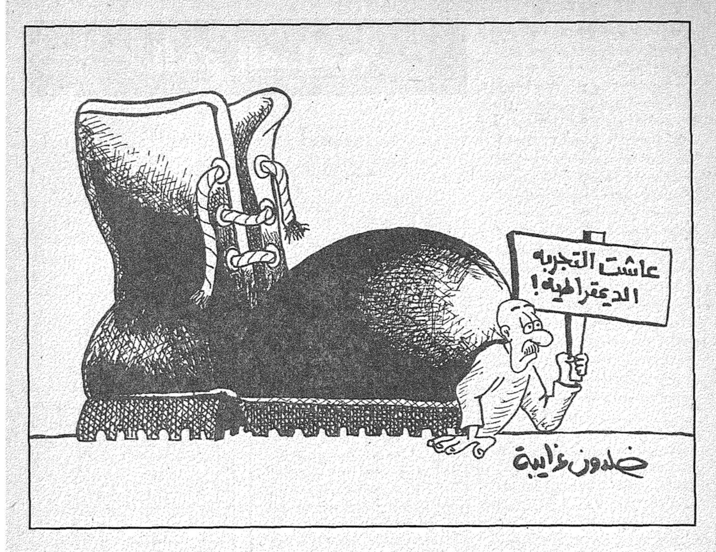
**ان كل الجهود الحكومية منصبة على فرض سيطرة الحكم والحاق النقابات المهنية به، أى استبدال هيمنة بهيمنة.** وسلاحه فى ذلك التدخل الفظ فى النقابات المهنية باستخدام سلاح التشريع الذى يتنافى مع الاصول التشريعية والفقهية والدستور واستقلال النقابات ، والعبث بجداولها ، واستخدام سيف المعز وذهبه.

## التعذيب .. حقيقة

* وعبر الرئيس عن ضيقه من تقارير منظمات حقوق الانسان المصرية والعربية والدولية ، بما فى ذلك تقرير لجنة حقوق الانسان فى الأمم المتحدة التى أدانت بقوة فى العام الماضى انتهاك حقوق الانسان فى مصر وشيوع التعذيب فى السجون والمعتقلات ، والقتل خارج القانون.

ووصف الرئيس منظمات حقوق الانسان المصرية ، ومن يكتبون أو يتحدثون ، عن هذه الانتهاكات بأنهم **منافقون** ،وقال «استثمر هؤلاء المنافقون مناخ الديمقراطية وانطلقوا يروجون لتقارير غير صحيحة -هم مصدر بياناتها -عن الحقوق المهدرة لهذه الجماعات » ..وأضاف «ليعلم هؤلاء أن الحكم يعف ويترفع عن إهدار كرامة أى مواطن مهما كانت جريمته ، وأننا نترك العقاب لحكم القانون ، وليعلم هؤلاء، أننا أحرص الجميع على حقوق الانسان المصرى..» .. وقال عن ظاهرة الارهاب «انها ظاهرة عارضة ، كان يمكن ان






نقتلع جذورها فى زمن وجيز ، لولا حرصنا على أن تتم اجراءات الدولة فى إطار صحيح يلتزم أحكام الدستور والقانون».

وللأسف فالرئيس يعلم أن ذلك غير صحيح . واذا كنا نقول أن حكم القضاء هو عنوان الحقيقة ، فهناك ما يقرب من عشرة أحكام قضائية نهائية من دوائر أمن الدولة (طوارئ) مختلفة أثبتت بصورة قطعية وقوع التعذيب بصورة منهجية مستمرة كسياسة أمنية للحكم منذ أكتوبر ١٩٨١ وحتى الآن .وقد نشرت «اليسار» خلال السنوات الخمس الماضية العديد من أحكام القضاء، والتقارير التى تقطع باقتراف الحكم لهذه الجرائم ، وتقديمه الحماية للقائمين على تنفيذها . وامتد هذا التعذيب الوحشى إلى قوى سياسة عديدة (الشيوعيين الناصريين) وإلى القيادات كما حدث بالنسبة للقيادات العمالية فى المحلة الكبرى ، وإلى المواطنين العاديين.

## اصرار على التزوير

* وبنفس المنطق يتحدث الرئيس عن انتخابات مجلس الشعب القادمة ، فيقول« إننا مقبلون على انتخابات مجلس الشعب والشورى ، ونحن نريد أن تكون هذه الانتخابات منافسة شريفة بين المرشحين».

ولا أدرى كيف تكون هناك منافسة شريفة أصلا ، والحكم يرفض الحد الأدنى من الضمانات الضرورية لانتخابات حرة ونزيهة جزئياً فالحزب الحاكم لا يكتفى بالاستيلاء على الاذاعة والتليفزيون والصحافة والأجهزة التنفيذية والحكم المحلى ، وتسخيرها لخدمة الحزب الحاكم ومرشحيه ، ولكن يرفض بإصرار تصحيح جداول القيد، والنص على ضرورة أن يثبت الناخب شخصيته أمام لجنة التصويت بالبطاقة الشخصية- أو العائلية- وأن يوقع (أو يبصم) أمام اسمه فى كشوف التصويت ، وأن يتولى القضاة رئاسة جميع لجان التصويت ، أو على الأقل أن يكون هناك قاض خاص فى كل مقر انتخابى . وتحترف السلطة -اضافة إلى هذا كله- استخدام البلطجية بالشرطة لطرد مندوبى المرشحين غير الحكوميين وتسديد بطاقات الغائبين-وهم الأغلبية لصالح مرشح الحكومة ، لكى يتم التزوير بصورة مادية مباشرة لضمان استيلاء حزب الرئيس على الأغلبية المطلقة لمجلس الشعب.

والخلاصة ان خطاب الرئيس يؤكد أن الحكم رافض للتغيير ، وغير قابل لأى حوار حقيقى جاد يخرج الوطن من أزمته.

وهى حقيقة مؤلمة تفرض على كل القوى الديمقراطية مسئولية التفكير والعمل من أجل الزام الحكم بالنزول على إرادة الشعب وتعبيد طريق التغيير ، قبل أن يفوت الأوان ويصبح العنف هو اللغة السائدة فى

# الجو السياسي

## اللجنة المركزية للحزب الشيوعى:
## انهاء احتكار الحزب الحاكم للأغلبية
## يتطلب تنسيقاً انتخابيا
## بين الشيوعيين والتجمع والناصريين والوفد
## ورموز الإسلام السياسى المستنير والديمقراطى

فى تقرير تحت عنوان **«أولوياتنا من أجل انقاذ مصر من التبعية والطفيلية والفساد وقوى الظلام والارهاب والتطرف»** ..قدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى تحليلها للأوضاع خلال عام ١٩٩٤ والفترة حتى نهاية أبريل ١٩٩٥.

ذكر التقرير أن مصر عانت خلال العام الأخير «المزيد من إفقار غالبية طبقاته، والعدوان على أرزاق الناس وحقوقهم ومصالحهم المادية، وتعثر التنمية، والحرمان من حق العمل مع ازدياد البطالة، وتراجع الدولة عن دورها فى توفير الخدمات الأساسية، وتعديل علاقات اجتماعية مستقرة لحساب الطبقات المالكة والطفيلية وعلى حساب الطبقة العاملة وفى انحياز واضح ضدها، **وبصورة عمقت التناقضات الطبقية فى المجتمع، وبما ينذر بإنفجار صراعات طبقية حادة بمجرد توفر الوعى والتنظيم، أو هبات وانتفاضات جماهيرية تلقائية»**.

وأضاف التقرير .. « ولا يمكن فصل هذه السياسات الاقتصادية والاجتماعية لهذا التحالف الرأسمالى التابع الذى يحتكر السلطة والثروة، **عن تصاعد وتعمق ظاهرة الفساد فى مصر**، لقد أصبح الفساد فى مصر نظاما متكاملا يجلس على قمته قيادات الحكم، سواء فى السلطة التنفيذية أو التشريعية أو فى الحزب الحاكم، حيث تتداخل مصالح وامتيازات هؤلاء مع الرأسمالية الطفيلية».

وقال التقرير .. «وفى ظل هذه السياسات .. وتفشى ظاهرة الفساد ومسئولية التحالف الطبقى الحاكم عنها **،يتعرض المجتمع لخطر مزدوج** يهدد الحياة فوق أرض مصر. **الخطر الأول، هو خطر التيارات المتسترة بالدين بشقيها السياسى والارهابى..** وبالرغم من أن **«الاخوان المسلمون»** يعلنون تخليهم عن العنف والارهاب والتمسك بالديمقراطية والتعددية، إلا أن ممارساتهم العملية، سواء فى فتاوى التكفير، والهيمنة واستبعاد الآخرين فى النقابات المهنية، أو ما يروجونه من أفكار تخرجهم عمليا من القوى الديمقراطية، وتحملهم مسئولية تصاعد الافكار الظلامية التى تستند إليها الجماعات التى تمارس الارهاب باسم الذين ضاربة عرض الحائط بقيم الاسلام الصحيحة والقيم الحضارية والثقافية. **الخطر الثانى، ويتمثل فى السياسة الحكومية اللاديمقراطية التى تمارس بحجة مواجهة الارهاب والعنف، بينما جوهرها الحقيقى هو استمرار الطابع الشمولى للحكم وفرض السياسات الاقتصادية والاجتماعية للقلة الحاكمة، وحماية الفساد.** وهكذا واصل الحكم سياسة العدوان على الهامش الديمقراطى المحدود الذى نجحت القوى الشعبية والديمقراطية فى انتزاعه خلال سنوات سابقة، وقمع أى تحرك سلمى للطبقات العاملة والقوى الشعبية.

وتمارس قوات الأمن فى مواجهتها للعناصر الارهابية فى صعيد مصر اعمالا مخالفة للقانون وحقوق الانسان، بدءا من هدم منازل المشتبه فيهم- علي الطريقة الاسرائيلية -واعتقال عائلات المشتبه فيهم، وتدمير آلاف الأفدنة من محاصيل الزراعة، والقتل خارج القانون بإعدام المقبوض عليهم من المتهمين فى قضايا الارهاب اذا رفضوا الاعتراف وإلقائهم فى الحقول أو الجبال والادعاء بموتهم فى معركة مع الشرطة.

**وعانت النقابات المهنية من استيلاء «الاخوان المسلمون» على عدد منها**، وممارساتهم القائمة على الانفراد بشئون النقابة وتوظيفها لخدمة أهدافهم السياسية الحزبية، والتلاعب المالى وفى جداول القيد وفى عقد الجمعيات العمومية .. **كما عانت النقابات، وبحجة مواجهة هيمنة الاخوان المسلمين، من سلسلة من الهجمات الحكومية**، بدءا بالقانون ١٠٠ وتعديلاته، مرورا باعتقال عدد من قياداتها التى تنتمى للاخوان المسلمين، إلى وضعها تحت الحراسة بأحكام قضائية إلى غير ذلك من الاجراءات التى تستهدف استبدال هيمنة تيار سياسى على عدد من مجالس النقابات، بهيمنة السلطة والحزب الحاكم على كافة مجالس النقابات المهنية، بالاساليب الادارية والأوامرية.

وامتدت الهجمة الى تهديد الحكم للجمعيات الأهلية ومنظمات حقوق الانسان والمراكز البحثية والخدمية، باستخدام سلاح المنع القانونى ومحاولة اخضاعها جميعا لقانون الجمعيات سئ السمعة، وفرض ضرائب عليها باعتبارها مؤسسات تسعى للربح، والأخطر من هذا استخدام الامر العسكرى الغريب الصادر بمناسبة الزلزال، بطبيعته القمعية العمومية ليخضع له كل جمعية أو منظمة ديمقراطية تسعى لتقديم خدمة جماهيرية..»

وحول العلاقات العربية والدولية، قال التقرير .. «وانعكست حقائق الوضع الداخلى على ممارسة السلطة لسياساتها العربية والخارجية. فشهد العام الماضى اندفاعا محموما لمنح اسرائيل أوضاعا متميزة فى العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية تحت اسم التطبيع.

وروجت الحكومة والحزب الحاكم، وبصفة خاصة نائب رئيس الحزب **«مصطفى خليل»** ونائب رئيس الوزراء والأمين العام للحزب «يوسف والى» باسم الحكومة للنظام الشرق أوسطى، الذى يخضع مصالح المنطقة كلها للمصالح الاسرائيلية، ويجعلها قوة اقتصادية وسياسيةحاكمة فى المنطقة.

ولم يستطع التحالف الطبقى الحاكم أن يواصل التحرك الفعال لتصفية الترسانة النووية الاسرائيلية والزام اسرائيل بالتوقيع

على اتفاقية حظر انتشار الاسلحة النووية كشرط لموافقة مصر على التحديد اللانهائى لهذه الاتفاقية..».

**ويحدد تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى من أنه «فى ظل هذه الأوضاع التى تعمق من الأزمة المجتمعية الشاملة ، يستعد التحالف الحاكم لتأكيد سيطرته المنفردة على السلطة والثروة تمهيداً لاتخاذ المزيد من الخطوات والاجراءات التى تستكمل هذا الطوق الجهنمى الذى يمسك بخناق الوطن وطبقاته الشعبية والكادحة ، وفى القلب منها العمال والفلاحين والموظفين والشباب والنساء والفئات الوسطى والمنتجة عامة.**

ويسعى التحالف الحاكم لحصار القوى المعارضة واضعاف صوتها من خلال استيلائه مرة أخرى على الأغلبية المطلقة لمقاعد مجلس الشعب فى انتخابات نوفمبر ١٩٩٥، والمجالس المحلية فى بداية عام ١٩٩٦ ، مروراً بالنقابات المهنية والعمالية.

وحزبنا- الحزب الشيوعى المصرى- الذى يسعى لكى يكون بحق «الممثل والمنظم والمعبر عن مصالح القوى الشعبية وكل القوى المبدعة والمنتجة فى المجتمع» **لا يستطيع أن يقف ساكنا أمام هذه الهجمة التترية لقوى اليمين ممثلة فى التحالف** الطبقى الحاكم، وفى التيار المتستر بالدين ، ولا يستطيع أن يكتفى بالادانة والشجب واعلان الموقف ابراء للذمة».

وتطرح اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى فى نهاية تقريرها برنامجا للعمل والنضال يتكون من عشرة محاور من أبرزها:

- التصدى للسياسات الاقتصادية والاجتماعية للحكم الحالى والمرتبطة بالاتفاقيات مع صندوق النقد الدولى والبنك الدولى والتبعية للرأسمالية العالمية.

مع التركيز بصفة خاصة على **الغلاء وارتفاع الأسعار ، وبيع وتصفية القطاع العام (الخصخصة) وفصل وتشريد العمال ، والبطالة ، والاختلال الرهيب فى توزيع الدخل والفروق الواسعة بين الطبقات ، وغياب العدالة فى النظام الضرائبى ، والآثار المدمرة لقانون العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأرض على الزراعة والفلاح المصرى، وتدهور التعليم والعلاج، وخطورة مشروع القانون الخاص بتعديل العلاقة بين المالك والمستأجر فى السكن، وقانون النقابات العمالية وقانون العمل الموحد..**

-كشف وتعرية فساد الحكم وظاهرة تورط كبار المسئولين وأبنائهم فى هذه الظاهرة التى تدمر الاقتصاد المصرى وتعيد توزيع الدخل لصالح المستغلين.

-الوقوف بقوة ضد كل القوانين والممارسات المعادية للديمقراطية وحقوق الانسان .. وإعطاء أولوية فى المرحلة الحالية للقوانين التالية.

* قانون مباشرة الحقوق السياسية .. مع الدعوة لاقرار مشروع القانون الذى أعدته أحزاب المعارضة.
* تعديلات قوانين العقوبات والاجراءات الجنائية بحجة مواجهة الارهاب .
* قانون تعيين العمد.
* قانون تعيين عمداء الكليات.
* **الغاء قانون الجمعيات ٣٢ لسنة ١٩٦٤** واستبداله بمادة واحدة تنظم الاخطار عن قيام الجمعية.

وفى نفس الوقت التحرك بقوة وحسم ضد استشراء سياسة التعذيب والقتل خارج القانون والمعاملة اللاانسانية للمواطنين فى الأقسام.. وادانة القمع الموجه ضد التحركات الجماهيرية السلمية.

- العمل على استعادة النقابات التى سيطر علي مجالسها «الاخوان المسلمون» بالأساليب والوسائل الديمقراطية ، مع الحرص على أن لا يكون البديل السيطرة الحكومية كما يسعى الحكم الآن.

وتحرير النقابات الخاضعة للسيطرة الحكومية ، مع الحرص على عدم سقوطها فى يد «الاخوان المسلمون» أو أى تيار سياسى بعينه ، والوقوف بقوة ضد القانون ١٠٠ وتعديلاته والتى تنتهك الدستور والاتفاقات الدولية.

ويتطلب ذلك العمل بسرعة على **تخليق تيار ديمقراطى نقابى ، لا يستبعد أحد لمجرد انتمائه لحزب حاكم أو حزب معارض أو تيار سياسى معين ، طالما يلتزم فعليا بديمقراطية واستقلال النقابة.**

- خوض معركة فكرية وثقافية واسعة **دفاعا عن الاشتراكية والماركسية كمنهج ونظرية وهدف..** ومن أجل تأصيل قيم الديمقراطية والعقلانية والاستنارة واعلاء شأن العمل.

-تصعيد المواجهة للتطبيع والنظام والسوق الشرق أوسطى ، ولوجود الترسانة النووية الاسرائيلية ، واستمرار الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية . ويتطلب ذلك:

**١- استمرار النضال بكافة اشكاله لإجبار اسرائيل على الانضمام لمعاهدة حظر إنتشار الأسلحة النووية، والسماح بالتفتيش على برنامجها النووى.**

**٢-وقف كل أشكال التطبيع مع اسرائيل.**

**٣- انسحاب الحكومة المصرية من لجنة ضبط التسلح فى المباحثات متعددة الاطراف** ووقف مشاركتها فى كافة اللجان الأخرى ، إلى أن تقبل اسرائيل وضع ترسانتها النووية تحت التفتيش ، ودعوة الدول العربية المشاركة لاتخاذ نفس القرار.

**٤- الامتناع عن حضور المؤتمر الاقتصادى لدول الشرق الأوسط وشمال أفريقيا المقرر عقده فى عمان** فى أكتوبر القادم، استمراراً لمؤتمر الدار البيضاء.

**٥- إعادة النظر فى اتفاقية الصلح الموقعة عام ١٩٧٩ بين الحكم واسرائيل** لاغاء البنود التى تنتقص من السيادة المصرية ، و لإلغاء الوجود العسكرى الأمريكى فى سيناء ، وكذلك محطات الانذار المبكر ، واستبدال القوات متعددة الجنسية بقوات أمم متحدة.

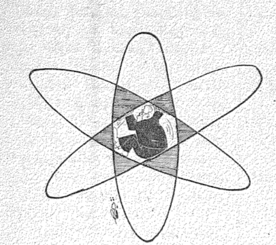
**وانهاء سياسة التدريب المشترك مع القوات الأجنبية ، ورفض تخزين السلاح الأمريكى فى مصر.**

**٦- اتخاذ موقف عملى واضح بالتنسيق مع دول الجوار والدول العربية ضد تهويد القدس والمساندة الأمريكية المطلقة لاسرائيل ،** وعدم التزام اسرائيل حتى بالاتفاقات الموقعة مع الفلسطينيين رغم ما فيها من نواقص وعيوب..

**-السعى لتوفير ظروف مواتية لاجراء انتخابات حرة ونزيهة لمجلس الشعب بالتنسيق مع كل القوى المعارضة بلا استثناء.**

**والعمل لتحقيق تنسيق انتخابى يضم تحالف اليسار (التجمع ، الناصرى) الشيوعى والمجموعات الشيوعية الأخرى، وحزب الوفد والقوى المستقلة التى تنتمى بشكل عام للمعارضة بما فى ذلك رموز لتيار الاسلام السياسى المستنير و الديمقراطى ، وبهدف انهاء احتكار الحزب الحاكم للأغلبية المطلقة لمقاعد مجلس الشعب ، أو تخفيض هذه الأغلبية وزيادة تمثيل القوى اليسارية والليبرالية (الديمقراطية) فى المجلس . مع الحرص ان لا يكون البديل هو تيار الاسلام السياسى.».**

# الدبلوماسية المصرية ومعاهدة منع انتشار السلاح النووى:



# معركة جسورة بدون أسلحة!

أمينة النقاش

بعد حوالى شهر من المناقشات داخل أروقته ، وأكثر من أربعة شهور من الضغوط والمناورات خارجها ، أنهى مؤتمر الأمم المتحدة بشأن تمديد معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية أعماله فى نيويورك قبل مايقرب من أسبوعين ، بموافقة أغلبية الدول المشاركة به ، - وبدون تصويت - على تمديد العمل بالمعاهدة ، التى سرى مفعولها ، منذ ٢٥ عاما ، إلى أجل غير مسمى ، وبتبنى قرار خاص بالشرق الأوسط يطالب جميع دوله بالانضمام إلى المعاهدة ، ووضع منشآتها النووية تحت المراقبة الدولية ، فى إطار جعل المنطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل ، بعد أن رفض أن يحدد الدولة النووية الوحيدة فى المنطقة وهى إسرائيل بالاسم. وبهذا القرار - الذى لم يكن مفاجئنا - باءت بالفشل ، جهود الدبلوماسية المصرية الباسلة ، على امتداد الأشهر القليلة الماضية للربط بين عالمية المعاهدة ، وبين التمديد اللانهائى لها. وكللت بالنجاح المساعى الأمريكية الرامية لتنصيب إسرائيل " القوة العظمى " فى المنطقة ، بعد أن أصبح سلاحها النووى ، بموافقة وإقرار الدول النووية الكبرى ، بمنأى عن أى رقابة دولية ومحصن حتى ضد " الوعود" بامكانيات إخضاعه لتلك الرقابة فى أعوام لاحقة.

## الالتباس المتعمد

ويعود الموقف المصرى من هذه القضية إلى إبريل عام ١٩٩٠ ، حين أطلق الرئيس " حسنى مبارك" مبادرة تدعو لجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من السلاح النووى وكل أنواع أسلحة الدمار الشامل سواء كانت نووية أو بيولوجية أو كيماوية ، مع وضع إجراءات للمراقبة القانونية وضوابط للتحقق ، تضمن التزام كل دول المنطقة دون أى استثناء بهذا الإخلاء.

ومع بداية العام الحالى ومع اقتراب موعد تجديد معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ، صعدت الدبلوماسية المصرية من حملتها ، ضد أسلحة إسرائيل النووية ، وربطت فى أكثر من مناسبة - سواء على لسان الرئيس **مبارك** أو وزير الخارجية **عمرو موسى** - بين توقيع مصر على المعاهدة وبين إنضمام إسرائيل إليها ، وأعتبر " **عمرو موسى**" أن الحوار حول السلام فى المنطقة وإستقرار الأمن لايمكن فصله دون التعامل مع مشكلة البرنامج النووى الإسرائيلى ، التى تمتلك أكثر من ٢٠٠ رأس نووى تم تطويرها خارج إطار المراقبة الدولية التى تفرضها المعاهدة .

ولأن الهدف الدبلوماسى المصرى ، كان **محكوما بعوامل خارجية عدة ، وبأوراق ضغط ليست فى حوزته ، فقد اقتصر منذ بداية الحملة وحتى صدور القرار ، على تسليط الضوء على ترسانة إسرائيل النووية ، وتوضيح المخاطر التى يحملها بقاؤها دون رقابة أو إزالة ، على ميزان القوى الاقليمى ، وعلى الأمن القومى المصرى والعربى** . وفى غمرة حملة الفضح والتصعيد ، لم تأبه الدبلوماسية المصرية بإزالة حالة االالتباس لدى الرأى العام المصرى ، الذى هيأ له الخطاب السياسى للحملة - لن نوقع على المعاهدة إلا إذا وقعت إسرائيل عليها - أن مصر غير موقعة أصلا على المعاهدة . ولو أن حملة التصعيد قد اقترنت بحملة للتوعية ، تقوم على أن مصر قد وقعت على المعاهدة منذ عام ١٩٦٨ ، وأن الهدف المنشود هو رفض التمديد الأبدى للمعاهدة ، وقصر تمديده على عدد محدود من السنوات ، حتى يتم حشد ضغط دولى للتفاوض مع إسرائيل ، على إزالة ترسانتها النووية ، فى سياق إخلاء الشرق الأوسط من الأسلحة النووية ، ودفعها للانضمام للمعاهدة بالتوقيع عليها ، لما استقبل الرأى العام بصدمة بالغة ، قرار التمديد اللانهائى للمعاهدة ، **ولما دفع بعض الدوائر السياسية إلى القول بأن إثارة هذه القضية هى شكل من أشكال الموازنة لمواجهة المشاكل الداخلية المصرية !.**

## منهج إدارة الأزمة

اتسم المنهج الذى أدارت به الدبلوماسية المصرية ، معركة الربط بين المد اللانهائى للمعاهدة ، وبين عالميتها ، أى عدم استثناء أى طرف من التوقيع عليها ، بالصعود والهبوط والتردد لاشتباكه بالعلاقات المصرية الاسرائيلية من ناحية والعلاقات المصرية - الأمريكية من ناحية أخرى .

ولعل نقطة التصعيد الفارقة ، هى تلك التى **أعقبت القمة الاقتصادية الدولية فى الدار البيضاء** فى نهاية العام الماضى ، التى تكشفت فيها السياسة المصرية بوضوح شديد ، إن إسرائيل تسعى على الصعيد الاستراتيجى والاقتصادى ، لوراثة موقع

مصر الإقليمى فى " الشرق الأوسط الجديد" الذى يعاد تشكيله ، بصمت وتواطؤ - وربما مباركة - عدد من الدول الخليجية ، التى سبق أن أفشلت المسعى المصرى للمساهمة فى حماية أمن الخليج من خلال دول " إعلان دمشق .. وعرقلة تنفيذ الجانب الاقتصادى من هذا الاعلان ، الذى كان من شأنه أن يقلل من الأزمة الاقتصادية التى تحملت مصر أعباءها ، بعد حرب الخليج الثانية ، التى أسفرت عن عودة العمالة المصرية من العراق والكويت . وليست الهرولة العربية لتطبيع العلاقات دون قيد أو شرط مع إسرائيل إلا تعزيزا لسعاها لاحتلال الموقع الإقليمى الأول فى المنطقة.

من جانبها أدارت " إسرائيل " المعركة التى فتحت الدبلوماسة المصرية لهيب نيراها عليها ، فى أكثر من جبهة فتعثرت المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية لتنفيذ بنود إتفاق أوسلو ، بل تنصلت إسرائيل من إلتزاماتها فى هذا الإتفاق بمصادرة الأراضى العربية فى القدس وتهويدها ببناء مزيد من المستوطنات عليها ، وأعلن قادتها من قلب القاهرة ، أن القدس عاصمة أبدية وموحدة لدولة إسرائيل .. **وعشية مؤتمر الأمم المتحدة لمناقشة تجديد مد معاهدة حظر الانتشار النووى ، أطلقت إسرائيل قمرها الصناعى " أفق - ٣ " للتجسس على الدول العربية والشرق أوسطية .**

ثم افتعلت أزمة ماأسمته **مخاطر إمتلاك إيران للسلاح النووى على أمنها** ، وصعدت فيها إلى أن قادت الرئيس الأمريكى **كلينتون** ، إلى إعلان فرض حظر تجارى ، على إيران ، ومنع الاستثمارات الأمريكية بها ، وتأكيد" رابين" على معاونة إسرائيل لواشنطن ضد أى إجراءات تتخذ ضدها، هذا برغم أن إيران تخضع إستخدامها السلمى للطاقة وتلتزم بمراقبتها . وبعد أن تلقى هذا القرار صفعة من اليابان ودول الاتحاد الأوروبى ، التى رفضت الاقتداء بالاجراء الأمريكى ، وجهت الحكومة الإسرائيلية نيران غضبها مباشرة إلى وزير الخارجية المصرى **عمرو موسى** " حيث زخرت الصحف الإسرائيلية بحملة وقحة على الوزير المصرى الذى اتهمته بالعداء لإسرائيل وعرقلة جهود السلام ولما بدا أن الحملة الإسرائيلية قد أتت فى داخل مصر بنتائج عكسية ، ، حرص فيها الرئيس " **مبارك**" على أن يؤكد أن وزير الخارجية، لايعبر عن نفسه ، بل نفذ سياسة الحكومة المصرية ، نقلت إسرائيل المواجهة بينها وبين الدبلوماسية المصرية بشأن أسلحتها النووية ، إلى جبهة العلاقات المصرية الأمريكية ، استنادا إلى أن حرص القاهرة على إستمرار المعونات الأمريكية ، سوف يجعلها مستعدة للتراجع عن تشددها، حتى ولو ظل فى نطاق التشدد اللفظى والدعائى فحسب !

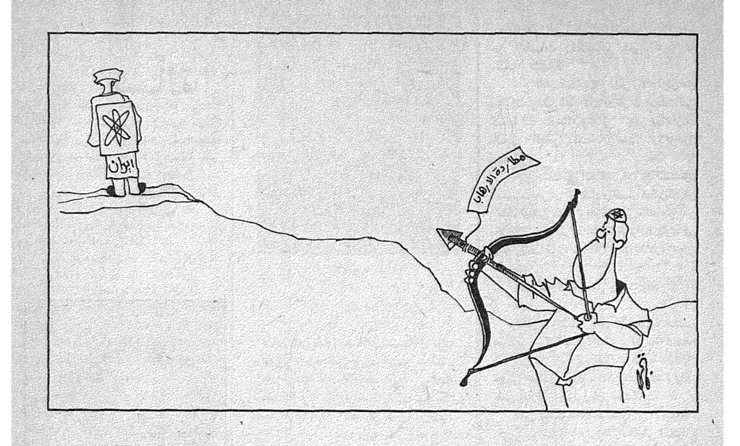
وفى هذا السياق ، فإن جهود الدبلوماسية المصرية ، للفصل بين خلافها مع إسرائيل حول معاهدة التسلح النووى ، وبين علاقاتها الثنائية بالولايات المتحدة الأمريكية ، باءت بالفشل ، وهو ماانعكس **على الفتور الذى استقبلت به الإدارة الأمريكية ، زيارة الرئيس مبارك الأخيرة إلى واشنطن ، وفتح الادارة الأمريكية لسجلات الحكومة المصرية فى انتهاكات حقوق الإنسان ، وتوسع الأعلام الأمريكى فى الحديث عن الفساد فى الإدارة الحكومية الذى** يلتهم أموالا طائلة من المعونة الأمريكية !.

تكشفت الضغوط الأمريكية على الحكومة المصرية ، لحثها على عدم الربط بين إنضمام إسرائيل للمعاهدة النووية ، وبين تصويتها بالموافقة على التمديد الأبدى لها ، وكان هذا الموضوع ، واحدا من أهم الموضوعات التى سيطرت على مباحثات الرئيس مبارك مع الإدارة الأمريكية ، وكما كان محورا للمشاورات التى أجراها فى القاهرة مجموعة من المسئولين الأمريكية ضمت آل جور نائب الرئيس الأمريكى" ووليم بيرى" وزير الدفاع و" وارن كريستوفر" وزير الخارجية ، ورئيس المخابرات الأمريكية ومندوبة واشنطن فى الأمم المتحدة ، وقد أسفرت الضغوط الأمريكية على مصر ، التى لوحت أثناءها بخفض المساعدات تمهيدا لالغائها ، عددا من النتائج الهامة بينها:

* تراجع الخطاب السياسى المصرى المتشدد بشأن الربط بين إنضمام إسرائيل للمعاهدة وبين الموافقة على تمديدها . وقبيل زيارته لواشنطن ، قال الرئيس مبارك لصحيفة يابانية " **إن مصر ستوافق على تمديد معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية ولن تنسحب من المعاهدة** " دون أن يحدد شروطه السابقة لذلك .

وفى واشنطن أعلن الرئيس مبارك " **أن مصر لاتعارض فى تمديد المعاهدة ، بل تسعى لتعديل الموقف الإسرائيلى ليأخذ فى الاعتبار متطلبات السلام** " وشمل التراجع المصرى مجرد الاكتفاء بتعهد إسرائيلى واضح للالتحاق بالمعاهدة فى فترة زمنية محددة .

* قبول إدارة الرئيس مبارك بالمسعى




الأمريكي لحصر موضوع المعاهدة ، في التفاوض الثنائي بين مصر وإسرائيل ، وهو ماإنتهى بعقد لقاء باريس بين وزيري الخارجية المصري والإسرائيلي " **عمرو موسى وشيمون بيريز** " الذي لم يسفر سوى عن تجديد بيريز رفضه إنضمام إسرائيل للمعاهدة أو الاعتراف بإمتلاكها للسلاح النووي ومن ثم القبول بوضعه تحت المراقبة الدولية .

*تعهد الحكومة المصرية ، بعدم ممارسة أي ضغط أو دعاية لدى الدول الأخرى لحثها على رفض المسعى الأمريكي بالتمديد اللانهائي للمعاهدة ، وهو التعهد الذي أعلنه صراحة" **روبرت بللترو** " مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشئون الشرق الأوسط في أعقاب انتهاء لقاء مبارك وكلينتون في إبريل الماضي ، وهو ماحرص المسئولون المصريون معه على القول ، بأن **التنسيق مع دول الانحياز ، لايعني حض الدول على رفض الموقف الأمريكي** . ويبدو أن مصر قطعت هذا التعهد منذ وقت مبكر ، والتزمت به سواء في اجتماع مجلس الجامعة العربية ، في مارس الماضي ، الذي فشل في التوصل لموقف عربي حاسم من رفض إسرائيل للانضمام للمعاهدة ، كما التزمت به في مؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز في ابريل الماضي **ومعنى قبول السياسة المصرية ، بوقف مساعيها لحشد التأييد العربي والدولي لموقفها أنها قررت أن تخوض المعركة منفردة ودون أية أوراق مساعدة للضغط** مكتفية بفضح مخاطر بقاء إسرائيل مدججة بسلاحها النووي على بعد خطوات لاتتجاوز عشرين كيلومترا من حدودها الشرقية ، على أمنها القومي وعلى خطوات التسوية المحتملة في المنطقة.

ولاينبغي أن يعزو إلى الضغوط الأمريكية وحدها ، وإلى التراجع المصري عن حشد التأييد لردع الرغبة الأمريكية في التمديد اللانهائي للمعاهدة وحدهما نتائج قرار مؤتمر نيويورك ، الذي لم يكن مفاجئا . فقد لعب الانقسام العربي بشأن الموقف من المعاهدة دورا إضافيا في الوصول لهذه النتيجة، وغير صحيح القول بأن الموقف العربي كان موحدا بهذا الخصوص. فالجزائر أعلنت أنها لن تنسحب من المعاهدة ، ولم تحدد موقفا من مسألة إنضمام إسرائيل إليها ، ولا من الرغبة الأمريكية في مدها لأجل غير مسمى . كما أن الضغوط الأمريكية التي أتت ثمارها على الجبهة المصرية ، لعبت دورها على الجبهات العربية الأخرى ، وليس سرا أن عددا من الدول الخليجية ، والمغاربية قد شككت في دوافع الحملة المصرية على الترسانة النووية الإسرائيلية ، وعزتها لأسباب داخلية ، وأشارت إلى أن مصر لو كانت جادة في حملتها ، لأصرت على وضع السلاح النووي الإسرائيلي تحت الرقابة الدولية ، عند توقيعها للمعاهدة مع إسرائيل . ولأن إسرائيل ليست وحدها الساعية لوراثة الدور الإقليمي المصري في المنطقة ، بل تتنازعها في ذلك بعض الدول العربية ، وهو تنازع فعل فعله في تكريس الانقسام العربي في مؤتمر" نيويورك" " لتحقيق إنتصار في معركة أخرى : إضعاف الموقف المصري وإبراز وهنه وهشاشته !.

لم تتجاوز المندوبة الأمريكية للأمم المتحدة " **مادلين أولبرايت** " الحقيقة ، حين علقت على نتائج التصويت بالتصفيق في مؤتمر التمديد الأبدي للمعاهدة ، قائلة بشماتة غامرة

" - **لم يعترض أحد**".

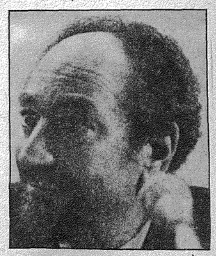
وكانت الهرولة العربية للمشاركة في اليوم التالي مباشرة لصدور قرار الأمم المتحدة بشأن المعاهدة ، الذي يعفي إسرائيل ضمنيا من الاعتراف بسلاحها النووي ، أو بإخضاعه للرقابة الدولية ، أو من التعهد في وقت لاحق بالانضمام إليها ، للمشاركة في المفاوضات المتعددة الأطراف في سويسرا ، هي الجواب العربي والمصري على سلام التفوق والهيمنة الإسرائيلية الذي يساقون إليه !!

# مسألة منهج

د. نصر حامد أبو زيد



د. سعد الدين ابراهيم



## د. سمير حنا صادق

خلال شهر ابريل ، اشتعل فجأة حوار حار بين عالم الاجتماع الدكتور **سعد الدين ابراهيم** والكاتب الداعية الأستاذ **فهمى هويدى** وكما يحدث دائما فى مثل هذه الاشتباكات الحارة بين كبار الكتاب ، فقد انخفضت حرارة اللهجة فجأة ثم انطفأت نيران الحوار.

ولكن . بقى فى صدر كاتب هذه السطور لهيب مشتعل.

* * *

يقول الأستاذ **فهمى هويدى** فى حواره مستندا إلى آيات من القرآن الكريم:

– إن الناس جميعا تربطهم وشيجة الأخوة الإنسانية " **ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة**".

– إن لكل إنسان كرامته بصرف النظر عن دينه أو عرقه " **وقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا** ".

– إن الاختلاف فى الملل والاعراق من سنن الله وعلى ذلك فان للآخر شرعيته التى كفلها الله سبحانه وتعالى " **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين** ".

– إن دستور العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو أن الفضل والخير مطلوبان من المسلم للناس كافة ، يستوى فى ذلك من آمن بالإسلام ومن كفر به إلا إذا كانوا يقاتلونه فى دينه ويخرجونه من داره ، أو يظاهرون على إخراجه.

وهذا كله كلام جميل جدا .. ولكن ...

***

ولكن ، وكما يعلم الأستاذ **فهمى هويدى** ، وكما يعلم الجميع ، فإن هناك دعاة آخرين كثيرين ، لهم نفس مرجعية الأستاذ **فهمى هويدى** ، ولهم نفس منهجه ، ولهم نفس أهدافه ، يقولون غير ذلك تماما:

ففى كاسيتات منتشرة فى الأسواق ، وفى كتيبات تباع على الأرصفة فى الشوارع ، بل وفى أجهزة الإعلام الرسمية ، وفى العديد من المساجد ، بل وفى المدارس الحكومية ، يوصف الأقباط بأنهم مشركون وكفرة ، ويوصف رجال الدين المسيحى بأنهم زناة، ويطالب المسلم بألا يهنئ أخاه القبطى بالأعياد ، ولايضع يده فى يده ، ولايبادله التحية ، وهم فى دعاويهم هذه يكررون تفسيراتهم الخاصة لآيات أخرى كريمة أنقلها عن كتبهم ، ومنها : " ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه" ، " فإن لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب" ، " فإن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل " ، وإن المسيحيين أعداء للفاتحين تفرض عليهم الجزية فيعطونها " عن يد وهم صاغرون " ويفرض عليهم الجهاد كالكفار والمنافقين.

بل ومنهم من اتخذ مما ورد فى كتب السيرة المعتمدة أمثلة ، مثل قتل الشاعر كعب بن الأشرف وغيره ، مبررا للوباء الذى اجتاح بلدنا وأدى إلى قتل فلاحين فى مزارعهم ، وطبيب فى عيادته ، وتجار فى محالهم لمجرد أنهم أقباط ثم امتد إلى قتل السواح ، وطيف كامل من المواطنين بداية من الخفراء وحتى رئيس الوزراء مرورا بمثقفين وإعلاميين ... **ونجيب محفوظ** " لأنه فاسق !!!!؟؟".

* * *

وأود قبل مناقشة هذا التناقض أن أوضح :

**أولا** – إننى لاأبرئ الأقباط من دورهم فيما يحدث الآن . ولكن هذا موضوع آخر يستحق المناقشة فى موضع آخر ، فنحن لاتناقش هنا مشكلة اجتماعية أخلاقية ، إنما نناقش مشكلة سياسية ، فما هو موجود ليس مجرد انحراف أخلاقى اجتماعى ، إنما هو فى النهاية طموح سياسى يستغل ظروفا اقتصادية واجتماعية.

**ثانيا** – إنه لى الحق ( رغم أننى قبطى ) ، كأى مواطن ، فى مناقشة التفسيرات التى يطلقها بعض الدعاة للنصوص الإسلامية ، فهم يخرجون بها عن مفهوم العبادة ، إلى سن النظم والقوانين التى تسرى على كافة المواطنين.

**ثالثا** – إننى لاأنطلق فى حديثى هذا دفاعا عن الأقباط ، وإنما **أكتبه انشغالا بمستقبل البلد بأجمعه** – مسلمين وأقباط ويهود وغيرهم إن وجد – بكافة مللهم ونحلهم .

* * *

ورغم جزئية الحوار ( حول الملل والنحل ) فإنه يظهر خواصا عامة عديدة للمنهج الذى يمثله الأستاذ **فهمى هويدى** ويثير النقاط الآتية:

**أولا** : لماذا لم يشر الأستاذ فى حواره إلى التفسيرات الأخرى المستمدة من نفس مرجعيته ولها نفس منهجه ؟ لابد أن الأستاذ **فهمى هويدى** يعلم بمدى انتشار ونفوذ التفسيرات الأخرى ، ولابد أنه استمع إلى رأى طفل من أقاربه فيما تعلمه من مدرس الدين عن الأقباط ، ولابد أنه سمع ماسبق ذكره من كاسيتات ، أو على الأقل سمع عنها.

وتجاهل أجزاء من الحقيقة ، وإضاءة الأنوار حول جزء منها ، هى قدوة سيئة فى الحوار ، بل قد تبدو مخالفة لأهم المبادئ فى كافة الأديان وهو الصدق ، والحقائق لاتستقيم مع التقسيم الاختيارى والصدق يعنى الحق كل الحق .

ولعله من الوارد فى هذه المجال أن نتذكر إصرار الأستاذ **فهمى هويدى** على أنه لايعترف " بأغلبية وأقلية" وأنه أول من استنكر تعبير " ذمى" فى كتاباته فى السبعينات ، متجاهلا أنه فى البيان الذى نشره مع الدكتور **كمال أبو المجد** عن مقترحاته لأسلوب حكم جديد قد نص على أن يكون رئيس الجمهورية من دين الأغلبية ،وأنا



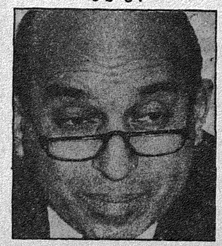
د. فرج فوده

أعلم أن الدستور الحالى ينص على ذلك ، ولكنه دستور وضعى قابل للتغيير مع التقدم والتطور ، أما دستور الأستاذ فهمى هويدى فهو غير قابل للتعديل إلى الأبد إلا فيما يتعلق بباقى وظائف الدولة استنادا إلى نفس المنهج الذى ينص على عدم شرعية ولاية غير المسلمين على المسلمين .

**ثانيا** : يفترض مما ورد فى الحوار أن الأستاذ **فهمى هويدى** له موقفه الخاص المختلف اختلافا تاما عن هذه التفسيرات التى تدعو للمقاطعة وقطع الرقاب ، فهل لى أن أرجوه أن يعود إلى ماكتب فى أعوام فى صفحته كل يوم ثلاثاء وفى غيرها من الصحف ليكشف لنا عن مجهوده فى محاربة هذه التفسيرات ؟ وليسمح لى أن أسأله : من هو أكثر إضرارا بالدين وبالوطن أولئك الذين ينادون بالتكفير والقتل أم أولئك الذين ينادون بالدراسة العقلانية للدين أمثال **طه حسين وفرج فوده وحسين أمين وسعيد العشماوى ونصر حامد أبو زيد وصبحى منصور؟.**



فهمى هويدى



**أريد أن أسأله من كان عونا لأعدى أعداء مصر عليها من تأييد الملك فاروق الى مقارنة الطاغية اسماعيل صدقى بالنبى اسماعيل أيام مشروع معاهدة صدقى / بيفين إلى تحطيم حركات المقاومة للسادات تمهيدا لكامب ديفيد ؟.**

أين عنف قلمه وقوة منطقه مع هؤلاء المشوهين للدين؟ هل لى فى هذا المجال أن أذكره أن ماكتبه فى محاولة قتل **نجيب محفوظ** كان فى حجم طابع بريد كبير.

إن الكتابة موقف واختيار ومسئولية.

**ثالثا**: يتضح من اختلاف المواقف ( ظاهريا على الأقل) رغم اتفاق المرجعية والأهداف ، أن هذا المنهج يحتوى على خطأ كبير وخطر عظيم ، وينبع هذا الخطأ من أن الكتب الدينية تنزل بمبادئ عامة للبشر فى كل مكان وزمان ، وتنزل كذلك فى وقت ما وفى مكان ما لشعب ما لتنظيم معيشة هذا الشعب ، وهى إلى جانب هذا كما وصفها بحق **على بن أبى طالب** رضى الله عنه **" حمالة أوجه"** . ولعله من الدروس الهامة فى بدء التاريخ الإسلامى أن يصبح على بن أبى طالب رضى الله عنه رغم قيمته الإنسانية أول ضحية هامة لتفسيرات للقرآن الكريم.

فالمنهج فى رأينا خاطئ ومحاولة استخراج أساليب تفصيلية للحكم ، والطب ، والعدل ، والبحث العلمى ، ومبادئ التعامل مع أهل اليابان والصين ، من الكتب الدينية ومن آراء وفتاوى السلف الصالح ، كسل وتقاعس عن تفهم المفهوم الحقيقى للدين كقوة دافعة لإسعاد البشر ورفاهيتهم.

والمنهج خطر لأنه مع حب الناس لدينهم يمكن تسخير هذا المنهج لخداعهم ولاعجب أن كان هذا الأسلوب مصدر الكثير من المتاعب التى يصدرها رجال مخابرات الدول الغنية للدول الفقيرة بداية من ثورة الأيات ضد مصدق التى دبرها كيرميت روزفلت فى إيران مرورا بالدلاى لاما ونهاية بما تفعله الفاتيكان فى جميع أرجاء العالم.

* * *

عزيزى الأستاذ **فهمى هويدى**

كتبت ماكتبت لشعورى بانشغالك على وطنك ، لقد أضعنا كثيرا من الطاقة والوقت ، والزمن لايرحم والفجوة بيننا وبين باقى العالم تتسع .

ألم يحن الأوان لكى نستيقظ ونلحق بالركب لدخول القرن الواحد والعشرين؟

# الاختراق الإسرائيلى للسياسة الزراعية المصرية

منذ أن تطوع الرئيس السادات بطرح قضية توصيل مياه النيل إلى إسرائيل وطلب فى نهايات ١٩٧٩ من الخبراء المصريين إجراء الدراسات العلمية اللازمة حتى تصل مياه النيل إلى إسرائيل وتصبح "آبار زمزم لكل المؤمنين بالديانات السماوية" !!

ومنذ أن حدد الدكتور يوسف والى عام ١٩٨٠ - وكان مايزال مستشارا لوزير الزراعة - المحاور التى يجب أن يقوم عليها تطوير الزراعة المصرية فى :

- المحور المصرى / الأمريكى.
- المحور المصرى / الأمريكى / الإسرائيلى.
- المحور المصرى / الإسرائيلى / العربى.

منذ ذلك التاريخ ، بدأ - بشكل واضح - الاختراق الإسرائيلى للسياسة الزراعية ، وعلى كافة أصعدة هذا المجال الحيوى .

* **الأرض :**

× من خلال المشرعات المشتركة لاستصلاح واستزراع الأراضى فى سيناء وشرق العوينات وغرب الدلتا

× بتوزيع أراضى سيناء بنسبة ٥٠٪ للمستثمرين ( وأغلبهم إسرائيليون) .

* **الشباب المصرى:**

× بتدريب ٤٨٠ خريجا مصريا فى إسرائيل وفق البروتوكول الذى تم الاتفاق عليه بين د. والى ويعقوب تسور وزير الزراعة الإسرائيلى فى ديسمبر ١٩٩٢ .

× ٨٥٠ شابا مصريا تم سفرهم إلى إسرائيل فى مارس ١٩٩٤ ( أى عقب مذبحة الخليل ) بحجة دراسة زراعة البنجر فى إسرائيل .

× الإشراف الإسرائيلى على مشروع الخريجين بكفر الشيخ.

× وفد من الخريجين الحاصلين على أراض مستصلحة بالفيوم يزور إسرائيل عام ١٩٩٤.

* **الخبراء :**

## عريان نصيف

× بعثة من ٦٦ قياديا من قيادات وزارة الزراعة والشركات الزراعية وشركات استصلاح الأراضى وأساتذة الجامعات ، تم سفرهم - بترتيب من وزارة الزراعة - إلى إسرائيل عام ١٩٩٣ بحجة الاطلاع على المعرض الإسرائيلى الدولى للتكنولوجيا الزراعية.

× الإغراء المستمر لأساتذة الجامعات ( كليات الزراعة بالذات) للتفرغ للمشاريع الإسرائيلية تمويلاً وتوجها.

* **التبادل التجارى فى المنتجات الزراعية:**

× وصل حجم التبادل التجارى مع إسرائيل - وفقا لتقارير الجهاز المركز للإحصاء ، فى الفترة من ١٩٨٨ - ١٩٩٣ ، إلى أكثر من ٤ مليار جنيه .

× يتم استيراد ١٢٢ سلعة زراعية وهى أساسا **البذور والآلات الزراعية.**

× قدمت إسرائيل طلبا لوزير الاقتصاد المصرى فى سبتمبر ١٩٩٤ ، بإعفاء ٤٠ سلعة مستوردة من إسرائيل من الرسوم الجمركية.

د. يوسف والى

* **الوفود الإسرائيلية الزراعية فى مصر:**

× وفود إسرائيلية مستمرة بهدف شراء مشروع الصالحية.

× موافقة د. والى - عام ١٩٩٤ - على زيارة ٥٠٠ مهندس زراعى إسرائيلى لمصر لإجراء تجاربهم على الزراعة المصرية - كل ثلاثة شهور.

× الوفد الكبير من إسرائيل والذى يمثل ١٠٧ شركة إسرائيلية والذى كان له نصيب الأسد فى المؤتمر الذى أقامته الغرفة التجارية الألمانية بالقاهرة فى ٦ ، ٧ /١٢/ ١٩٩٤ .

* **المشروعات الزراعية المصرية الكبيرة:**

× **شرق العوينات** إقامة إسرائيل لمركز لاستصلاح الأراضى فى هذه المنطقة ، بالرغم من أهميتها الاقتصادية لمصر حيث تكمن بها مياه جوفية تكفى - وفق دراسات الخبراء المصريين والعالميين - لزراعة عدة ملايين من الأفدنة ، وبالرغم من أهميتها وخطورتها الاستراتيجية لمصر ولثلاث دول عربية أخرى هى: **السودان وليبيا وتشاد.**

× **الصالحية** : انهيار هذا المشروع المهم الذى تكلف أكثر من ٢ مليار جنيه وتصحرت أراضيه ، تمهيدا لاستيلاء الإسرائيليين عليه.

× **غرب النوبارية** : يتم الضغط على ملاك الأراضى المستصلحة من المصريين - بكافة الوسائل - لترك أراضيهم.

فى الوقت الذى تقوم فيه بعض الشركات الخاصة بتصدير كميات كبيرة من الخضر والفاكهة المصرية إلى إسرائيل لتعيد تصديرها إلى أوروبا وأمريكا على أنها انتاج إسرائيلى ، ويتم ذلك من خلال **منفذ رفح.**

فى الوقت الذى يتقاضى فيه الخبير الإسرائيلى فى مزارع الموز والتفاح فى هذه المنطقة ١٠٠ دولار فى اليوم.

× **مشروع التشجير :**



يعمل بهذا المشروع أكثر من ٥٠٠ر٥ مهندس ، ١٠٠٠ر١٠ عامل وموظف وهو يشرف على كافة المشاتل والحدائق بمصر.

وللإسرائيليين نفوذ كبير به فى كافة المجالات وخاصة تصدير الشتلات وعندما تصدى مهندس زراعى يعمل به هو المهندس **محسن هاشم** تم فصله من عمله.

*** استيراد الدواجن الإسرائيلية:**

فى الوقت الذى يحقق فيه كبار مستوردى الدواجن الإسرائيلية ثروات هائلة ، فإن المشاكل مع الدواجن المستوردة لم تبدأ - كما يصرح **د. صلاح عبد الكريم** الأستاذ بكلية الطب البيطرى بجامعة القاهرة - إلا بعد التعامل مع إسرائيل حيث دخلت إلى مصر أمراض لم نكن نعرفها إلا فى الكتب !

*** المواشى :**

يرى **د. يسرى خميس** الأستاذ بكلية الطب البيطرى أن انتشار العديد من الأمراض - بعد التعامل مع إسرائيل فى هذا المجال - ليس ببعيد عن عملية اختراق " **الصراع البيولوجى**" لسوقنا والسوق العربية بشكل عام.

فى الوقت الذى يشيد فيه رئيس الهيئة البيطرية أمام الوفد الإسرائيلى فى مجموعة العمل الخاصة بالتنمية الاقتصادية المنعقد بشرم الشيخ فى يونيو ١٩٩٤ ، بالتعاون مع إسرائيل فى المجال البيطرى.

*** البذور والمبيدات :**

× انتشار المبيدات والتقاوى الإسرائيلية المهربة والمحملة بهرمونات تؤدى إلى الإصابة بالسرطان ، أو بذور مشوهة وغير صالحة أو مبيدات محرمة دوليا لتدميرها للتربة.

وقد أدى ذلك إلى تدهور محاصيل **الفراولة والخيار والطماطم** كما أدى إلى إعادة الكثير من الدول الأوروبية لأنواع عديدة من الخضار والفواكه والموالح التى كانت مصدرة من مصر.

وبالرغم من ثبوت ذلك وفق أبحاث مركز المعلومات والتوثيق بالمركز القومى للبحوث ، إلا أن المسئولين بوزارة الزراعة قد قاموا مؤخرا بنقل ومجازاة **المهندس صلاح عبد المنعم** عضو لجنة الفحص بميناء نويبع عندما نبه إلى خطورة عدم الفحص الجاد للرسائل الواردة من إسرائيل - والمحملة بالعديد من الأمراض - سواء المرسلة يوميا لفندق طابا أو من خلال رسائل الترانزيت أو أمتعة الركاب.

... وإسرائيل لاتكتفى بكل ذلك !

- ففى مؤتمر الغرفة التجارية الألمانية المنعقد بالقاهرة طالبت الوفود الإسرائيلية بما يلى:

× **فبالنسبة للمياه** - ومع احتياجها لحوالى ٤ مليار متر مكعب سنويا - فهى تريد من مصر والدول العربية امدادها بهذه المياه ، على أن تقوم هى - مشكورة - بالاسهام فى تكنولوجيا تحلية ماء البحر بالنسبة لنا !!

× **وبالنسبة للقطن** - فقد اقترحت تقسيم العمل بيننا وبينها كما يلى . نحن نزرع القطن طويل التيلة ، وهى تقوم بتصنيعه وتصديره لأوربا وأمريكا !!

× **وبالنسبة للخضروات** فقد اقترحت أيضا - فى لقاء آخر - أن تزرع مصر الطماطم وتصدرها لإسرائيل التى تقوم هى بإعادة تصديرها!

- وهى من خلال الاجتماع الدورى للجنة الإسرائيلية المصرية المشتركة فى ٧ - ١٠ فبراير ١٩٩٤ ، لاتكتفى بما تم الاتفاق عليه من :

* اتساع دائرة التعاون الزراعى المصرى / الإسرائيلى.

* دورها فى المزرعة الارشادية فى غرب النوبارية ومشروع التشجير .

* قيام أبحاث مشتركة لأمراض القطن.

* تنسيق شبكة معلومات بالنسبة للمياه .

لايكتفى مندوبوها فى هذا الاجتماع بذلك ، ولكنهم يضعون التوصيات التالية:

– سرعة اتخاذ القرار بما يخدم القضايا الاقتصادية والعلمية فى مصر " تحت مظلة العمل السياسى " ، كنص التوصية.

– الاستعداد بكل جدية لتقديم كافة العلوم والتكنولوجيا لمصر بصفتها مفتاح العالم العربى.

– أن الدول العربية ستكون فى القريب العاجل المجال الفسيح لامتصاص التكنولوجيا المتطورة من إسرائيل بعد إقرار السلام وتطبيع العلاقات معها.

.. ود. **والى** – وأنصار التوسع فى التطبيع لايكتفون أيضا:

× فالدكتور **محى الدين الغريب** يطالب بانشاء منطقة حرة على الحدود المصرية / الإسرائيلية

× **وأعضاء مجلس إدارة جمعية رجال الأعمال المصريين** العائدون من إسرائيل بعد مشاركتهم فى لقاء عقد بمدينة القدس فى الفترة من ٤ -١١ من نوفمبر ١٩٩٤.

– **يوافقون الإسرائيليين على مطالبهم بتوقيع اتفاقيتى ضمان وحماية الاستثمار ، وعدم الازدواج الضريبى ، وشحن البضائع الإسرائيلية إلى السوق الداخلى المصرى مباشرة دون تفريغها – كما هو المتبع على الحدود وإعادة شحنها على الشاحنات المصرية .**

– **ويطالبون أيضا بالاسراع فى ارساء مشروعاتنا مع إسرائيل:**

فمصر تتعرض لمنافسة حقيقية من دول أخرى فى المنطقة غير إسرائيل ! كما يرى د. **محمود أبو عميرة.**

. والأوضاع متدنية فى مصر عنها فى إسرائيل ، حيث أن أجر العامل الإسرائيلى ١٣٠ جنيها فى اليوم ، ومتوسط دخل الإسرائيلى ١٣ر٥٠٠ دولار فى العام ، كما يرى **محمود عباس زكى.**

× **والدكتور والى:**

– يتمسك بتواجد الخبراء الإسرائيليين فى مراكز البحوث الزراعية ، رغم صدور توجيهات عليا بتقليص عددهم إن لم يكن تصفية وجودهم.

– يعطى صلاحيات واسعة لموظف بوزارة الزراعة هو السيد/فؤاد أبو هديب والذى يرأس الوفود المصرية إلى إسرائيل ، ويصرح فى جريدة " **النيويورك تايمز**" الأمريكية **بأن الزراعيين المصريين يرحبون بالتعاون مع إسرائيل حيث أن الزراعيين لايهمهم السياسة ولكنهم يتكلمون بلغة واحدة !**

– ويدعو فى نهاية مارس ١٩٩٥ إلى تطوير المشروعات المصرية الإسرائيلية المشتركة ، فى إطار ماتحقق من نجاح فى المشروعات القائمة.

× والسفير الإسرائيلى فى القاهرة يشيد بالتعاون الوثيق بين مصر وإسرائيل وخاصة مع شركة " **مصر أمريكا" للصوبات الزراعية** ، ويبدى تدعيم ومساعدة إسرائيل للتعاون بين هذه الشركة وشركة " فريور" الإسرائيلية لإنتاج زهور القرنفل!!

.. ولكن غالبية المصريين لهم رأى آخر..

* مؤتمر الاقتصاديين الزراعيين العرب الذى عقد فى ٢ ، ٣ فبراير ١٩٩٤ وشارك فى أعماله د. **أحمد جويلى** وزير التموين الحالى، ود. **محمد أبو مندور** أستاذ الاقتصاد الزراعى بجامعة القاهرة – أثبت من خلال بحوث علمية **أكذوبة التفوق الإسرائيلى على مصر فى الزراعة.**

* د. **جمال صيام** أستاذ الاقتصاد الزراعى يقرر أن إسرائيل قد تكون متفوقة علينا فى التنظيم والإدارة ولكن ليس فى تكنولوجيا الزراعة .

* د. **عبد الهادى راضى** وزير الرى يؤكد أنه لن تخرج نقطة واحدة من مياه النيل إلى إسرائيل.

* **سعد هجرس** نقيب الزراعيين السابق يؤكد أن التقدم الزراعى والتفوق البحثى والتكنولوجى للزراعة المصرية أقوى بكثير مما حققته إسرائيل .

* الصحفى الكبير عبد السلام داوود يتساءل : هل مصر – أول دولة فى العالم عرفت الزراعة – قد أصبحت اليوم مزرعة تجارب لإسرائيل ؟

* وحتى من أوفدوا لزيارة إسرائيل لاكتشاف عظمة التكنولوجيا الزراعية بها، عادوا ليؤكدوا عدم صحة ذلك:

– المزارع **عبد الرحمن على حسن القاضى** – عضو جمعية الفيوم للإصلاح الزراعى يقول : " خرجت من خلال زيارتى التى استغرقت شهرا ، ومن خلال ما رأيته من مزارع مكشوفة أو مغطاة داخل الصوب ، وبالنسبة لجميع المحاصيل والخضر هناك .. لايزيد عن الزراعة فى مصر شيئا ".

– والباحث **اسماعيل عبد البديع** رضوان ، يقول: " لم أنبهر بالمعجزة الإسرائيلية فى الزراعة ، فمركز بحوث الصحراء الذى أعمل به فى مصر مستودع الخبرات التقنية العالمية الحديثة فى كل المجالات الزراعية والمائية وحتى الهندسة الوراثية".

* وأساتذة قسم النبات بكلية الزراعة جامعة الأزهر استجابوا لرؤية **د. عبد الفتاح الشيخ** رئيس جامعة الأزهر ورفضوا التفرغ للمشروعات البحثية الإسرائيلية رغم ضخامة مكافآتها.

.. وإذا لم يكن لإسرائيل – كما تبين – هذه القيمة التكنولوجية العالية – كما يرى د. والى – فى المجال الزراعى..

فلماذا اذن هذا الاصرار على توسيع وتعميق العلاقات معها فى هذا المجال ؟

× هل لدعم الكيان الوطنى الفلسطينى كما يتردد ؟.

يجيب عن ذلك المسئولون الفلسطينيون:

* **أحمد قريع** . وزير الاقتصاد فى السلطة الفلسطينية . يقول : " لسنا فى حاجة إلى تكرار أن كل معاناتنا الاقتصادية هى نتيجة الممارسات الإسرائيلية بمالا يمكن معه لأى فلسطينى – مهما كان براجماتيا – الاغراء بالتعامل مع إسرائيل.

ومن ثم لابديل أمامنا سوى الانفتاح على الأمة العربية . وهذا خيار استراتيجى بالنسبة لنا وليس خيارا تكتيكيا ".

* د. **بسام القدرة** . مدير ادارة التعاون بالسلطة الفلسطينية يوضح: " الضفة الغربية لاتشكو من قلة مصادر المياه فلدينا خزان من أكبر الخزانات فى وسط الضفة الغربية ولكننا للأسف محرومون من الاستفادة منه ، حيث قامت إسرائيل بإنشاء عشرات المستوطنات فوقه وحرمت على الفلسطينيين أن يقوموا بحفر أى بئر مياه جديدة".

× هل لصالح الأمة العربية ؟

يجيب عن ذلك د. **حسن إبراهيم** – الأمين العام لمجلس الوحدة الاقتصادية بجامعة الدول العربية– بقوله: " **السوق الشرق أوسطية تقع خارج واقعنا . لذا يجب أن نواصل العمل من أجل اقامة التكامل الاقتصادى العربى**"

× .. وأخيرا .. هل من أجل السلام الحقيقى؟

وخير من قام بالرد على ذلك الهاها شنودة ، حيث يقول : " **الشعب المصرى ترفض أغلبيته الساحقة التطبيع مع إسرائيل والغريب أن إسرائيل تريد أن تكون لها علاقات " طبيعية" مع العرب ، فى ظل إصرارها على وجود أوضاع سياسية وعسكرية " غير طبيعية" !**

# العمال ..
# بعد عشرين عاما من
# الانفتاح الرأسمالى

مدحت الزاهد

**الليبراليون فى الاقتصاد .. شموليين فى السياسة ..**

**هذا ماتؤكده وقائع مايجرى على الساحة العمالية منذ سنوات.** فبينما يمضى قطار الخصخصة سريعا ، فإن قطار الحريات السياسية والنقابية للطبقة العاملة .. قشاش .. بطئ .. اصابه العطب .

فمنذ سنوات تتبنى الرأسمالية المصرية الحاكمة ، فى مجال الاقتصاد ، سياسات تستهدف طرح وحدات القطاع العام للبيع ، وإطلاق حرية رأس المال .. وحرية الاستثمار .. وآليات السوق، بينما تواصل فى مجال الحريات النقابية نفس السياسة القديمة ، التى أصابت التنظيم النقابى بحالة تصلب فى الشرايين.

ومن المفارقات ، غير المذهلة ، أن الرأسمالية المصرية رفعت شعار حرية رأس المال ، بينما تبنت **مبدأ البناء الهرمى المركزى فى التنظيم النقابى** ، الذى يؤكد هيمنة العامل الأصفر ويحاصر دور اللجنة النقابية للمنشأة ، وينزع عنها كل اختصاصاتها الأصيلة .

ورفعت الرأسمالية المصرية شعارات حرية الاستثمار ، حتى لو مضت على جثة " الضمان الإجتماعى" للعمال ، وواصلت حملتها على كل مايتصل بالبناء الاقتصادى والاجتماعى للناصرية وماارتبط به من مكاسب للعمال والفلاحين والكادحين فى حق العمل وشروطه وفى مجال الإسكان والتعليم والصحة . الخ بينما لم تعرض البناء السياسى الناصرى سوى لعملية تصدع محدودة لصالح تعددية حزبية مقيدة تمت أساسا لصالح تعبئة القوى الاجتماعية القديمة ، **أما البناء النقابى العمالى الهرمى المركزى الموضوع تحت الحراسة المشددة ، فقد ظل عزيزا على قلب الرأسمالية لايمسه سوء ! ولاتشمله حملة معاداة الناصرية ،، ولايندرج ضمن قائمة الأهداف التى ينبغى دكها!**

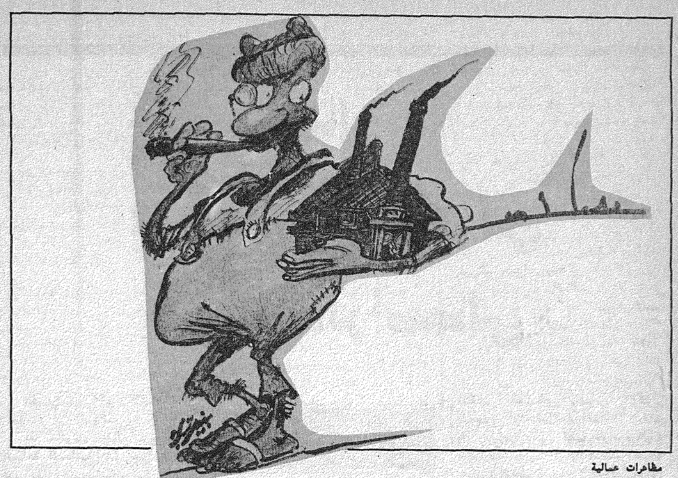
- قانون النقابات وقانون العمل الموحد
- ليبرالية فى الاقتصاد وشمولية فى النقابة
- الرأسمالية ترفع شعار حرية رأس المال واستعباد العامل.

ويعكس هذا التناقض الصارخ بين التحولات الاقتصادية والاجتماعية وبين أوضاع الحريات السياسية والنقابية العمالية ميولا أصيلة لدى الرأسمالية المصرية فى معاداة الطبقة العاملة ، وحقها فى الحرية ، وفى التنظيم المستقل ، والتعامل مع كل حركة احتجاج عمالى كمجرد حادث شغب ينبغى قمعه.

## علاقات عمل جديدة

ولو تابعنا محطات قطار الخصخصة منذ اعلان سياسات الانفتاح الاقتصادى ، لاستخلصنا هذه الميول ، واضحة بغير رتوش ، فى إطار عملية شاملة لاعادة صياغة علاقات العمل بازالة العقبات القانونية والفعلية التى تحول دون تكثيف استغلال الطبقة العاملة المصرية من قبل رأس المال المحلى والأجنبى . مع الاستمرار فى سياسة حرمان الطبقة العاملة من حق الدفاع.

* **ويمثل القانون ٢٠٣ - قانون قطاع الأعمال العام - أحد العلاقات** الهامة ، كمرحلة انتقالية ، منحت الضوء الأخضر لتهيئة وحدات القطاع العام للبيع ، باطلاق يد الإدارة فى إعادة ترتيب الهيكل



مظاهرات عمالية

الوظيفى ، ولو بالمخالفة للقانون ، والغاء دور الإدارات القانونية - التى كنا نطلب لها حصانات القضاء - وتخفيض العمالة ، بالتصفية التدريجية أولا للعمالة المؤقتة ( عمال العقود ) ، وتخفيض الأجور ، بانتهاج سياسة الحرمان الرامية لتغيير ( الأجر المتغير ) ،وتسعير منتجات القطاع العام وفقا لآليات السوق ، بعد التراجع عن فكرة" الدعم".

* كما أن قانون العمل الموحد ، الذى تم وضع لمساته الأخيرة. - والذى سوف يأتى الحديث عنه تفصيلا- يمثل علامة أخرى على هذا الطريق حيث يضفى المشروعية على التراجع على المكاسب التى حققتها الطبقة العاملة والكادحين سواء تعلق الأمر بحق العمل ، أو شروطه ، أو حق العمال فى الأجر العادل.

* كما تجرى الآن تعديلات على القانون تستهدف رفع اشتراك العاملين فى التأمين الصحى ، وتحملهم نسبة أكبر فى تكاليف العلاج.

* وجارى اعداد تعديلات على قانون التأمينات الاجتماعية لتخفيض حصة العاملين من المكافآت والأجور فى حالة الاغلاق القسرى لوحدات العمل ، مع احتمالات عمليات التشريد الجماعى الواسعة للعمال فى ظل سياسات الخصخصة . وينهض هذا الإطار القانونى الجديد على أرضية أوسع تم فيها الغاء القسم الأعظم من دعم الخدمات والسلع الرئيسية ، بما أدى إلى ارتفاع نفقات المعيشة ، وتغيير علامات حدود خط الفقر ، وهبوط فئات اجتماعية جديدة تحت هذا الخط ، حيث لم تواكبها الزيادات الهزيلة فى الأجور.

## مناورة

ويجدر الذكر أن بعض هذه المشاريع ، التى تم وضع لمساتها الأخيرة لم تعرض على مجلس الشعب فى دورته الحالية ، بسبب بسيط هو قرب موعد انتخابات مجلس الشعب .. ولأن الحكومة لاترغب فى سكب الزيت على النار قبل شهور من انتخابات عامة يتوقع لها المراقبون أن تكون ساخنة ، فقد تم تأجيل طرح قانون العمل الموحد ، والإسكان ، والتعديلات على قوانين التأمينات الصحية والاجتماعية ، ورفع أسعار الطاقة ، إلى مابعد إجراء الانتخابات .

ولكن " حكمة " الحكومة لم تتصرف إلى قانون النقابات العمالية حيث أن التعديل كان مطلوبا لمد الدورة النقابية إلى خمس سنوات تفاديا لاحتمالات التهاب الأجواء ، على الأخص وأن المواقع العمالية كانت متوترة قلقة ، وعلى الأخص أيضا وأن إجراء الانتخابات فى ظل القانون الحالى كان ينطوى على خطر حرمان القيادات الصفراء من مواقعها ، أولا لأن عملية الفرز فى ظل سياسات الخصخصة أضعفت بالفعل هذه المواقع ، وثانيا لأن بعضهم كان قد بلغ سن التقاعد ، وثالثا لأن بعضهم كان مرشحا لشغل مناصب الإدارة العليا ، وهو مايعنى الحرمان القانونى لهذه القيادات من فرصة التمثيل النقابى.

## التفاف

وقد صدرت التعديلات فى جوهرها لتتحايل على كل هذه الأوضاع ، كما سوف نرى بالتفصيل ، فقد جرى الالتفاف على عملية الفرز بجواز ترشيح القيادات للمستويات العليا فى

الهرم النقابى ، دون طلب الثقة من الجمعية العمومية لوحدة المنشأة ، وجرى الالتفاف على سن التقاعد بجواز الترشيح بعد السن بشرط الاستمرار فى العمل فى وحدات القطاع الخاص ، وجرى الالتفاف على شرط حرمان ممثلى الإدارة العليا من الترشيح بابتداع نظرية " الخبرة التاريخية" للقيادات التى شغلت مواقعها لدورتين متصلتين.

**مصالح الأرستقراطية العمالية**

ومن المفارقات أن القيادات التى ابتدعت نظرية " الخبرة التاريخية" التى تجيز لشاغلى مناصب الإدارة العليا ، والذين تحولوا إلى ممثلين لصاحب العمل ، الترشيح لانتخابات النقابات العمالية ، هى نفسها التى رفضت اسقاط مواد القانون التى كانت تقيد حق المهنيين فى التمثيل النقابى بـ ٢٠٪ فقط ، رغم الضم القسرى لخريجى الدبلومات الصناعية والفنية والتجارية وما فى مستواها إلى نقابة التطبيقيين . بمجرد اخطار من وزارة التعليم بأسماء الخريجين.

ولاوجه للعجب لأن هذا القطاع العمالى العريض ، الذى يمثل الآن قرابة ٥٠٪ من العمال ، يعكسون القوى الأكثر وعيا وتقدما فى الحركة العمالية ، بينما لايمكن تأمين استمرار الأرستقراطية الصفراء فى مواقعها الحالية، إلا بغلبة العناصر الأقل وعيا ..

وقد عصف حكم المحكمة الدستورية العليا- كما سوف ترى فى هذا الملف - بهذا النص الذى دافعت عن استمراره القيادات العمالية الصفراء فى مجلس الشعب ، وعصف بكل التنظيم النقابى الذى ترتب عليه .

ومن الملفت للنظر أن عمليات الالتفاف التى شهدتها النقابات العمالية لتجميد أوضاع القيادات الحالية على قمة الهرم ، شهدتها النقابات الأخرى بصور مختلفة . ففى النقابات الخاضعة للسيطرة الحكومية جرت تعديلات تسمح بمد سنوات الخدمة لرؤساء مجالس إدارات وتحرير الصحف ، وفى النقابات الخاضعة للسيطرة الاخوانية - وامتدادا لمنطق الحكومة فى المواجهة الأمنية والإدارية- تم فرض الحراسة . ولكنها وإن صدرت بتشريعات من مجلس الشعب ، أو باحكام القضاء ، إلا أنها قد عكست مناخا عاما لتأميم النقابات ، ضمن نفس التوجه الرامى لتقييد نشاط الأحزاب . وهى كلها أيضا تعكس أزمة التناقض بين التحولات الاقتصادية والاجتماعية وبين البناء السياسى والنقابى . وهى كلها تشير إلى نوع من أنواع أزمات الحكم التى تعجز فيها الحكومة عن افراز قيادات جديدة ، أو الاحتفاظ بالمواقع السابقة لقياداتها قد تنتهج سياسة تصلب الشرايين .

فالحكومة ، كخط عام ، بدلا من أن تطلق حرية النشاط النقابى ، ولو على سبيل توازن جماعات الضغط - مع النفوذ الواسع لجماعات رجال الأعمال - أضافت قيودا جديدة على القيود الأصلية ، أصحاب الليبرالية الاقتصادية هم أنفسهم أصحاب الشمولية النقابية ، رغم اختلاف الظلال والألوان ، كما سوف نرى عند مقارنة اتجاهات فروع قانون العمل الموحد ، مع قانون النقابات العمالية الذى أقره مجلس الشعب فى جلسة" تاريخية" شارك فيها ٣٨ نائبا فقط!

## قانون الرأسمالية

وضعت الحكومة اللمسات الأخيرة لقانون العمل الموحد الذى أضفى المشروعية على حرمان العمال من الحق فى العمل ، حيث يبدأ القانون - كما يشير بيان اللجنة القومية لمقاومة الخصخصة - بتحرير أصحاب الأعمال من الالتزام التاريخى باشراف القوى العاملة على التعين ، بإطلاق حق أصحاب الأعمال فى التعيين من خارج قوائم المنتظرين ، حيث ينحصر الغرض من تسجيل أسماء الراغبين فى العمل - وفقا للمذكرة الإيضاحية - فى" جمع البيانات الاحصائية الصحيحة عن القوى العاملة فى مصر"!

ولم يأخذ القانون عن التجارب الرأسمالية الأخرى مبدأ " اعانة البطالة"ان عجزت الدولة عن توفير الحق فى العمل .

أكثر من هذا أعطى القانون لصاحب العمل الحق فى الإغلاق الكلى أو الجزئى للمنشأة أو تقليص حجمها أو نشاطها.

ويجيز لصاحب العمل انهاء العقد إذا استند إلى مبرر مشروع وكاف يتعلق بقدرة العامل أو سلوكه أو الظروف الاقتصادية للمنشأة، وهى تغيرات مطاطة لاتقدم أى حماية للعمال ، ثم ينص فى مادة أخرى على جواز فصل العامل إذا لم يقم بتأدية التزاماته الجوهرية .

فالروح المسيطرة على القانون كله أن الحق فى العمل رهن بارادة صاحب العمل ، وأن فصل العمال ، هو مجرد انهاء لعلاقة العمل وليس حالة تشريد .

كما أن المشروع يلغى ضمانة كان يوفرها قانون العمل الحالى ( ١٣٧ لسنة ٨١ ) ضد الفصل التعسفى والخاصة بالزام صاحب العمل بأداء أجر العامل حتى الفصل فى الدعوى ، فى حين يختصر المشروع الحالى الفترة إلى ثلاثة شهور فقط ، كما أن مشروع القانون الحالى يحرر صاحب العمل من كل قيد يتعلق بحقوق العمالة المؤقتة.

كما أن مشروع القانون أطلق يد صاحب العمل فى فصل العمال دون العرض على اللجنة الثلاثية.

## الأجور

وإذا كانت اتجاهات قانون العمل الموحد قد سايرت رجال الأعمال فى مطالبهم الخاصة بالتحرر من القيود التى تتعلق بحق العمل ، إنها أيضا قد أضفت المشروعية على حق صاحب العمل فى تخفيض الأجر.

" وفى الحالات التى يحق فيها لصاحب العمل انهاء العقد لأسباب اقتصادية ، يجوز له بدلا من استخدام هذا العقد أن يعدل من شروط العقد بصفة مؤقتة ، وله على الأخص أن يكلف العامل بعمل غير متفق عليه ، ولو كان يختلف اختلافا جوهريا عن عمله الأصلى ، كما أن له أن ينقص أجر العامل ، بما لايقل عن الحد الأدنى للأجور ".

واستحدث المشروع **تشكيل المجلس القومى للأجور** بقرار من رئيس الجمهورية، وبرئاسة وزير الاقتصاد وعضوية ممثلين متساوين عن منظمات رجال الأعمال والعمال ، وحدد اختصاصاته فى :

* اقتراح الوسائل والتدابير التى تكفل تحقيق التوازن بين الأجور والأسعار.
* اقتراح الحد الأدنى للأجور مع الأخذ فى الاعتبار نفقات المعيشة ، على أن يعاد النظر فيها كل ثلاث سنوات على الأكثر .

ولكن القانون أغفل السلم المتحرك للأجور ، وتجاهل الأجر الحالى الذى يشتمل على مختلف صور الأجر الأساسى والمتغير وكافة المزايا النقدية والعينية.

## ساعات العمل

وحدد مشروع القانون ساعات العمل بثمانى ساعات ، بدلا من سبعة فى القانون الحالى ، واختصر فترة الاجازة السنوية إلى أسبوعين فقط هما ٦ أيام أجازة عارضة ، على أن يأخذ منها ٦ أيام متصلة فقط ، ولصاحب العمل اختيار التوقيت المناسب.

ورغم مايثار حول مقارنة المشروع الحالى بالقانون ٤٨ لسنة ٧٨ إلا أن الجديد الذى يحمله هذا القانون ، هو تطبيقه كقانون للعمل الموحد على عمال وحدات القطاع العام الذين كان يطبق عليهم القانون ١٣٧ لسنة ٨١ ، فمواد القانون الحالى أعدت بروح تحويل وحدات القطاع العام إلى مؤسسات خاصة ،

وبدلا من تمتع عمال القطاع الخاص بمزايا قانون الحكومة والقطاع العام، تم تعميم القانون الأسوأ. والأكثر من هذا أن القانون قد ألغى تماما مبدأ الأجازة المرضية مدفوعة الأجر كما خفض أجازة الوضع بالنسبة للمرأة العاملة إلى ١٢ أسبوعا فقط، قبل وبعد الوضع، لمرتين فقط، كما أنقص حقها فى أجازة رعاية الأطفال (غير مدفوعة الأجر) إلى مرتين فقط، طوال مدة العمل.

### الاتفاقيات الجماعية

وحدد مشروع القانون ابرام الاتفاقيات الجماعية بموافقة ثلثى أعضاء اللجنة النقابية والنقابة العامة واستحدث نظام الوساطة بين العمال وصاحب العمل - قبل التحكيم - وحرم العمال من حق النزاع الجماعى أمام هيئة التحكيم بتقييد ممارسة هذا الحق باتفاق كتابى بين العمال وأصحاب العمل.

**ثم سلب القانون من العمال حق الإضراب** بتقييد ممارسة هذا الحق بموافقة ثلثى أعضاء النقابة العامة، وحظر ممارسته خلال فترات الوساطة والتحكيم وسريان الاتفاقيات الجماعية، كما حظر ممارسة هذا الحق فى المؤسسات الحيوية التى صدر بها قرار من رئيس الوزراء، ثم نص المشروع على أن الإضراب يوقف عقد العمل..

فماذا بقى إذن من حق الإضراب؟

### تدجين النقابات

وكما هو واضح فإن الفكرة الموجهة لقانون العمل الموحد هو تراجع دور الدولة فيما يتعلق بالضمان الاجتماعى والانحياز لمصالح رجال الأعمال، ومثل هذا التحول فى دور الدولة كان يوجب على الأقل تدعيم النقابات العمالية، كقوة ضغط، فى مواجهة نفوذ رجال الأعمال، ولكن ماحدث فعلا هو **تصديق مجلس الشعب على تعديلات على قانون النقابات استهدفت تأبيد سيطرة النقابيين الصفر، واخصاء دور اللجنة النقابية كممثل اعتبارى للعاملين لها حق التفاوض الجماعى، وتأكيد فكرة البناء المركزى الهرمى للتنظيم النقابى، الذى تظل فيه اللجان النقابية فى مواقع العمل مجرد ملحقات تابعة للنقابة العامة، بل أكثر من ذلك فإن قانون النقابات وحماية لمصالح بعض القيادات أجاز لشاغلى الوظائف العليا من الإدارة حق تمثيل العمال، بل أجاز لهم الترشيح مباشرة أمام المستويات العليا فى الهرم النقابى دون طلب الثقة من عمال المصنع.**

والحال أن قانون النقابات بدلا من أن يعالج التناقضات الجديدة فى مرحلة اعادة صياغة علاقات العمل بتدعيم التنظيم النقابى، ولو على سبيل توازن جماعات الضغط أضاف ثقوبا جديدة إلى الثوب المهترئ، وأصبحت حقائق التطورات الاقتصادية فى تناقض صارخ مع أوضاع الحريات السياسية والنقابية بما يهدد بانفجار الثوب.

ويكفى لادراك ما أصاب التنظيم النقابى من ضعف، فوق ضعفه، توضيح أنه **تم فى ٢٢ مادة معدلة شطب كلمة اللجنة النقابية - الأصل فى التنظيم النقابى - واستبدالها بالنقابة العامة**، بل أن المذكرة الإيضاحية كانت صريحة فى النص على أن (**التعديلات تجعل النقابة العامة هى الأصل فى التشكيلات النقابية، تتفرع منها اللجان النقابية**)!!.

وأحال المشروع سلطة فصل عضو اللجنة النقابية إلى الجمعية العمومية للنقابة العامة، بدلا من النقابة المصنعية التى أنتخبته، وأحال للنقابة العامة الموافقة على الاتفاقيات الجماعية والإضراب - بنسبة الثلثين - ومنح عضو الاتحاد العام والنقابة العامة الحق فى الاحتفاظ بعضوية الجمعية العمومية للمستويات الأعلى إذا احتفظ بموقعه فى هذه المستويات لمدة دورتين متصلتين وأجاز للمحالين على المعاش الاحتفاظ بعضوية النقابة العامة كما أجاز هذا الحق لشاغلى الوظائف العليا، وباختصار وضع **القانون النقابات تحت الحراسة المشددة، بدون حكم قضائى!**

وتجاوزا لمرحلة التوتر العمالى الحالى مد القانون الدورة النقابية الى خمس سنوات، ثم أكد حق وزير القوى العاملة فى طلب الحكم بحل مجلس إدارة المنظمة النقابية، من المحكمة الإبتدائية. فالقانون منح السلطة التنفيذية، بوسائل عديدة، فرص الهيمنة على التنظيم النقابى العمالى.

### الأزمة والحل

وقد كان من نتائج هذا الاتجاه الحكومى لتدجين النقابات العمالية أن أطاحت كل حركات الاحتجاج العمالى بالنقابة ووضعتها فى صف الإدارة وشكلت قيادة حركة الاحتجاج من خارج أعضاء النقابة مقلمة الأظافر، والتى لاتجد مايسترها فى زمن الخصخصة وهجوم رأس المال على حقوق ومكاسب العمال.

ولكن الحكومة بدلا من أن تعالج الأزمة باطلاق حرية النقابات وتأكيد الشخصية الاعتبارية للجنة النقابية كممثل جماعى للعاملين فى التفاوض والتقاضى وابرام العقود الجماعية وتنظيم حركات الاحتجاج سلبت النقابة من كل هذه الحقوق.

وتعيش الحركة العمالية الآن، لحظة توتر ممتدة، ضاعف من آثارها حكم الدستورية العليا باطلاق الانتخابات التى جرت على أساس مواد غير دستورية فى القانون السابق والحالى، وهو نفس القانون الذى أصدرته بشأن بطلان انتخابات مجلس الشعب بعدم دستورية نظام القوائم.

أكثر من ذلك **فقد أكدت حيثيات الحكم امكانية التعددية النقابية، وحرية الانضمام الطوعى لمستويات التنظيم النقابى وضربت حيثيات الحكم فكرة البناء الهرمى المركزى فى الصميم.**

وللأمانة فإن القائد الشيوعى والنقابى البارز **عطيه الصيرفى** كان أول من تبنى هذه الدعوة غير انها واجهت أحيانا بما يشبه حملات التكفير، ودخل الحوار فى أزمة بسبب الخلط بين المبدأ الديمقراطى النظرى وبين ضرورات التكتيك التى تتعلق بأوضاع قوة وضعف الحركة، والمسار الأكثر احتمالا للدفاع عن استقلاليتها.

ومن الضرورى الآن بلورة برنامج عمل واعداد مشروع قانون يؤكد على **استقلالية الحركة النقابية وحرية التنظيم النقابى بتأكيد الشخصية الاعتبارية للجنة النقابية للمصنع وحقها فى تنظيم أشكال الاحتجاج دون وصاية من المستويات الأعلى فى الهرم، ويلغى عملية الخلط بين ممثلى صاحب العمل وممثلى العمال، ويلغى مبدأ الانضمام لأى مستوى أعلى فى التنظيم النقابى دون اجتياز اختبار الثقة فى اللجنة النقابية، ويعيد الاعتبار للجمعية العمومية لنقابة المنشأة، على أساس عدل الهرم المقلوب، بحيث تتفرع كل المستويات النقابية من نقابات المنشآت، لا العكس، كما هو حادث الآن،**

" هرم مقلوب، ونقابات منزوعة الصلاحيات".

أما الشكل الأمثل لتنظيم الحركة النقابية بكل مستوياتها فتحدده مصالح تطور الحركة، دون وصاية لا من الحكومة ولا من الارستقراطية الصفراء.. ولا من المثقفين!

**والأصل فى كل ذلك تأكيد استقلالية الحركة، ووحدتها الطوعية، لاتفتيتها، ولا اخضاعها لهيئة مركزية.**

# من إضراب السكة الحديد..

# إلى انتفاضة كفر الدوار

# الحوافز والبدلات والأرباح

# منطقة ملتهبة

# فى علاقات العمل

تشهد منطقة حلوان توترات متزايدة فى كافة المصانع تدور كلها حول حافز " التميز" أو مايعرفه عمال المصانع بحافز ال ٢٠٪ .

وهذا الحافز هو جزء من الأجر المتغير الذى تدور حوله معظم الإضرابات والاحتجاجات العمالية منذ سنوات طويلة بسبب عجز التنظيم النقابى عن المفاوضة لزيادة الأجر الأساسى ، ربما لخشية قياداته من اتهامهم بالاشتغال فى السياسة ، اوالمطالب الخاصة " بالأجر المتغير" - الأرباح والحوافز والمنح والوجبة - تمثل المظهر الرئيسى لتوتر علاقات العمل فى قضية " الأجور" والمصدر الرئيسى لحركات الاحتجاج العمالى الكبرى.

إضراب سائقى قطارات السكة الحديد عام ١٩٨٦ ارتبط بحافز الكيلو متر ، وحصة السائقين من الغرامات ، وبدل الخطر ، وبدل المبيت .. وإضراب عمال النقل الخفيف عام ١٩٨٧ ارتبط بحق العمال فى الأرباح ، واعتصام الحديد والصلب فى أغسطس ١٩٨٩ عبر عن الصراع بين الادارة والعمال حول طريقة احتساب الحافز، ومظاهرات عمال المحلة عام ١٩٩٠ كانت للمطالبة" بمنحة المدارس" والاعتصامات والمظاهرات فى المصانع الحربية ٩٠ و ٦٣و ٩٩ ارتبطت بالأرباح ، وانتفاضة كفر الدوار فى ١٩٩٤ كانت احتجاجاً على سياسة الحرمان من الحوافز التى انتهجتها الإدارة على نطاق واسع ، ومظاهرة عمال الغزل فى المحلة ، بعد كفر الدوار بأسابيع طرحت مطالب خاصة بالحافز والوجبة.

وأصل هذا الصراع المستمر حول " الأجر المتغير" أن الأجر الأساسى أقل من الحد الأدنى لاحتياجات تجديد قوة العمل ، أى أقل من حد الكفاف الذى يضمن للعامل وأسرته فرص الاستمرار فى الحياة.

والتنظيم النقابى بأوضاع ضعفه الراهنة لايطرح قضية الأجر الأساسى للمفاوضة ، كما أن حركة الاحتجاج العمالى لاتطرح مباشرة قضية الأجور، التى تبدو وكأنها تدخل فى السياسة العامة للدولة ، وأقتراب بالعمال من محظورات السياسة ، فتلتف على هذا المطلب العام، بالتركيز على مطالب " برئية " و" مصنعية" تتعلق بعلاقات العمل فى المنشأة أو المهنة يتخفى وراءها مطلب عمالى عام برفع الأجور بحيث أصبح الصراع على الأجر المتغير متلازما تماما مع تدهور الأجور.

والدليل على عمومية وشمول مطالب الأجور لكل القطاعات العمالية ، وأن الأجر المتغير أصبح " تكملة" للأجر الثابت أن معظم حركات الاحتجاج العمالى تجرى إما فى شهر

حركات الاحتجاج العمالى تجرى إما فى شهر

يناير .. شهر الأرباح ، أو شهرى يوليو وأغسطس حيث يتم الاتفاق على طريقة احتساب الحافز فى يوليو ، فضلا عما يمكن أن يطرحه العمال فى مناسبات خاصة ، كافتتاح المدارس والأعياد ومولد النبى وغيرها من المناسبات .

ورغم أن كل هذه المطالب تبدو مصنعية إلا أنه قد صار من الأعراف فى المناطق الصناعية الكبرى أنه ما أن يصرف عمال مصنع أى حافز أو بدل أو منحة ، حتى يسارع عمال باقى المصانع فى رفع شعار" المعاملة بالمثل" وآخر نماذج حالة السيولة فى المطالب العمالية هو ماتشهده منطقة حلوان الآن من توترات بسبب الخلاف حول حافز التميز.وكان د. عاطف عبيد ، نائب رئيس الوزراء ووزير قطاع الأعمال ، قد حاول تهدئة مخاوف العمال من تخفيض الأجور ( المتغيرة) بعد أن لاحت شرارة خريف الغضب فى أحداث مصانع الغزل والنسيج فى كفر الدوار والمحلة ، فأكد على حق العمال فى الشركات الخاسرة فى صرف" الأرباح" ، أو حافز التميز ، وذلك فى حالة تقليل الخسائر عن العام الأسبق ، على أن يكون الصرف بنسبة ٢٠٪ من قيمة الانخفاض فى الخسائر.

وقد أعقب هذا التصريح تحركات عمالية فى العديد من المصانع ، مع بداية صرف الأرباح ، وبدأت التحركات فى النقل الخفيف التى شهدت اعتصام العمال فى الهرم ووادى حوف ، وانتهى الاعتصام بعد مفاوضة مع المهندس عادل الدنف رئيس الشركة القابضة للصناعات المعدنية ، الذى وعد بصرف حافز التميز على دفعات ، بدأت فى شهر رمضان.

وفى المصانع الأخرى طالب العمال بتنفيذ تعهدات وزير قطاع الأعمال واستفسرت بعض إدارات الشركات عن طريقة الصرف ، وموارده ، وتلقت خطابات من المكتب الفنى للوزير ، وأضرب عمال مصنع الحلزونة فى شركة النصر للمواسير للمطالبة بالحافز وهدد باقى عمال المصنع بإضراب شامل فتقرر صرف ٤ شهور قبل انتهاء المهلة التى حددها العمال لبدء الإضراب بخمس دقائق ، وبعدها ومع بداية التوتر فى القومية للأسمنت تم صرف حافز التميز ( ٧ شهور) ، فى حين لايزال الوضع متوترا فى الحديد والصلب ، حيث تجرى المفاوضات بين وفد من اللجنة النقابية والمهندس على حلمى رئيس مجلس إدارة الشركة ، وعادل الدنف رئيس الشركة القابضة.

باختصار يلعب " الأجر المتغير" دور الشرارة فى كل حركات الاحتجاج العمالى بهدف تثبيته ورفعه لمواجهة التضخم والغلاء ، فى ظل تدهور مستويات الأجور..

## «الدستورية العليا»
## تلغى قيداً على تمثيل المهنيين
## فى نقابات العمال
## قبل صدور الحكم طالب نائب التجمع
## بإلغاء المادة ورفض «نواب الوطنى»

تاريخياً بعدم دستورية المادة ٣٨ من قانون النقابات العمالية بسبب ماتنطوى عليه من انتهاك لحرية التصويت وحرية الناخب فى اختيار ممثليه.

ومن المفارقات المثيرة أن مجلس الشعب كان قد أقر التعديلات على قانون النقابات العمالية قبل أسابيع من إصدار حكم الدستورية العليا، وأن محمد عبد العزيز شعبان، نائب التجمع، قد طالب بإلغاء هذه المادة بالذات، وحذر من تعديلات أخرى تستهدف استمرار هيمنة القيادات الحالية فى اتحاد نقابات العمال، وإضعاف دور اللجان النقابية القاعدية وحقها فى التفاوض الجماعى وإبرام العقود الجماعية، ولكن مجلس الشعب، فى جلسة حضرها ٣٨ نائبا فقط! تم فيها تعديل قانون النقابات! ترك المادة التى اعترض عليها نائب التجمع تمر! وأسقط معظم اعتراضاته على باقى المواد التى تقيد حرية التنظيم النقابى.

وقد صدر حكم المحكمة الدستورية العليا، مؤكدا ماذكره عبد العزيز شعبان عن عدم دستورية المادة ٣٨ التى تتعارض مع مبدأ تكافؤ الفرص وحرية الانتخابات.

وتنص المادة التى حكمت الدستورية العليا بإلغائها على:

"لايجوز الجمع بين عضوية مجلس إدارة المنظمة النقابية، والعضوية العاملة فى نقابة مهنية بما يزيد على ٢٠٪ من مجموع أعضاء هذا المجلس، مالم تكن أغلبية المنظمة النقابية من المنضمين إلى نقابات مهنية".

وقد صدرت هذه المادة للحد من تأثير المهنيين الذين عاشوا سنوات ازدهار الجامعة عندما طرحت المطالب الوطنية والديمقراطية فى انتفاضات ٦٨ و٧٢ و١٩٧٣ فى الحركة العمالية التى ارتبطوا بها بعد تخرجهم، والذى انعكس بصورة إيجابية فى الدورة النقابية للعمال ٧١ - ١٩٧٦.

وأضيف إلى هذا القيد، قيد آخر يستهدف تقييد فرص العمالة الفنية، التى تشكل النسبة الأعظم من القوى العاملة الحديثة، فى التمثيل النقابى، عن طريق الضم القسرى لهذه العمالة لنقابة المهن التطبيقية، بموجب القانون رقم ٦٧ لسنة ١٩٧٤ الذى فتح جداول النقابة لخريجى دبلومات المدارس الثانوية الصناعية والفنية ومعاهد إعداد الفنيين، وحملة الشهادات المماثلة .. الخ وألزم مديريات التعليم بإخطار النقابة بأسماء الخريجين خلال ٦٠ يوماً على الأكثر.

والحاصل أن كل هذه التعديلات استهدفت حصار دور العناصر الواعية فى التمثيل النقابى فتركت لهم حصة ٢٠٪ فقط، وحتى فى الحالات التى أراد فيها بعض أعضاء نقابة المهن التطبيقية التحرر من هذا القيد، بالاستقالة من عضوية النقابة، لم يكن ذلك سهلاً! وكان الأمر ينتهى بمأساة فى كل انتخابات حيث يتم إعلان نتائج الانتخابات وفقاً للأعلى أصواتا، فيفوز "المهنيون" الذين يثق فيهم العمال، ويدفعون بهم إلى مواقع الصدارة، ثم تتولى الجهات الإدارية عمليات "الغربلة"، وفقا للمادة سيئة السمعة (٣٨) فيتم استبعاد قيادات عمالية بارزة، لاستيفاء شرط ال (٢٠٪ الجائر).

وأكثر من ذلك فإن الجهة الإدارية كانت تطبق هذه المادة بمعايير مختلفة، تبعا لعنصر الولاء، مما نقل إلى ساحات المحاكم عشرات القضايا، رفعها منكوبو المادة ٣٨، ويفتح حكم الدستورية العليا الباب لخطوة فى سبيل الحريات النقابية وإلغاء المواد سيئة السمعة.

## الاستقالة المبكرة
## أسهل البدائل
## أمام الحكومة
## لتخفيض العمالة
## **
## الخصخصة تشترط
## تسريح ربع
## عمال القطاع العام

حسن بدوى

الطريق لتصفية القطاع العام أو خصخصته يبدأ بتفريغه من العمالة أو تقليصها إلى أقصى حد ممكن.

فى هذا السبيل تتبع الحكومة أربعة بدائل .. النقل من موقع لآخر لتفريغ الموقع الأول وبيعه أو تصفيته، وتحميل الموقع الثانى بعبء عمالة جديدة تضعف اقتصادياته ليبدأ - كالعادة - التشهير به، ثم وضع خطة تصفيته .. هذا هو البديل الأول..

**البديل الثانى**، هو التصفية المباشرة وصرف تعويضات هزيلة للعاملين، بلغت ٥ آلاف جنيه لكل عامل فى شركات قطاع الزراعة!.

**البديل الثالث**، هو التدريب التحويلى .. وهو طريق لم يستخدم بعد لأن ميزانيات مراكز التدريب تعانى من أنيميا حادة، ولأن المشروعات ذات التكنولوجيا الحديثة لم تستوعب بعد قدرا يسيرا من

العمالة الماهرة الحالية ولأن الحكومة لاتملك ، ولم تفكر حتى الآن ، فى سياسة واضحة لتطوير مراكز التدريب القائمة ولا استخدامها بشكل أمثل .

## البديل الأسهل

والبديل الرابع الذى يستخدم بتوسع الآن هو تشجيع العمال على الاستقالة ، أو مايسمى بالخروج إلى المعاش المبكر.

هذا البديل يجد استجابة من معظم العاملين بالقطاع العام .. الذين يفكرون الآن فقط فى الحصول على أفضل شروط للاستقالة .. لماذا؟

لأن العاملين بهذا القطاع معظمهم من كبار السن الذين بدأوا العمل فى شركاته منذ تأميمها أو إنشائها قبل ٣٥ أو ٣٠ عاما وقد اقتربوا فعلاً من سن المعاش.

ولأن مستويات التنظيم النقابى المختلفة ، والتى من المفترض أن تنتبه لخطورة ذلك على المجتمع ، لما يؤدى إليه من تحول جزء من الطاقة البشرية المنتجة إلى طاقة عاطلة ، وخطورته على مستقبل مواقع الإنتاج نفسها ، اعتادت طوال السنوات الماضية على عدم مواجهة السياسات الضارة بالعمل والعمال والاكتفاء بالسعى دائما - وفى أفضل الأحوال - لتحسين شروط الانهيار ، حتى لاتهتم ( خاصة القيادات المنتمية للحزب الحاكم) بمواجهة سياسات هذا الحزب ولو كانت معادية لقواعدها العمالية .

ولأن العمال ، نتيجة لكل مايلمسونه ويشاهدونه ، من فساد إدارى ، وفساد فى المجتمع ، ونهب وتخريب ، وتواطؤ لحماية الفاسدين فى أحيان كثيرة ، يئسوا من الإصلاح .

ولأن ظروف المعيشة الضاغطة تدفعهم للرغبة فى الحصول على تعويض أو مكافأة مقابل الاستقالة المبكرة ، تحت وهم إمكانية عمل مشروع خاص.

## منشورات صريحة

فى ٣٠ مارس الماضى ، أصدر المفوض على الشركة العربية للتجارة الخارجية منشوراً بخصوص تشجيع العاملين على الاستقالة جاء ذلك استجابة لتوجيهات وزارة قطاع الأعمال بهدف تخفيض العمالة.

خصص المنشور للعامل الذى أمضى فى الشركة أكثر من ٢٥ عاماً مكافأة - مقابل استقالته - توازى راتبه الأساسى حتى تاريخ إحالته للمعاش بشروط ألا تتجاوز مائة شهر من الأجر الأساسى وبحد أقصى عشرين ألف جنيه .

وللعامل الذى أمضى أقل من ٢٥ سنة مكافأة تساوى المدة التى قضاها بالشركة أو المتبقية له حتى إحالته للمعاش أيهما أقل ، وبحد أقصى لايتجاوز ١٥ ألف جنيه .

واستبعد المنشور مدد الإعارة والأجازات بدون مرتب من المدد المشار إليها عند احتساب المكافأة . وترك للعضو المفوض - أى صاحب المنشور - حق رفض أو قبول الاستقالة دون إبداء أسباب كما نص على أن يتضمن مبلغ المكافأة جميع مستحقات العامل عن مقابل الأجازات التى يقوم بها.

منشور مماثل صدر فى شركة الإسكندرية للتبريد لترغيب العمال فى الاستقالة بهدف تخفيض العمالة بمقدار ألف وخمسمائة عامل ليمكن للشركة تخفيض بند الأجور من ميزانيتها من ١٠٫٥ مليون جنيه إلى ٩٫٥ مليون ، وذلك بمنح العامل الذى يرغب فى الاستقالة مكافأة تتراوح بين ٣٥ - ٤٥ شهرا من راتبه الأساسى .

وكان بنك التنمية والائتمان الزراعى قد اتخذ إجراءات مماثلة أدت لاستقالة ٢٢٢٦ عاملاً.

منشورات عديدة مماثلة صدرت فى بقية الشركات .. وراءها جميعا توجيهات عامة من د. عاطف عبيد وزير قطاع الأعمال العام .

الهدف تخفيض العمالة بشركات ذلك القطاع بنسبة تصل إلى ٢٥٪ طبقا لتوصيات صندوق النقد الدولى ، أى حوالى ربع مليون عامل.

والهدف الأبعد هو تسهيل عمليات الخصخصة .. بصرف النظر عن إضافة جزء كبير من قوة العمل إلى صفوف العاطلين .. ليتحولوا من قوى منتجة إلى مخزون واسع للإرهاب .. أو الجريمة.

## تخريب فى القمة

هذا الأسلوب فى تخفيض العمالة سبقه فى مختلف المواقع تضييق كامل على العمالة ، رصده الخبير المصرى د. محسن الخضيرى فى دراسة قدمها لمؤتمر عقدته الجمعية المصرية للإدارة المالية فى سبتمبر ١٩٩٣ ، فى عدة مظاهر " استخدام أساليب الإرهاب الإدارى والعسف الوظيفى وإثارة المشاكل للعمال والحط من الأجور والحوافز وجعل مناخ العمل لايطاق ، وتضييق فرص الترقى خاصة أمام الكفاءات ، واختيار أسوأ العناصر والتى لاتصلح لشئ لتولى قيادة الشركات للتعجيل بنهايتها . واستخدام غيبوبة الفوضى واللانظام والفساد الإدارى لإشاعة روح اليأس والإحباط واستخدام أدوات الصراع الوظيفى وتشجيع حالات الظلم الصارخ وعدم احترام أى قواعد للعدالة وضرب الحائط بأى منطق أو قيم أو مثل عليا ".

ويهدف هذا الأسلوب - كما يقول د. الخضيرى - إلى إجبار العاملين على ترك المشروع بإرادتهم أو رغما عنهم ، ويتهم د. الخضيرى أصحاب هذا المنهج بأنهم " مرضى نفسياً أو مختلين عقلياً أو جواسيس تم زرعهم فى قمة الجهاز الإدارى ليقوموا - عن طريق هذا الأسلوب - بتدمير الإنسان ومقدرات الوطن .

ويؤكد أن هذا المنهج " يؤدى إلى نمو ظواهر الإرهاب وتفشى الجرائم الاقتصادية والاجتماعية وإلى تدهور كل شئ".

## نضال سد الثغرات !

كل هذا وغيره تعلمه قيادة التنظيم النقابى للعمال ، ولا تفعل شيئا سوى الاكتفاء بما تقدمه سكرتاريات الاتحاد العام من اقتراحات بحلول جزئية، لاتكفى - على الأقل لعدم امتلاكها لقوة التنفيذ - لترقيع سلبيات هذه الجرائم.

وفيما يخص قضية تشجيع العاملين على الاستقالة لم تملك سكرتارية التأمينات الاجتماعية باتحاد نقابات العمال ، سوى اقتراح " تعديل قانون التأمين الاجتماعى بحيث يجيز قيام صاحب العمل الذى يرغب فى تحفيز عماله على الاستقالة ، بتأدية اشتراكات التأمين والمكافأة للعامل عن المدة الباقية لبلوغه سن الستين ، وتسوية معاشات العامل على اعتبار أنه قد بلغ الستين أى بدون تخفيض للمعاش على الأجر الأساسى أو المتغير ".

ومع ذلك فهو يبقى مجرد اقتراح لايحل مشكلة إخراج ربع العمالة من قوة الإنتاج إلى صفوف العاطلين، ولايملك قوة التحول إلى تعديل تشريعى .

ولأننا ندعو إلى خطة لتوظيف القوى البشرية العاطلة .. وليس العكس .. وإلى أن يكون التوظيف منتجاً ومجدياً .. فإننا لابد أن نلفت النظر إلى أهمية التدريب التحويلى ، أو إعادة تأهيل العمالة خاصة مع ضرورات التعامل مع التكنولوجيا الأحدث.

وهذا البديل ندعى أنه ممكن . بشرط وجود حكومة مقتنعة به .. مستعدة للاسهام فى تكاليفه ورعايته كضرورة قومية واجتماعية ورأسمالية حقيقيين ، تدرك كأى رأسمالية محترمة فى العالم أنها شريكة أساسية فى المسئولية عن تطوير البحوث والتدريب لصالح النشاط الإنتاجى أولا وبالتالى لصالح المجتمع كله .

فما هو واقع الحال فى هذه القضية.

# الحكم.. والإخوان المسلمون

# «البطل.. والدوبلير»

أصدر الإخوان المسلمون بيانا هاماً وشاملاً تم توزيعه على كافة القوى السياسية نشرته الشعب والحياة اللندنية في ٢ مايو " يقدمون أنفسهم كقوة سياسية واضحة التوجه ، تقبل الديمقراطية ، ويشارك في اللعبة السياسية على أساس قبول شروط هذه اللعبة وليس كبديل بصنع أسساً جديدة . كما استهدف البيان بوضوح إزالة المخاوف المتراكمة من الممارسة السابقة والموروث الفكرى الإخوانى بشأن بعض القضايا " كالعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين".

وقبل الدخول في حوار مع هذا البيان الشامل للإخوان المسلمين يجب أن نضعه في سياقه العام وهو الصراع بين الحكم والإخوان استعداداً من الطرفين لمرحلة مابعد انحسار موجة الارهاب الفردى باسم الدين الذى قادتها جماعات الإسلام السياسى الاحتجاجية " الجماعة الإسلامية - الجهاد" بعد الضربات الأمنية المؤثرة من الحكم وسيطرته على الأمور . فالحكم من ناحيته شدد من قبضته الاستبدادية مستفيدا من ضعف البدائل السياسية ، إما لأزمتها الخاصة كالبديل اليسارى ، وإما لعدم قناعة القوى الإجتماعية التى يعبر عنها بتمثيله والتعبير عن مصالحها من خلال السلطة كالتيار الليبرالى .

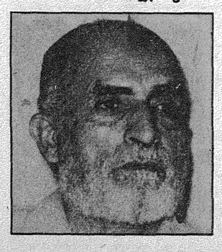
أما البديل الآخر وهو الإسلام السياسى فقد أفصح عجز جناحه الراديكالى الاحتجاجى فى تحقيق أهدافه فضلاً عن

**أحمد عبد القوى زيدان**

انحسار العائد النسبى الذى حظى به فى بداية صراعه مع الحكم وقد انتهى الصراع على هذا التيار أو كاد لصالح الحكم.

ويبقى الإخوان المسلمون ، كبديل سياسى يرفض العنف فى الممارسة اليومية منذ عودته للعمل السياسى مع الانفتاح الاقتصادى، ويطرح نفسه بديلاً سياسياً للنظام الحاكم بمعنى الأقدر على تمثيل التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية التى عبر عنها الحكم ولكن بشكل أفضل - لابمعنى

مصطفى مشهور



البديل الطبقى- ومما يزيد من حدة الصراع بين الحكم والإخوان

أولا: أن الإخوان كبديل سياسى يتنافس مع الحكم على التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية التى يعبر عنها.

ثانيا: إن الإخوان قوة سياسية تمتلك كفاءة تنظيمية عالية كما تمتلك القدرة الاقتصادية الكبيرة ومن ثم القدرة على الاستمرار السياسى المستقل بعيدا عن سيطرة الدولة.

ثالثا: استفاد الإخوان من المحنة الفكرية للنظام الحاكم فى اختراق أجهزة الحكم ويرتبط هذا بما ذكرناه أولاً.

رابعا: استطاع الإخوان المسلمون التأثير الفكرى على رجال المؤسسة الدينية ( الأزهر) تأثيراً يكاد يصل إلى حد الهيمنة ، وذلك فى إطار محاولة منع الحكم من استخدام المؤسسة الدينية لتكريس مشروعية السلطة . واستخدامها من قبل الإخوان لتسييد الخطاب الدينى السلفى فى المجتمع ومن ثم تحقيق همنة ثقافية يستخدمها الإخوان سياسيا.

خامسا: يعد الإخوان بديلاً مقبولاً لدى القوى الخارجية الداعمة للحكم أو على الأقل لقطاعات هامة منها . ولقد نشر أخيرا عن بروز جناح من الإدارة الأمريكية يسعى لفتح قنوات للحوار مع الجناح المعتدل من التيار الإسلامى الذى يمثله الإخوان المسلمون.

سادسا: إن هذا البديل هو الأقدر على خوض انتخابات برلمانية تدشنه بديلاً سياسياً بالطريق الديمقراطى( راجع ماأوردناه أولا)

لكل هذه الاعتبارات شدد الحكم ضرباته الأخيرة إلى الإخوان المسلمين وذلك حتى لاتتحول الأزمة الخانقة وقوى الغضب الناتج عن معاناتها إلى رياح دافعة لاشرعة سفينة الإخوان المسلمين، تحرمه - أى الحكم - من القوى الإجتماعية التى يستند إليها ومن القوى الخارجية الداعمة له. وقد اعتمد الحكم فى مواجهته على الهجوم الإعلامى، استخدام التشريع، قبضة الأمن.

## الهجوم الإعلامى

شن الحكم حملة دعائية ضد الإخوان تمثلت فى التوحيد من كافة أشكال وتعبيرات الإسلام السياسى ووصمها بالإرهاب ولقد استفاد الخطاب الدعائى للحكم فى ذلك من عدد من الدراسات العلمية الجادة والتى ركزت على ما يجمع هذا التيار ويوحده، خاصة مما أكدته من أنه فى مرحلة الحشد والمعارضة يسود الطرح الأيديولوجى ويختفى أو يكاد الطرح السياسى أو يقتنع أيديولوجيا فيختفى التنوع المعبر عن التشكيلات الاقتصادية الاجتماعية المختلفة ويسود خطاب أيديولوجى يوحد بين هذه القوى. ولقد ساعد الحكم فى اتهامه للإخوان بمساندة الارهاب موقف الإخوان من الإرهاب وهو موقف من لايمارسه بيده ولكن لا يقف ضده بل كثيراً مايحاول تبريره إذا نقده. ولقد استخدم الحكم الموروث الإخوانى التاريخى لدمغ الاخوان - المعاصر - بالارهاب - ولقد شنت الصحافة هجوما عنيفا على عدد من رموز الإخوان وبصفة خاصة مصطفى مشهور باعتباره أهم المرشحين لتولى موقع المرشد العام خلفا لحامد أبو النصر المتقاعد لكبر سنه وعدم قدرته الصحية على مزاولة مهام منصبه، ولقد وصلت الحملة إلى ذروتها بهجوم رئيس الجمهورية على الإخوان سواء فى الصحافة الأمريكية التى وصف جماعة الإخوان على صفحاتها بأنها أهل الإرهاب أو فى حديثه لصحيفة الحياة الدولية أو ماكرره فى خطابه الأخير فى أول مايو.

## التشريع

وتم استخدام الحكم للتشريع كآلية من آليات الصراع مع الإخوان وذلك فى مواجهة سيطرة الإخوان على عدد من مجالس إدارات النقابات المهنية وعجز الحكم والقوى السياسية الأخرى عن مواجهتهم بالأساليب السياسية الديمقراطية ولقد استفاد الحكم من أخطاء الممارسة اللاديمقراطية والمعبرة عن الموروث الإخوانى المغيب للآخر فى إيجاد بعض التأثير فى هذه المواجهة.

## الأمن

وفى النهاية لم يجد الحكم إلا مااعتاد عليه طوال سنوات طويلة فى مواجهة نشطاء كافة القوى السياسية لم يجد سوى قبضة الأمن فتم اعتقال أكثر من خمسين قيادة نقابية للإخوان ضمت وجوهاً بارزة معروفة على المستوى العام أبرزها د. عصام العريان الأمين العام المساعد لنقابة الأطباء، والنائب السابق عن الإخوان فى مجلس الشعب.

فى مواجهة هذا الهجوم لجأ الإخوان إلى عددمن التكتيكات تمثلت فى:

- شن حملة ضد الفساد وذلك دون تسديد الضربات للأساس الاجتماعى للنظام ومن ثم ترسيخ أن الفساد وليد قادة النظام وليس وليدا لسياسة ومن ثم يكون المنطقى طرح بديل لقيادة النظام لا لتغييره وهو مايضع فى سفينة الإخوان.

- قيادة بعض النقابات المهنية فى مواجهة الحكم باعتبار الإخوان فى هذه الحالة قيادة لعمل ديمقراطى فى مواجهة استبداد الحكم كما أن هذا العمل يبعد النقد عن تصرفات الإخوان فى النقابات لأنه يضع ناقديه فى مربع الدفاع عن الحكم المستبد.

- لقد لجأت جماعة الإخوان إلى اختيار نقابة المهندسين لتكون ساحة لهذا العمل الذى تصاعد إلى الآن (راجع التحقيق الهام نقابة المهندسين شمولية الإخوان وتدويل الأزمة مصباح قطب " اليسار أبريل ٩٥).

د. عصام العريان



- إصدار عدد من البيانات تقدمهم - أى الإخوان - إلى الجماهير والقوى السياسية الأخرى والقوى الخارجية الداعمة باعتبارهم قوة ديمقراطية تقبل الاعتراف بالآخر ولاتهدد أسس اللعبة الديمقراطية.

ويعد البيان الأخير (بيان للناس من الإخوا المسلمين ١٩٩٥/٥/٢) أكثر بيانات الإخوان شمولاً وهو واحد من أدوات الإخوان فى الصراع مع الحكم ويتضح ذلك من كلمات البيان ذاته (وان كان الاخوان المسلمون رأوا من حق الناس عليهم حقهم على أنفسهم أن يعلنوا بنبرة عالية وصوت جهير وحسم لاتردد فيه - موقفهم الواضح من عدد من القضايا الكبرى التى هى موضع الحوار القائم من أصحاب الحضارات المختلفة فأصدروا فى العام الماضى بيانات تحدد موقفهم الصريح من قضايا الشورى والتعددية السياسية وحقوق المرأة وإذا كانت هذه البيانات فيما تعلم قد لقيت قبولاً عاماً لدى المنصفين والباحثين عن الحقيقة .. الذين يسعدهم أن يلتقى الناس جميعا على الخير والعدل والحق فإن استمرار محاولات التشكيك وسوء الظن المتعمد واختلاق الأقاويل والأراجيف اضرارا بالتيار الحضارى الإسلامى من عمومه وردا على من يحاربونه ويحرصون على إزاحته من الطريق يجعلنا نعود من جديد لنعلن فى وضوح كامل موقفنا من القضايا الكبرى التى تشغل أمتنا وتشغل الناس من حولنا)

وقد حدد البيان هذه القضايا بأربع:

قضية الموقف من الناس جميعا مسلمين وغير مسلمين.

قضية الدين والسياسة.

قضية العمل السلمى ورفض العنف والارهاب.

وقضية حقوق الإنسان.

ولنا بعض الملاحظات على البيان:

١) إن البيان اتسم بالخطاب الدعوى وليس الخطاب السياسى وقصد بالخطاب الدعوى التركز على العموميات الإسلامية مثل أن الإسلام أمر بحسن معاملة الغير أولهم مالنا وعليهم ماعلينا الخ. أما المقصود بالخطاب السياسى فهو يقدم وجهات نظر فى اشكاليات مطروحة على الساحة أى نتاج الواقع الاجتماعى.

ومن ثم نلاحظ أن الخطاب الدعوى يتجنب الاشكاليات المطروحة لمواجهتها بخطاب انشائى تعميمى وأوضح مثال على ذلك

مايطرحه البيان فى قضية الموقف من الناس جميعا مسلمين وغير فى مسلمين ..( وموقفنا من اخواننا المسيحيين فى مصر والعالم العربى واضح وقديم ومعروف لهم مالنا وعليهم ماعلينا وهم شركاء فى الوطن واخوه فى الكفاح الوطنى الطويل لهم كل حقوق المواطن المادى منها والمعنوى المدى منها والسياسى والبر بهم والتعاون معهم على الخير فرائض اسلامية " . وهو قول ترحب به كل القوى الديمقراطية ولكنه يظل خطابا دعويا كثيراً ماقرأناه فى أدبيات الاخوان المسلمين فها هو المرشد المؤسس حسن البنا يقول «إن الأقلية غير المسلمة من أبناء هذا الوطن تعلم تمام العلم بحيز الطمأنينة والاخوة والعدالة والمساواة التامة فى كل تعاليمه"

( مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى نقلاً عن فهمى هويدى الصحوة الإسلامية والمواطنة والمساواة الحوار العدد ٧ السنة الثانية خريف ١٩٨٧).

ولكن هذا القول أو ذلك لم يحل الاشكالية المطروحة وهى : - **هل يحق للقبطى تولى كافة المناصب القيادية فى ظل دولة الاخوان المسلمين** وهل ثمة اجتهاد اخوانى يجعل من حق المواطنة العلمانى الذى استقر كأساس لبناء الدولة الحديثة ، موروثا إخوانيا يواجه الموروث الفقهى السائد فى الساحة لدى كافة دعاه الاسلام السياسى؟

وهذه الأسئلة يدفعنا إليها تاريخ الجماعة ذاته فبرغم موقف المرشد المؤسس الواضح ، تعالى نقرأ الموقف العملى من هذا الشأن يقول المؤرخ والمفكر الإسلامى **طارق البشرى** فى كتابه " **المسلمون والأقباط فى إطار الجماعة الوطنية** " ص ٥١٦ ( كان من أهم مطالب الإخوان خلال الثلاثينات جعل الدين الإسلامى ماده أساسية فى المدارس سواء الأولية أو الابتدائية أو الثانوية وبالنسبة لغير المسلمين لايكون تدريس الإسلام ماده أساسية تفرض عليهم ولكن عندما نظمت الحكومة تدريس الديانة المسيحية للتلاميذ المسيحيين فى مدارسها اعتبر الإخوان ذلك نوعا من التبشير ( أن الإسلام سيذبح ذبحا رسميا فى المدارس الرسمية من الحكومة الإسلامية ، ولقد تقررورسميا من عهد قريب أن عين لكل مدرسة بها عشرة من المسحيين معلم ونبى خاص بهم بسبعين اذن فى التعليم الأولى معلمون مسيحيون وهذا النوع الوحيد من التعليم الذى ظل محافظا على صورته الطاهرة وإسلاميته الكاملة " ويقول المستشار **طارق البشرى** ووقف الإخوان بذلك ضد مايعتبره القبط من حقوقهم بوصفهم مواطنين.

ويذكر الدكتور **زكريا سليمان بيومى** أنه مع ماااتسم به موقف الإخوان عن الأقباط من اعتدال - وخشية الشيخ البنا من عودة الفتة الطائفية التى تفيد المحتل ومع الحرص على نفى تهمتى التعصب الدينى واشاعة الفرقة بين أبناء الأمة الواحدة **مع ذلك فان صحف الجماعة نشرت بعض مقالات مثيرة فى مضمونها للأقباط** مثل مهاجمة الدكتور **هيكل** وزير المعارف لزيارته جمعية الشبان المسيحيين ووعده بمساعدتها ومهاجمته لوزير الأوقاف الشيخ **مصطفى عبد الرازق** لزيارته لهذه الجمعيه .. وذكر المؤلف أن صحيفة **النذير** والتى نشر المقالات عن الحروب الصليبية فى قالب مثير للمسيحيين ..

" وكان كل ذلك كفيلاً بارتياب الأقباط من هذه الدعوة " طارق البشرى ص ٥١٦

**ونحن لانحاسب الاخوان بمواقف تاريخيه** ولكننا نطرح الاشكالية التى تجاهلها البيان وهو الموقف المحدد من المواطنة كأساس فكرى للعلاقة بين المسلمين وغير المسلمين لأنه فى ظل دولة دينية ( اسلامية تنتفى المواطنة كأساس للمساواه ، وهذا ماعبر عه فقيه الاخوان الشهير **الشيخ القرضاوى** فى كتابه حتمية الحل الاسلامى الجزء الثانى صـ ٧٨٠ ( الدستور الإسلامى يضمن للأقلية غيرر المسلمة أن تعيش حرة فى التمسك بعقيدتها مع احترام مشاعر الأغلبية " وأن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ماعلى المسلمين إلا ماااقتضته ظروف **دولة ايدلوجية يقوم على أساس فكرة الإسلام** )نقلاً عن طارق البشرى المرجع السابق ص ٧٠٩.

أما عن تولى غير المسلمين فذكر فى كتابه غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ( القاهرة ١٩٧٧ ص ٢٣ - ٢٤ ) " لأهل الذمة الحق فى تولى وظائف الدولة كالمسلمين إلا **ماغلب عليه الصفة الدينية كالإمامه ورئاسة الدولة والقيادة فى الجيش والقضاء بين المسلمين والولاية على الصدقات** " لإن الإمامة رئاسة عامة فى الدين والدنيا وهى خلافة عن النبى عليه السلام وقيادة الجيش - ليست عملاً مدنيا صرفا بل هى من أعمال العبادة لكونها جهاداً والقضاء حكم بالشريعة الإسلامية فلا يطلب من غير المسلم أن يحكم بما لايؤمن به)نقلاً عن البشرى ص ٧٠٩

من هنا يتضح أن ثمة إشكالية تواجه فكر الإخوان تجنبها البيان وكان البيانات السابقة إلا من طرحهم العام الوارد فى مثل البيان الأخير ولكن تظلقضية الإمامة هى الأساس.

- وهو فقه يناقض **فقه المواطنة** - أساس الدولة الحديثة أيا كان توجهها الإجتماعى وكاتب هذه السطور يعتقد أن لامكان للمساواة بين الأغلبية والأقلية الدينية فى ظل دولة دينية أيا كان دينها ومن ثم **فالعلمانية وحدها القادرة على تحقيق هذه المساواة فى الواقع النظرى** أما التطبيقفتحميه وتحققه وجود حركة جماهيرية جامعة تتأسس على أساس المواطنة.

والعلمانية لاتنفى الدين إنما هى الأقدر على استيعاب هذا التراثزادا لجماهير الشعب سواء كان تراثا للأغلبية أو للأقلية

٢) **أن البيان ساده الطرح الليبرالى فيلاحظ** على البيان غياب **أى قضايا اجتماعية اقتصادية فقد اقتصر** البيان على القضايا المطروحة على النخبة مثل **قضية حقوق الانسان وغيرها من القضايا** وهذا الطرح يتفق مع لعبة الصراع بين الحكم والاخوان فتجاهل القضايا الاجتماعية يعنى اقرار الواقع الاجتماعى القائم كما أن هذا التغييب للقضايا الاجتماعية يرضى القوى الخارجية

**لهذا يعتقد أن هذا البيان يظل خطوة** قاصرة من الاخوان المسلمين يجب أن يتلوها خطوات أخرى تواجه الاشكاليات الحقيقية المطروحة على الاخوان المسلمين ، وأهمها **مسألة المواطنة** .

واذا كنا نرحب بأى موقف ديمقراطى من أى قوى سياسية لأننا نؤمن بالمقولة التى عبر عنها الدكتور جمال حمدان ( قضية إعادة بناء الانسان المصرى، وهى ببساطة قضية هدم الديكتاتورية المصرية الغاشمة الجهولة ودك صرحها الإجرامى العاتى المتهرئ وتصفية الطغيان الفرعونى المخضرم المتفتح البغيض تصفية أبدية ، وهى قلعة الاستبداد المصرى الشوهاء المشئومة ومن هنا فحين يأتى الحديث عن اعادة بناء الإنسان من أعلى من وكر السلطة الغاصبة فلكم يبدو حديث افك حقا ولكم يبدو منتهى وقمة الاستخفاف بالحق والعقل والعلم " ( شخصية مصر ص ٥٢١٠).

ونحن ندعو كافة القوى الساسية الى التوحد من أجل إنجاز هذا الهدف.

**واذا كان الإخوان يرون فى أنفسهم إحدى هذه القوى فعليهم أن يحققوا الديمقراطية واحترام الآخر السياسى فى النقابات التى يسيطرون عليها وأن يقدموا اجتهادا فقهيا يدعم الديمقراطية فى مواجهة الموروث الإخوانى فهل يفعلون ؟**

# أزهرجية وبطريركيون

**مصباح قطب**

تمضى المسائل على الخطين معاً، وكأنها صدفة ، أو كأنها تريد أن تقدم الدليل على فشل فلسفة الصدفة .

أما المسائل فهى القضايا التى رفعها بطريركيون ( أبويون) بالسليقة أو بالأجرة ، ضد الكتاب والصحفيين والفنانين وأعمالهم، تحت زعم أنهم اساءوا إلى :" دين هذه الأمة" وعقيدة .. وهوية .. وتراث .. وأخلاق .. وأداب هذه الأمة ( أو المكان الفلانى أو الهيئة الفلانية).

أما الخطان فهما خط البطريركية الأهلية ، ومثاله أصحاب الدعاوى ضد **يوسف شاهين ونصر أبو زيد وروزا اليوسف وسعيد المشماوى** وغيرهم . وقد تحدث الكتاب وتحدثت الصحف فى أمر هؤلاء .. وكنت أود أن أتحدث أنا عن بعضهم من الذين ينفثون الزبد من أبقاقهم ، ويليّسون به وجهك إذا كنت قريبا منهم ، وهم يملأون الفم بالطلقة الصوتية المدوية :" ... هذه الأمة " ويضعونها بين كل عبارة والثانية فى كلامهم ، وأنت تقول لهم فى خجل : ياجماعة من أين تأتون بمثل هذه القدرات والمرء يدوخ ليعرف مفهوم الأمة فى اللغة والتاريخ ، ناهيك عن أن يعرف " عقيدة الأمة " ، أو يتحدث باسمها .

كنت أود أن أكتب وأذكر أن من بين هؤلاء البطريركين ، أناس طيبون ، كثيرا ماأتراهن معهم ، على المد الأخلاقى لكل من " **اليسارى الأصيل**" و" **الاسلامى الأصيل** " ( أقصد المسيس لا المواطن العادى فالأخير هو أكرم من الجميع !) وأطرح فى الرهان أن نرى تغطية ندوة لتغطية ندوة وعلاقة عمل لعلاقة عمل . وتسامح لتسامح . أكل عيش لأكل عيش ، شفافية لشفافية . مكابدة فى العلم .. لمكابدة "نَفَسْ البيت الذى تسكنه لـ نَفْس البيت الذى يسكنه .

كنت أود أن أكتب عن بطريركيين يكرهون السادات موت . والسعودية عمى. وأمريكا سواد . وكامب ديفيد كراهية التحريم . بينما هم يحبون الريال. وباء الملكية الساداتية إذ كان هو يقول شعبى وجيشى وبلدى ووزرائى ولسان حالهم يقول " قرآنى . محمدى .. رسولى .. مُصلّيَنى.. هذه الأمة .. بتاعتى"! كان هو يهرب إلى المستقبل ليموه نفسه ضد السياسية الوضيعة ( ولذا نجد الآن من يدافع عنه بدعوى أنه كان مستقبلياً فى أمة ماضوية ) وهم يموهون أنفسهم بالهرب إلى ضد كامب ديفيد وضد إمريكا وضد الحضارة المادية. كنت أريد أذكر أننى أقول لبعضهم : ياجماعة لماذا لم نقرأ لواحد منكم كلاماً ضد الحضارة الليبرالية ، بقوة وعمق ماكتبه نصير لهذه الحضارة ، ويهودى ! مثل تشومسكى ، بل ولماذا يقل فى بلادنا عموما مثل هذا الرفض العميق ، سواء من داخل الخيمة أو من خارجها ؟.

شيخ الأزهر



كنت أريد أن أقول كلمتين عن ذلك كله، لكن ماسأفعله ، هو الواجب الصحفى ، بالكتابة عما لم يكتب فيه أقصد الخط الثانى . أقصد البطريركين الرسميين الذين يقيمون الدعاوى القضائية ، بدعوى الحفاظ على أخلاق القرآن ، والأمة ، و" الجامعة ذات الطابع الخاص" أقصد البطريركين فى :

## جامعة الأزهر

تعددت فى الآونة التى تسمى الأخيرة ، وربما كانت تسميتها الصحيحة ، هى الآونة التوأم لآونة رفع الدعاوى ضد الفكر والفن . تعددت الدعاوى ( مجالس التأديب ) فى جامعة الأزهر ضد الأساتذة تحت سُتر أخلاقية ومخالفات ، تخرج فى حال حدوثها فعلاً عن الولاية القانونية للجامعة، وقد نشرت اليسار منذ فترة قصة الدعوى المقامة ضد د. **محمود خيال** أستاذ الفارماكولوجى بصيدلة الأزهر ، والذى فصلته الجامعة ، بزعم أنه يجاهر بالافطار فى رمضان ويتحدى الشريعة والدين ، وقد قضت محكمة القضاء الإدارى ببطلان قرار الفصل وعودة الأستاذ إلى عمله.

وفى واقعة جديدة ، تشكل سابقة ، بالذات من حيث ماقدمته الجامعة ، ممثلة فى مجلس التأديب ، لها ، من حيثيات ، تم مجازاة أستاذ فى كلية الطب " بنين" يدعى **عادل**.. بعقوبة اللوم مع تأخير العلاوة المستحقة لمدة ثلاث سنوات – صدر القرار فى ١٦/٤/١٩٩٥ وكان رئيس الجامعة قد أحال الأستاذ للمجلس لارتكابه المخالفات الآتية ( نصاً):

– نهره للأستاذ الدكتور **محمد حسين توفيق عويضة** نائب رئيس الجامعة و فرع البنات وذلك لاصغائه لشكوى والديه ومخاطبته بصوت مرتفع لايليق بأمثاله ( المحرر: يلاحظ أن هذا الاتهام هو من قبيل التحبيشة فجوهر الموضوع هو التالى )

– معاملة والديه بما لايليق بالمخالفة لما

هو مقطوع به فى القرآن والسنة النبوية واجماع الأئمة على النحو الثابت فى الأوراق .

والمعروف أن الاحالة إلى مجلس التأديب تحرم المحال من حق الاستقالة أثناء ذلك ، أو السفر إذا واتته فرصه عمل أو إعارة ليس هذا هو المهم . فالأهم أن الثابت " بجد " من الأوراق أن مجلس التأديب لم يعن باتباع الاجراءات الصحيحة فى سماع الأقوال واستدعاء الشهود ولم يقم بعمل مواجهة بين المحال والشهود ، ولم يراع أن من بين الشهود من الجامعة ( وكلهم أربعة ) يوجد اثنان من صغار الموظفين وعقيد شرطة من الأمن ( مع أنه ذكر أن لواء يدعى عمرو سراج كان حاضراً ) . وهناك الكثير مما يثير الحزن فى الأولوية الاجرائية ، وسوف نترك ذلك للطعن الذى قدمه الأستاذ إلى مجلس الدولة ، فالهدف ليس هو النظر فى التفاصيل ، ولكن فى المنهج نفسه . لكن الملاحظ من الأوراق أن اثنين من ثلاثة أعضاء مجلس التأديب ، الذى يشكل بقرار من رئيس الجامعة ، تتكرر أسماهما فى مثل تلك الدعاوى ، وأن الجامعة سمحت لنفسها باستقبال الأبوين مرة أخرى للاستماع اليهما ، خارج نطاق التحقيق ، وان أخذت شهادة الأم ، دون أن يشار فى القرار الى مضمونها .. وقد سبق الواقعة موضع القرار لقاء بين الأب والأم والابن فى مكتب د. أحمد عمر هاشم ، نائب رئيس الجامعة للصلح ، ثم بعد الانصراف والتهيؤ للمرواح ، التقى د. عويضة ( الشاكى ) بوالدة المشكو ضده ، وأخذ يستمع اليها وسط حشد يتزايد فجاء الابن ليستعجلها ووقعت الواقعة. والغريب أن مجلس التأديب دون فى مقدمة القرار مطالب الأبوين ، وهى الحصول من الابن على أوراق تخص الحياة الشخصية للأسرة ، والكف عن التطاول . دونها المجلس ، بشكل لامبرر اجرائيا له ، وكأنما ليكسب التعاطف الى قراره فيما بعد . كل هذا مع طرائف فى وثيقة قرار الحكم على الأستاذ المدعى عليه ، منها ذكر اسم شاهد كالتالى " تدخل الحاج رشاد" والحاج هو موظف يدعى رشاد الجوهرى . وطرائف أخرى كوصف الفعل باسم التحرش على لسان مجلس التأديب ، مع أن شاهداً اعتبره فقط " تحدث بطريقة غير لائقة " وآخر أيده ، ووحده قال الحاج رشاد أنه هم بالتهجم على نائب رئيس الجامعة . كما أن القرار كتب شاهداً مرة باسم أحمد سند ، ومرة باسم عادل سند لكن المثير حقا هو ماقاله المجلس فى حيثيات قراره " و... ولاسند للقول أن القانون رسم طرقاً للحصول على الحقوق ليس من بينها تدخل الجامعة فى شأن يخص أحد العاملين بها ، فان هذا القول لايؤخذ به على اطلاقه ذلك أن الجامعة الأزهرية لها وضع خاص فى هذا الشأن من حيث أنه يتطلب فى أعضاء هيئة التدريس بها أن يكونوا قدوة فى التصرف والخلق الكريم .. الأمر الذى يكون معه المحاكم قد خرج على مقتضى الواجب الوظيفى وأتى مامن شأنه أن يسئ إلى الجامعة التى ينتمى إليها" وأكثر من هذا فإن الحيثيات لاتتورع عن استخدام نفس التعبير " متعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية " وهى تحاسب الأستاذ.

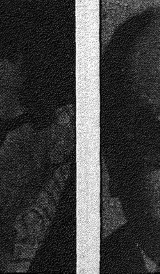
## المعانى

نحن إذن أمام واقعة " قانونية" تشى **بتفشى الأبوية التى تقيم من نفسها وصياً على الدين والأخلاق دون اعتبار للقانون وماحدده من طرق** واجراءات ، وماقرره من عقوبات لجنح وجرائم ، سواء كان ضد الأبوين أو ضد غيرهما .

شمولية تتخفى تحت اسم " الوضع الخاص" للجامعة . وحين ننظر إليها بمنظار أكبر يمكن أن يصل بها إلى " الوضع الخاص" لمصر التى ذكرها الله فى القرآن " ولذا فان كل من يتهم بمعاملة نائب الرئيس ، بطريقة غير لائقة ، أو يُشتم أنه اساء الى والده ، أو حطم قواعد الجيرة أو المرور أو تعارك مع الفكهانى أو البقال كالعراك الذى يجرى كل يوم وينهيه أطرافه أنفسهم بعد دقائق بالمحبة والتصالح ..
كل أولئك وغيرهم عرضة للتشريع الأزهرى ، الذى يعاقب بعيداً عن المحاكم والنيابات والمحاضر وأقسام البوليس وقانون العقوبات وقانون الاجراءات ليقيم مجتمع " الفضيلة والصلاح" إنه التشريع الذى يمكن أن تلمح فى نهايته الطرفية أيضا عقوبة اسقاط الجنسية بدعوى انك ممن لايستحق من مصر المذكورة فى القرآن ، أن تحملهم على أرضها.

أيها السادة ماهكذا تصنع الفضائل أو تصان ، ماهكذا تكون خصوصية الأماكن والجهات . ماهكذا يبنى مجتمع يليق بالمسلمين وغير المسلمين .. يليق بالبشر .. مجتمع حديث يحترم استقلال السلطات الذى تحدث عنه الدستور . ماهكذا بالأسلوب المصطباوى - مع افتراض كامل لحسن النية - تعالج قضايا الحياة المعاصرة المعقدة . ثم أخيرا : ماذا لو راح كل مواطن يشكو الآخر إلى جهة عمله متهماً إياه بعقوق الوالدين ، أو أكل الحساب فى الشكك أو تدخين السجائر فى وجه الكبار ، أو إخراج " ريح" على مائدة طعام، أو الخروج إلى البلكونة بالفانلة الإسبور الخ وأحالت الجهة ذلك إلى مجالس التأديب ، بل ماذا لو راح الناس - بعضهم - يقيم الدعاوى ضد قيادات الأزهر وجامعته ذاتها - بطريقة الحسبة التى يستخدمها بطريركيو ضرب الفن والثقافة - أو بالشكوى إلى جهات عملهم ، متهماً إيّاهم بالخروج عن مقتضيات الأخلاق التى يتوجب على من يعمل بالأزهر وجامعته التحلى بها . ولن يعدم الناس أن يجدوا فى حياة أى إنسان هفوة أو ذلة . أو اصطناعها أن لم توجد . الأبوية ستوردينا إلى داهية وعلى الأزهر أن يكون منارة ً لاوصياً.

د. سعيد العشماوى



يوسف شاهين



# من هو الخصم الرئيسى لـ «اليسار الإسلامى» ؟!.

خليل عبد الكريم

يزورنى من حين لآخر عدد من الدارسين والإعلاميين ( صحافة وإذاعة وتلفاز) الفرنجة بحثاً عن الوجه الآخر للإسلام الذى تفضل زملاؤنا فنعتوه بـ " المستنير".

وفى الأسبوع الأخير من ابريل المنصرم طلب مقابلتى الصحفى الألمانى رابنهارد هيس من جريدة " الأسبوع" التى تصدر فى ميونيخ ، فحددت له ساعة واحدة ولكن الجلسة طالت لأكثر من ساعة ونصف وكلما كنت أستحثه : هل اكتفيت ؟ يرد : بقيت نقطة واستنفد موضوع " اليسار الإسلامى" شطراً من اللقاء: مرتكزاته ، اجتهاداته ، موقفه من المؤسسة الدينية الرسمية ، ومن " الأصوليين"، رأيه فى الختان( وقتها كانت منظمة حقوق الإنسان أعلنت خصومتها القضائية للشيخ جاد الحق بشأنه ) ، فيلم المهاجر ، قضية د/ نصر أبى زيد ود/ ابتهال ... الخ.

وبعد فترة صمت قصيرة حدق فى وسألنى:

من هو الخصم الرئيسى لليسار الإسلامى؟.

فأجبت على الفور: إذا كنت تقصد " سياسيا" فهو الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية.

فبان عل أساريره وجهه أنه صُعق ، فأضفت : أرجو ألا تفهمنى خطأ ، فهو ليس " الغرب الصليبى" كما يوصفه الاسلاميون أو الأصوليون كما تسمونهم ولكنه " الغرب الرأسمالى " فنحن فى اليسار الإسلامى لانصنف الآخرين بمقياس العقيدة الدينية ونذهب إلى أن أسباب احتلال الغرب لأراضينا وغيرها كانت سياسية واقتصادية واستراتيجية ولاشأن لها بالدين فعندما استعمرتم القارة السوداء لم يكن الداعى لكم هو عداؤكم لمعتقداتها البدائية .. وكذا عندما غزوتم الهند وجنوب شرق آسيا لم يبعثكم على ذلك القضاء على عقائدها وبالمثل عند احتلالكم للبلاد العربية لم تهدفوا إلى محو الإسلام ، بل ان الحروب الصليبية ذاتها لم تكن الشعارات التى رفعها من شنوها علينا إلا ستاراً يخفى المطامع الحقيقية فى خيرات بلادنا وفك الضوائق الاقتصادية التى ألمت بكم ، وبهذا اعترف دارسون جادون من غير العرب والمسلمين منهم الباحثون السوفييت أذكر منهم إن لم تخنى الذاكرة ميخائل زابوروف فى كتابه( الصليبيون فى الشرق).

قال : زدنى إيضاحا !

أجبت : منذ قرنين كنتم تحتلون أقطار العالم الثالث ومنها البلاد العربية والإسلامية بالقوة المسلحة : الجيوش والأساطيل وتنصبون من يحكم المستعمرات سواء مباشرة مثل حاكم الهند أو من وراء حجاب مثل السفير البريطانى فى مصر، أما الآن فلم تعودوا بحاجة إلى ذلك ، إنكم الآن تتحكمون فينا وأنتم فى قلب عواصمكم بواسطة :أنظمة الحكم العميلة والشركات عابرة القارات أو متعددة الجنسية وصندوق النقد وسائر الهيئات التى تزين لحكامنا الاقتراض لتكبلونا بالديون وبالبرجوازية الطفيلية التى تدور فى فلككم وتخدم أغراضكم وبالرأسمالية الهجينة التى تعمل فى أنشطة هزيلة لاتغنى ولاتسمن من جوع مثل الحلويات ومنتجات الألبان والروائح ولعب الأطفال والسيراميك والملابس الجاهزة الشيك والسجاد الفاخر والأثاث الغالى.. الخ.

وبالوسائط الإعلامية ( الميديا) المرئية التى تسلطونها على عقول الناس حتى الثقافة سخرتموها لذات الغرض .

وسبيل آخر تسلكونه ببراعة واقتدار فائقين وهو تشجيع إخواننا الإسلامويين أو الأصوليين على التقوقع والالتفاف على النفس والانعزال عن موجبات العصر بحجة الدفاع عن الذات والتمسك بالهوية والأصالة .. الخ حتى أفلح خبراؤكم الأفذاذ فى إقناعهم بأن ينادوا بأعلى صوتهم بأن من لايفعل ذلك من المسلمين فهو مصاب بمرض ( القابلية للاستعمار والغزو الفكرى .. الخ) وإذا شاع هذا الفكر فإننا سريعا مانتحول إلى ( هنود حمر) آخرين.

هذه لمحة سريعة تشرح لك علة خصومة اليسار الإسلامى للغرب وهى كما رأيت سياسية اقتصادية فكرية لاتمت من قريب ولا من بعيد للدين أو العقيدة الدينية .

= وإسرائيل ؟

= عندما تتركوننا وشأننا نبنى أنفسنا بأيدينا وبالطريق الذى شرحناه فى العديد من كتاباتنا السوابق فسوف تسوى أجيالنا القادمة الحساب مع إسرائيل كما سواه أسلافنا منذ قرون مع فردريك الأول وبولدوين ولويس السابع وكونراد الثالث وأضرابهم.

= والأصوليون؟

= تقصد الارهابيين وجماعات العنف؟

نسأل الله أن يهديهم وينير بصائرهم ليدركوا أن ما فعلوه ويفعلونه أساء إلى الإسلام إساءة بالغة لم يلحقها أشد أعدائه ضراوة ، وأن مايدعو إليه اليسار الإسلامى هو الرشد والصواب ، ونحن على ثقة تامة أن أفكارنا هى التى سيكتب لها النصر فى آخر المطاف لانه فى النهاية لايصح إلا الصحيح.




# وبدأت المعركة الانتخابية في إسرائيل وأمريكا.. على حساب الفلسطينيين

نظير مجلي

## رسالة حيفا

مع ان الانتخابات الاسرائيلية البرلمانية ستجرى فى نهاية السنة القادمة، فان .. المعركة الانتخابية قد بدأت من الآن .. كل رجال السياسة والاحزاب يستعدون لها وينظرون من خلالها إلى كل الأمور ، والملفت للنظر ، ان جميع كبار السياسيين في اسرائيل يديرون سياستهم الانتخابية ،. بالاساس ،على حساب العرب وبشكل خاص على حساب الفلسطينيين على حساب القدس وأهلها ، والحديث يجرى عن ثمن باهظ لا يقتصر على الثمن الانتخابي.

والمذهل فى الموضوع ، ان الانتخابات الامريكية هى أيضا ، قد بدأت ،وهى أيضا ،تقتطع من العرب عموما ، والفلسطينيين خصوصا ثمناً باهظاً.

فى اسرائيل ، يريد حزب العمل الحاكم ، ان يفوز بالسلطة بأى ثمن، والاتجاه للسائد هناك ، هو ان يظل رابين على رأس الحزب ، ومع ان هناك عدة اشارات تدل على أن أوساطا عديدة تدفع بشمعون بيرس ان يعود الي منافساته التاريخية مع رابين ، فيقولون له انت الذى قاد عملية السلام وانت الذي تستطيع مواجهة قوى اليمين ، فان اوساطا اخرى تنصحه بالابتعاد عن هذه الحلبة واستمرار القبول فى منصب الرجل الثانى الذى يحظى باحترام العالم كله لدرجة ترشيحه لمنصب السكرتير العام العام للأمم المتحدة ، ولكن هذه قضية تظل حاليا فى اطار جس النبض الاولى ، والمهم ان كلا الرجلين ، بيريس ورابين ، متفقان على ضرورة قطف ثمار عملية السلام لمصلحة حزبهما ، وفى الوقت نفسه متفقان على دخول الصراع حتى نهايته مع الليكود وقوى اليمين ، ولكن .. ليس من باب الحرص على عملية السلام بل من باب اقناع الرأى العام الاسرائيلى بانهما لن يفرطان بالثوابت الاسرائيلية فى عملية السلام وهى :

- لا .. دولة فلسطينية.
- لا تنازل عن «القدس» موحدة عاصمة لاسرائيل.
- لا الانسحاب الي حدود ١٩٦٧ ، على كل الجبهات مع العرب، اي فلسطين وسوريا.

وبما ان اليمين الاسرائيلى يبنى كل خطته الانتخابية على اساس الاثبات ان حزب العمل تخلى عن هذه الثوابت، وانه بسياسته الحالية يقود إلى دولة فلسطينية والى الانسحاب حتى حدود ١٩٦٧، فان حزب العمل ليس له عمل، الهوم، سوى الاثبات لليمين ، ومن خلاله للرأى العام، انه لم يفرط بأى من الثوابت المذكورة اعلاه وانه هو هو وليس غيره القادر على بناء وتطوير القوة العسكرية الجبارة والعلاقة الممتازة مع الولايات المتحدة واوروبا وتطبيع العلاقات .. مع العالم العربى.

وكيف يثبت ذلك وما هى دلائله؟

أولا –القدس لقد سبق وتحدثنا فى هذه الزاوية عن المشاريع الجديدة لتهويد القدس قبل شهرين، والتى كان وضعها رئيس بلدية القدس السابق تهدى كوليك (وهو من حزب العمل)وتبناها رئيس بلدية القدس الحالى ، اهود أولمرت (وهو من الليكود)، وكما يبدو فإن رئيس الحكومة ، اسحاق رابين ، صادق على قسم من المشاريع ، على الاقل ، والمصادقة تعنى عمليا دفع عمليات التهويد الي الامام ، ولهذا جاء قراره بمصادرة خمسين دونما من أرض القدس العربية لمصلحة اقامة أحياء سكنية جديدة لليهود.

مساحة هذه الأرض ، نسبياً، تعتبر تافهة ، ولكن اذا اخذنا بالاعتبار مبدأ المصادرة عموما وكمية الاراضى التى سبق وصودرت من جهة أخرى ، فاننا ندرك ان المصادرة الاخيرة جاءت لتقنع الرأى العام بأن حزب العمل حريص على القدس وتهويدها اكثر من الليكود.

وقد دخل فى تحدّ ليس فقط مع الفلسطينيين المنكوبين بل العالم كله ، وعندما وقفت الادارة الامريكية مع اسرائيل فى مجلس الأمن الدولى ،واستخدمت حقها فى النقض(الفيتو) وافشلت مشروع القرار .. العربى الذى يطالب اسرائيل بالغاء المصادرة ، شعرت حكومة حزب العمل بالزهو والسعادة .. فها هى الادارة الامريكية معها ، تساندها وتدعمها وتتحدى رأى العالم العربى كله من اجلها .. ومثل هذه العلاقة لم تكن قائمة فى زمن حكومة الليكرد.

بالطبع ، حزب العمل والادارة الامريكية ،لا يهتمان بعواقب هذه المصادرة وضررها لدى الشعب الفلسطينى وما تحدثه من اساءة واضرار لعملية السلام.

**ثانياً، اذا كانت المصادرات فى**

القدس تشمل خمسمئة دونم ارض فإن هناك مصادرات اخرى خفية جرت وما زالت تجرى فى أماكن أخرى بعيدة عن القدس ، وهذه المصادرات لا احد يتحدث عنها لا فى البلاد ولا فى الخارج ،فقد كشف النقاب حديثا عن خطة كبرى لشق طرقات فى الضفة الغربية وحدهابطول (١٣٠) كيلو متر ، ومن أجلها بدأت عملية مصادرة ضخمة ستلتهم الوف وربما عشرات الوف الدونمات من الاراضى العربية ، هذه الطرقات تسمى «شوارع السلام» السبب ،لانها جاءت لتخدم مشروع «اعادة انتشار قوات الجيش الاسرائيلى فى الضفة الغربية».

فحسب اتفاق اوسلو ينسحب الجيش الاسرائيلى من الحدود والقرى الفلسطينية ويسلمها لادارة الشرطة الفلسطينية ، ولكن امن المستوطنين الاسرائيليين فى المستوطنات اليهودية الاستعمارية وكذلك داخل بعض المدن العربية (مثل الخليل) سيبقى بايدى الجيش الاسرائيلى.ومن أجل حماية امن هؤلاء ، قررت الحكومة أن تشق «شوارع السلام» ، كالعادة ، نحن ندفع ثمن هذه الشوارع بأراضينا ومستقبلنا وامريكا تدفع بامولها ، والحكومة تضرب عدة عصافير مرة واحدة : من جهة تواصل التصرف كحكومة احتلال ، وبهذا تنافس الليكود فى يمينيته، ومن جهة أخرى تفرض الامر الواقع للمستقبل .. فالشوارع المذكورة جاءت لتتيح الالتفاف على البلدان العربية ولخلق واقع الجيهوات على هذه البلدان ولتعطى حرية الحركة قدر الامكان للمستوطنين وللجيش الاسرائيلي، ومن طرف ثالث نرى ان هذه المشاريع تساهم في جهود الحكومة لتقليص البطالة . ومن طرف رابع ، تعتبر هذه المشاريع مصدر جذب اموال التبرعات والدعم من الخارج وفوق كل هذا ، فان الحكومة تكسب الرأى العام ، فهى تظهر وطنية ولا تفرط بالثوابت.

وتجدر الاشارة هنا الي ان المصادرات في الضفة لم تلق الاهتمام اللازم في العالم ، ولم تقلق العرب ولا حتي شعبنا الفلسطيني بمقدار ما تستحق ، فقد انشغل الجميع بالمصادرات في القدس ، لكن احدا لم يهتم بالمصادرات الاكبر في الضفة ، مع انها تمتد علي طولها وعرضها من جنين الي الخليل ، ومن طولكرم الي اريحا ، لم تذكر المصادرات في مشروع القرار العربي .او مشروع دول عدم الانحياز)ولو بالاشارة.

ثالثا- علي الرغم من تصريحات رابين وبيرس حول انسحاب جدى في هضبة الجولان السورية ، فإن رابين بدأ يتحدث عن صعوبات جدية وعن باب موصود ويؤكد ان المفاوضات مع سوريا اصبحت تتعثر في كل المجالات وذهبت ادارج الرياح الاخبار المتفائلة ، التى تحدثت عن تقارب وجهات النظر بين الطرفين، وهنا أيضا يهتم رابين بالرد علي اتهامات الليكود بانه تنازل عن الجولان، فيظهر انه لم يتنازل عن شئ ، وان الامور معقدة وان الموقف الاسرائيلي صلب ومتشدد .وبما ان هذا الموقف يحظى بالدعم الامريكي، كما تؤكد الصحافة السورية الرسمية فان رابين يلقى كل ما يريد من دعم في سياسته.

رابعا: لبنان- فحكومة رابين ما زالت تتعامل مع لبنان علي اعتبار انه ساحة حرب. تشن الغارات التدميرية عليه . تقتل تخطف تعتقل، تخرب ، وتكرس احتلالها المتغطرس له.

خامسا- في الوقت نفسه، تتقدم بشكل متسارع علاقات التطبيع ما بين اسرائيل والدول العربية فالمفاوضات متعددة الاطراف مستمرة والزيارات «قائمة قاعدة» لمسئولين اسرائيليين وعرب و في اسرائيل وفى العالم العربى. وهذه أيضا ورقة رابحة يستغلها حزب العمل لمصلحته فى مواجهة الليكود ، فهو يحاول الاثبات انه الوحيد القادر اليوم على صنع السلام مع العرب ، ولذلك نراه متحمسا جدا- لكل نشاط مرتبط بالعالم العربى.

وهكذا .. فالمعركة تدور بالاساسي في الملعب الاسرائيلى لصالح الحسابات الداخلية والانتخابات وعلي الفلسطينيين والعرب ان يدفعوا الثمن لذلك.

في وضع طبيعي كان من المفروض ان يسأل السؤال : ولماذا هذا الوضع؟ الا توجد بايدى العرب اسلحة تظهر شطارتهم هم ايضا ؟هل يمكن ان يقبلوا بان يظلوا الكرة التي تتقاذفها اقدام اللاعبين الاسرائيليين؟!

اذا اخذنا موضوعا مثل موضوع القدس، نموذجا وهو الموضوع الذي تحرك فيه العرب قليلا ، لوجدنا سيناريو الخسائر العربية في تاريخنا الحديث يتكرر كما في كل مناسبة، ونؤكد ان هذا ليس اسوأ نموذج.

فقضية القدس مطروحة على بساط البحث منذ احتلالها عام ١٩٦٧ كل الوقت كانت حكومات اسرائيل تحرص على تهويدها صادرت معظم اراضيهاوأكثر من ثلث بيوتها، وانتهكت حرمة مقدساتها وحرمت العرب من البناء فيها . ومن بناء المدارس وفرضت عليها طوقا أمنيا متواصلا يؤدى إلى فقدان ثمانية اعشار زوار القدس والمتعاملين معها تجاريا وسياحيا وفرضت على المؤسسات الفلسطينية فيها نوعاً من الرقابة الصلفة بخصوص النشاط السياسى فمنعتها من ممارسة نشاطها وهدفت بذلك إلى اجهاض اية محاولة لعمل نشاط فلسطيني رسمى فى القدس العربية.

لكن .. متى استيقظ العرب؟ كالعادة بعد مضى السنوات وبعد تنفيذ اخطر المشاريع؟

لماذا؟

في الاسابيع الاخيرة جري تحرك ما من طرف العرب بعد ان تجاوزت حكومة رابين كل الحدود وصادرت مساحة اخري من الاراضى، فاجتمع مجلس الجامعة العربية (بناء علي طلب فلسطيني) واتخذ قرارات حازمة وتبنى طرح القضية في الامم المتحدة وعلي بساط البحث العالمى، ولا بأس في ذلك لكن الرد الاسرائيلي الفظ والمستهتر بالعرب دفعهم الي جلسة المجلس المذكور والي التنسيق مع دول عدم الانحياز ثم طرح القضية علي جدول اعمال الامم المتحدة ومجلس الامن».

والبقية معروفة :الولايات المتحدة استخدمت الفيتو ضد أي قرار ادانة متشدد ، وحاولوا ان يخفقوا من وطأة موقفها المعارض وفضائحه ، ولكن الادارة الامريكية كانت صارمة ، هذه المرة ، أكثر من أى وقت مضى فى الوقوف مع اسرائيل.

كل الجهود لتجميل وجه الموقف الامريكى باءت بالفشل فلم يفلح احد فى تخفيف القرار وامريكا نفسها لم تقبل بتخفيف القرار. ودخلت فى التحدى حتى النهاية ، لم تأبه باصدقائها العرب. وكان همها دعم اسرائيل و ارضاء حكومتها واللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة.

الطابة كلها بايدى العرب فقرروا مؤتمر قمة مصغر ، ولماذا سيفعل افليس القدس قضية للعرب اجمعين! وماذا سيفعل مؤتمر مصغر؟ فالقضية تتعلق اساسا بالولايات المتحدة التى منعت صدور قرار في الامم المتحدة يدين اسرائيل ويلزمها بالغاء المصادرة ، فان لم يستخدم العرب قوتهم ونفوذهم إن بقى شئ كهذا (والله واعلم) فان اسرائيل ستتولى هذه المهمة ايضا ولكن بشكل معاكس ، اي في الاندفاع اكثر في سياسة الضم والمصادرة وخلق الامر الواقع ، الانتخابات الداخلية تتطلب هكذا ، واما الادارة الامريكية ،فانها تصرفت هكذا ايضا لاسباب انتخابية داخلية .

وهكذا ،يحسبون حساب كل شئ علي حسابنا نحن، عربا وفلسطينيين!.

# لقطات سياسية عن القدس واعادة الانتشار !

## قرارات مجلس الجامعة العربية خلت من أدوات الضغط على إسرائيل

حنا عميرة

رسالة القدس

جاءت قرارات مجلس الجامعة العربية فى القاهرة بعكس توقعات الذين طالبوا باتخاذ خطوات عملية ، تضع قضية القدس فى مقدمة الأولويات وتوقف عملية التطبيع الجارية مع إسرائيل إلى حين استجابتها لجميع متطلبات السلام ، وتخليها عن سياستها الراهنة بتثبيت الأمر الواقع الاحتلالى على القضايا المؤجلة مثل القدس والاستيطان واللاجئين والحدود وغيرها.

وأجمعت مختلف الأوساط بأن هذا الموقف ، ومن قبله موقف الجانب الفلسطينى المفاوض ، هى التى دفعت الحكومة الإسرائيلية الى التشبث بموقفها وتقديم النصائح إلى الولايات المتحدة بعدم الإكتراث بردود الفعل العربية تجاه موضوع القدس وغيره من المواضيع على اعتبار أن هذه الردود ستكتفى بعبارات الشجب والإدانة.

وأشار المراقبون بهذا الصدد إلى تصريحات وزير الخارجية الإسرائيلى **شمعون بيرس** فى القاهرة، بعد اجتماع لجنة الارتباط العليا الفلسطينية - الإسرائيلية ، والتى قال فيها بأن **إسرائيل متمسكة بالتزاماتها تجاه المناطق .. ولكن القدس ليست جزءا من المناطق** ! وأضاف بأن إسرائيل لن تتراجع عن قرارها بشأن مصادرة الأراضى فى القدس الشرقية لأن إسرائيل تحتاج إلى بناء مساكن لمواطنيها على حد قوله . وكان بيرس قد أدلى بتصريحات قبيل اجتماع لجنة الارتباط اعتبر فيه أن قضية المصادرات هى قضية محلية ! ولا داعى لطرحها لا فى القاهرة ولا فى مجلس الأمن!.

وقبل ذلك ، لم يتورع **رابين** نفسه عن التأكيد بعد لقائه مع وزير الخارجية الأمريكية وارن كريستوفر فى واشنطن بأن القدس بالنسبة لإسرائيل هى عصمتها الموحدة ، وبالمقابل فقد امتنع كريستوفر عن التعليق بدعوى أن موضوع القدس سيطرح فى المرحلة الثانية من المفاوضات.

كما صرحت **مادلين فولبرايت** سفيرة الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة ردا على المطالبة بدعوة مجلس الأمن للضغط على إسرائيل لإلغاء قرار مصادرة الأراضى ، بأن مجلس الأمن ليس المكان المناسب لمناقشة مسألة القدس بالرغم من أن قرار مصادرة الأراضى ، يطرح مشاكل عملية لمسرة السلام ، على حد قولها.

وتجمع مختلف الأوساط ، على أن هذا التعنت فى الموقف الأمريكى وانحيازه لصالح إسرائيل يسحب صفة الوسيط النزيه عن الإدارة الأمريكية ويستدعى من مجلس الجامعة العربية ومن الجانب الفلسطينى المفاوض قبل ذلك إعادة النظر بدور الولايات المتحدة باعتبارها الراعى الأساسي لمسيرة السلام باتجاه إدخال ومشاركة دول أخرى في رعاية هذه العملية وفى مقدمتها دول المجموعة الأوروبية

## مخططات الهدم الفعلية مقابل مخططات البناء النظرية فى القدس

اعترف مهندس بلدية القدس الغربية **أورى اشران** مايسمى بمخطط البناء الكبير للمواطنين العرب فى **شعفاط وبيت حنينا** الذى ينص على إقامة ٧٥٠٠ وحدة سكنية هو مخطط غير قابل للتنفيذ . ويشير هذا الاعتراف إلى المضمون النفاقى للحملة الإعلامية الإسرائيلية الرسمية عما تسميه بالمساواة مع العرب فى مجال منح رخص للبناء فى القدس الشرقية . وأكدت عدة صحف إسرائلية من بينها صحيفة **ها آرتس** ان ما يقال عن ١٤ مخططا هيكليا مصادقا عليها للمواطنين العرب فى المدينة هى مخططات نظرية وللاستهلاك الإعلامى فقط.

وعلى سبيل المثال فان الدعاية الرسمية تتحدث عن مخطط من ٧٥٠٠ وحدة سكنية فى ضاحيتى **شعفاط وبيت حنينا** وأما الواقع فهو منح ٤٠ رخصة بناء فقط خلال عام ١٩٩٤ . وفى **الشيخ جراح** تم منح ٢٣ رخصة بناء فقط بينما الدعاية الرسمية تشير إل ٨٠٠ وحدة سكنية . وفى **العيسوية** فقد منحت بلدية **أولمرت** خلال العام المذكور ٥١ رخصة بناء بينما الدعاية تتحدث عن ٨٠٠ وحدة سكنية . وبالمحصلة فان عدد رخص البناء التى منحت للعرب فى القدس الشرقية وعددهم حوالى ١٥٠ ألف مواطن لم يتجاوز ١٢٤ رخصة فقط لاغير، وهذا وفق الأرقام الرسمية التى أعلنها رئيس بلدية القدس الغربية فى لقاء تلفزيونى أذيع مؤخرا .

وبالمقابل وفى مجال سياسة هدم البيوت ، فقد بلغ عددها فى القدس الشرقية ٣٥ بيتا خلال عام ١٩٩٤ والأشهر الأولى من عام ١٩٩٥ ، وهناك أيضا أكثر من ٦٧ بيتا صدرت أوامر بهدمها خلال نفس الفترة. هذا

بالإضافة إلى الأوامر التى صدرت بإجلاء عرب الجهالين عن بيوتهم وإجلاء عائلات من السواحرة الشرقية عن أراضيها إلى مناطق بعيدة . وتشير الأوساط اليمينية المتطرفة فى بلدية القدس الغربية وتطالب بضرورة هدم أكثر من ١٥٠٠ بيتا للعرب بحجة البناء بدون الحصول على ترخيص .

وفى ميزان نشاطات البناء والهدم لبلدية أولمرت فى القدس الشرقية فان كفة الهدم هى الراجحة وهذه هى الترجمة العملية لسياسة الترانسفير الصامت للعرب ، أولما يسمى بسياسة التوازن السكانى القائمة على نسبة ٧٦٪ لليهود و٢٤٪ فقط للعرب.

## ٥٠ مليون شيكل ديون تجار القدس العرب للضريبة الإسرائيلية

نقلت نشرة إسرائيلية لشؤون الاقتصاد عن مصادر الجباية الضرائبية فى بلدية القدس الغربية بأن حجم ديون تجار القدس الشرقية العرب لضريبة الأملاك الإسرائيلية " **الأرنونا**" لعامى ٩٤ و٩٥ وصلت إلى حوالى **٢ر٥٠ مليون شيكل أو مايعادل ١٧ مليون دولار.**

وقد أعلن هذا الرقم فى تقرير قدمه رئيس بلدية القدس الغربية **ايهود أولمرت** فى اجتماع للمجلس البلدى ردا على سؤال أحد أعضاء حركة **تسومت** الصهيونية اليمينية المتطرفة فى هذا المجلس عن نشاطات الجباية فى القدس الشرقية.

وعلم أيضا أن ديون تجار القدس العرب للعام ١٩٩٥ قد وصلت إلى **٢ر٢٧ مليون شيكل (٩١ مليون دولار)** وأن حجم هذه الديون للعام ١٩٩٤ قد بلغ حوالى **٢٣ مليون شيكل ( ٥ر٧ مليون دولار)** أما نسبة الجباية فى القدس الشرقية فقد وصلت حسب المصادر السابقة الى ٥٢ بالمائة أو مايعادل **٩ر٩ مليون شيكل ( ٣ر٣ مليون دولار )**

ويبلغ عدد المكلفين من تجار القدس الشرقية العرب الذين تلاحقهم دائرة الجباية فى بلدية القدس الإسرائيلية عن طريق المحاكم **٢٩٠٠ تاجرا مطالبين بدفع ٢٣ مليون شيكل** ، نصفهم تقريبا صدرت بحقهم قرارات قضائية بالحجز ، كما جرى أيضا ملاحقة ٢٠٠٠ مكلف من تجار القدس الشرقية فى المحاكم الإسرائيلية خلال العام الماض.

ويشير هذا التزايد فى نشاطات قسم الجباية لبلدية القدس الغربية تجاه تجار القدس الشرقية ، بالرغم من الأوضاع الاقتصادية الصعبة التى تعانى منها المدينة بسبب الطوق والحصار ، إلى سياسة مبرمجة للضغط على التجار العرب لإجبارهم على نقل أعمالهم التجارية إلى خارج المدينة.

## التفسير الإسرائيلى لإعادة الانتشار

أكدت مصادر فلسطينية عليمة بأن مايقال عن محادثات سرية فلسطينية – إسرائيلية حول إعادة انتشار الجيش الإسرائيلى فى الضفة ، ليست فى جوهرها سوى تبادل لبعض المقترحات بهدف جس النبض واستكشاف المواقف ، وأضافت هذه المصادر **أن إسرائيل تربط أى تقدم فى المفاوضات حول إعادة إنتشار الجيش بمدى الإجراءات التى تتخذها السلطة الفلسطينية ضد ما تصفه بالنشاطات العسكرية المعادية** ، وهى حتى الآن ترى إن إجراءات السلطة الفلسطينية غير كافية ، كما أنها أعلنت عن اعتراضها على أى اتفاق يجرى التوصل إليه بين السلطة وحركتى حماس والجهاد لايشمل وقف العمليات العسكرية فى كل إسرائيل وليس فى مناطق الحكم الذاتى فقط.

وفى نفس الوقت أكد المتحدث باسم وزارة الخارجية الإسرائيلية بأن اتصالات إسرائيلية – فلسطينية تجرى بشكل متكتم كما صرح **صائب عريقات** بأن إسرائيل تقدمت بعرض جديد لإعادة الانتشار .

ويختصر الاقتراح الإسرائيلى مفهوم إعادة الانتشار بمجرد نقل معسكرات الجيش الإسرائيلى وقياداته التى كانت موجودة داخل المدن فى الضفة إلى خارج المدن مع الإبقاء على مسؤوليات الجيش الإسرائيلى الأمنية كما كانت فى السابق بما فى ذلك القيام بدوريات أمنية لحماية الشوارع الرئيسية داخل المدن نفسها وإقامة حواجز دائمة وأخرى متنقلة حولها ، واحتفاظ الجيش الإسرائيلى بحق العودة إلى هذه المدن عندما يرى ذلك ضروريا من الناحية الأمنية.

وكان مسؤول فى السلطة الفلسطينية قد أعلن فى وقت سابق إن إسرائيل قد أعربت عن استعدادها لإعادة نشر قواتها فى مدينتى **جنين وبيت لحم** ثم تجرى الانتخابات قبل نشر القوات من جميع المناطق السكنية الأخرى فى الضفة.

وحسب بعض المصادر الإسرائيلية فان ماتصفه إسرائيل بإعادة الانتشار سيتم على مراحل ويبدأ من **مدينة جنين** فى شمال الضفة باتجاه الجنوب وعلى أن تفصل فترة زمنية مدتها شهرين على الأقل بين كل مرحلة وأخرى فى إعادة الانتشار وعلى أن يجرى خلال هذه المدة أيضا اختبار قدرات السلطة الفلسطينية على المحافظة على الأمن وإلا فإن كل هذه العملية ستتوقف فى حالة عدم النجاح فى الاختبار الإسرائيلى ، **إن مثل هذه العملية تعنى إن ماتسميه إسرائيل بإعادة الإنتشار يستمر عدة سنوات إذا علمنا أن الحديث يدور عن أكثر من ٤٥٠ مدينة وبلدة ومخيما وقرية فى الضفة.**

# بعد عام من الفشل
# أعيدوا الاعتبار للقضية والمنظمة

انقضى عام على توقيع اتفاق القاهرة الذى قاد السلطة الفلسطينية ، ومن حق أبناء شعبنا فى هذه المناسبة يستذكروا التبريرات والوعود التى قطعت لهم آنذاك وأن يقارنوها مع ماتحقق منها منذ ذلك التاريخ.

فمن غير شك أن أبناء شعبنا سعداء برؤية علمهم الوطنى يخفق فوق مؤسساتهم وبقيادتهم فى الخارج تعود إلى أرض وطنها مع آلاف من المناضلين الفلسطينيين وبتحرير قسم من أبنائهم من السجون، وبتولى بعضهم إدارة شؤونهم فى قطاع غزة وأريحا.

لكن هذه السعادة مالبثت أن تحولت إلى هم مقيم وقلق حقيقى على مصير أهدافهم فى استعادة الأراضى المحتلة وعلى رأسها القدس العربية ، وفى إقامة دولتهم المستقلة وعودة أبنائهم اللاجئين والنازحين إلى وطنهم !

فلقد توقف تنفيذ اتفاق القاهرة ، رغم كل مافيه من ثغرات وإجحاف وكشفت سلطات الاحتلال الإسرائيلى عن نواياها الحقيقية فى تثبيت الأمر الواقع ، وخداع الرأى العام العربى والدولى بأنها حققت سلاما مع الشعب الفلسطينى بينما استخدمت الاتفاقيات مع قيادته لتحقيق مكاسب لها فى العالم العربى ، وللتغطية على أفعالها فى الأرض المحتلة ضد الشعب الفلسطينى وأرضه وحقوقه الوطنية ، ومازالت تماطل فى تنفيذ الالتزامات المحدودة التى التزمت بها فى الإتفاقيات ، كإعادة نشر قواتها خارج التجمعات السكانية الفلسطينية ونقل صلاحيات الإدارة المدنية الإسرائيلية إلى السلطة الفلسطينية وإجراء الانتخابات .

وبدلا من ذلك ركزت الحكومة الإسرائيلية نشاطها لتثبيت الواقع الإحتلالى على القضايا المؤجلة فى الاتفاقيات مثل القدس والاستيطان واللاجئين والحدود. ومما له دلالته أن يرافق التوقيع على اتفاق أوسلو إغلاق مدينة القدس فى وجه أهلها من أبناء الضفة الغربية وقطاع غزة ، فضلا عن عزل القطاع نفسه عن الضفة وعن العالم الخارجى ، ومنذ ذلك الوقت ومصادرات الأراضى وتوسيع الاستيطان فى القدس وحولها وفى الضفة الغربية جار عل قدم وساق دون اعتبار للاتفاقيات ولروح عملية السلام نفسها.

كذلك الأمر بالنسبة لقضية النازحين التى جمدت رغم ماتنص عليه الاتفاقيات من وجوب عودتهم إلى وطنهم . أما قضية اللاجئين فبقيت تائهة فى دهاليز المفاوضات المتعددة الأطراف .

وعند استعراض المسلك الإسرائيلى منذ قيام السلطة الفلسطينية يتبين أن الحكومة الإسرائيلية تريد استخدامها ذراعا أمنيا لها بالشروط التعجيزية التى تضعها لتنفيذ اتفاق القاهرة ، وتهدف إلى تجميد الوضع الراهن وتكريس سيطرتها على الأراضى المحتلة وهذه الحقيقة يلمسها أبناء شعبنا الذين تزداد معاناتهم من القهر الاحتلالى بكل صنوفه ، فالمعتقلون يزداد عددهم ، والأوضاع الاقتصادية تتردى والبطالة بلغت أعلى معدلاتها ، والاغلاقات باتت واقعا قائما لم يسبق له مثيل ، والمصادرات والاستيطان لم يتوقفا .

وبدلا من أن تحفز ممارسات الاحتلال الإسرائيلى قيادة السلطة الفلسطينية للامساك بمصادر قوتها أظهرت لامبالاة غريبة تجاه هذه المهمة الأساسية ، ولايمكن لأحد أن يدعى أن حال الوحدة الوطنية الآن أفضل مما كان عليه قبل الاتفاق ، والأمر كذلك بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية التى يجرى تغييب دورها بتعطيل عمل هيئاتها.

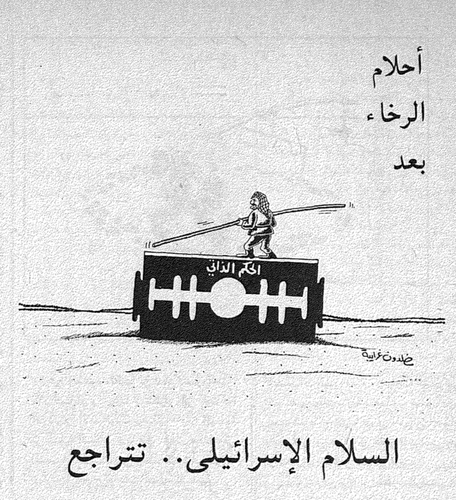
لقد حذر حزبنا من البداية من المخاطر التى يحملها اتفاق القاهرة على القضية الوطنية ودعا الى عرض هذا الاتفاق على الهيئات المسؤولة فى منظمة التحرير قبل البدء بتطبيقه . وبسبب تلك المخاطر ورفض الجهات التى شاركت فيما بعد فى السلطة من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير امتنع حزبنا عن المشاركة فى هذه السلطة ، وقد أيدت مسيرة التفاوض ، حول اتفاق القاهرة ، للأسف ، صحة مخاوف حزبنا وتحذيراته ، وأضيف لكل ذلك سوء أداء السلطة وعجزها عناأحداث أى تحسن يذكر فى أحوال الجماهير المعيشية ، أو فى تحقيق الإنجازات التى ادعت أن اتفاق القاهرة سيوفرها لها .

إن على السلطة الفلسطينية أن تسارع لاستخلاص الاستنتاجات دون أن تأخذها العزة بالإثم ، فلقد أخطأت بتوقيع اتفاق القاهرة وبالتفاوض على ترجمة اتفاق إعلان المبادئ وبتعطيل دور منظمة التحرير الفلسطينية ، وتقزيم الخلاف مع الحكومة الإسرائيلية إلى قضايا فنية وإدارية جزئية ونشر الوعود بأننا نسير على طريق الاستقلال فى الوقت الذى تبتلع فيه إسرائيل أرض الوطن وعاصمته القدس بالإغلاق ومصادرة الأراضى والإستيطان !

وأمام هذا التطور الخطر فى وضع المسيرة التفاوضية ، والأخطار التى تهدد القضية الوطنية مطلوب عقد اجتماع للمجلس الوطنى الفلسطينى أو المجلس المركزى بمشاركة شخصيات ذات صلة تمثيلية ، لتطرح أمامه الوقائع الصريحة حول الوضع الفلسطينى ليقرر ما الذى نبغى عمله كى تتحمل كل الأطراف مسؤولياتها تجاه شعبنا وقضيتها.

أن خطورة الوضع لاتحتمل التسويف والمماطلة!

# أحلام الرخاء بعد السلام الإسرائيلى.. تتراجع




ناهض حتّر

## رسالة الأردن

«يبدو» أن أمريكا لا تأخذ الاردن بجدية، بل تعتبره فى الجيب ، ولذلك فهى لا ترى مبرراً لمساعدته ماليا وتمكينه من مواجهة صعابه الاقتصادية الناشئة عن عملية السلام واستمرار الحصار المفروض على العراق ، وقطع المساعدات العربية الخليجية ، واستضافة مئات الالاف من اللاجئين والنازحين خلال خمسين عاماً. هكذا كتب المعلق الاقتصادى الاردنى المعروف الدكتور فهد الفانك تعقيبا على اعلان برنامج المساعدات الامريكية للأردن للعام ١٩٩٦، والذى يشتمل على مساعدات اقتصادية بقيمة ٢ر٧ مليون دولار ومساعدات عسكرية بقيمة ٣٠ مليون دولار، سوف تستخدم «لشراء عربات واجهزة لاسلكى تكتيكية تساعد القوات الاردنية على منع المتسللين من مهاجمة إسرائيل».

والدكتور فهد الفانك ، كاتب عمود رئيسى فى الصحيفة الاردنية الاولى (الرأى) ونصير دائم ومتحمس للاتجاهات الرسمية السياسية والاقتصادية، وهو المدافع الأردنى الأول عن «برنامج التصحيح الاقتصادى» الصندوق الدولى، وعن عملية السلام ، والمعاهدة الاردنية -الاسرائيلية ، وبالرغم من ذلك ، فإنه يؤكد فى تعليقه المذكور على حجم المساعدات الامريكية (الذى يكاد لا يذكر) للاردن ، بانه اذا كان الأمر كذلك (ضآلة المساعدات) فلابد من اعادة تقييم الوضع رسميا وشعبيا بشكل جذرى، فلا يجوز أن نقبل بهذا الهوان».

وموقف الدكتور فهد الفانك، هنا يلخص خيبة الأمل الواسعة التى تجتاح الأوساط السياسية التى كانت قد ايدت ، على نحو أواخر ، المعاهدة الاردنية- الاسرائيلية، على أساس أن توقيع الاردن عليها، والشروع فى «سلام حار» مع اسرائيل ، سوف يؤديان الي فك عزلة الاردن السياسية الاقتصادية وتمكين البلاد من تجاوز حالة الركود والتراجع الاقتصادى الناجمة عن :

(١) فقدان السوق العراقية الكبيرة بسبب الحصار الامريكى المفروض على العراق منذ ١٩٩٠-علماً بان هذه السوق بالذات كانت تشغل مجمل القطاعات الاقتصادية الاردنية وبخاصة قطاعات النقل والتجارة والصناعة والبنوك .

(٢) قطع المساعدات العربية الخليجية ، بل والاهم قطع العلاقات الاقتصادية بين الخليج والاردن ، وطرد العمالة الاردنية -الفلسطينية ، التى كانت تسهم تحويلاتها الضخمة فى تدوير عجلة الاقتصاد الاردنى قبل عام ١٩٩٠.

(٣) تحفظ الرأسمالية الفلسطينية -الأردنية ازاء توسيع استثماراتها فى الأردن فى اعقاب توقيع اتفاقية اوسلو بانتظار ما ستنجلى عنه «العملية السلمية».

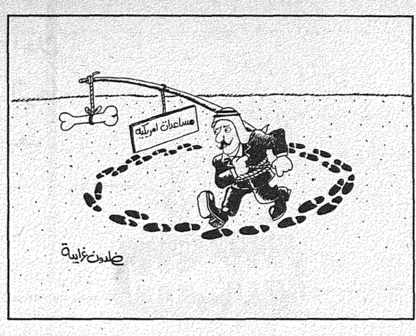
(٤) مديونية الاردن الضخمة بالنسبة الى الناتج المحلى وعدد السكان ، والتى تبلغ بين ٨ و ١٠ مليارات دولار وفقا لتقديرات مختلفة .

(٥) برنامج التصحيح الاقتصادى المتشدد الذى يفرضه صندوق النقد الدولى على الاردن.

### صفقة تمت من طرف واحد.

لقد كان الملك حسين يأمل بعقد صفقة شاملة مع الامريكيين تنقذ الوضع الاردنى من ورطته السياسية- الاقتصادية وكان هذا «الأمل» هو الاساس فى حسابات الملك لدى اندفاعه الى توقيع المعاهدة الاردنية- الاسرائيلية.

والصفقة الشاملة التى كان يأمل بها الملك حسين ، كان قد تم تسريب عناصرها الاساسية الى الصحافة الاردنية قبيل سفر الملك الى واشنطن للتوقيع على اعلان انهاء حالة الحرب مع اسرائيل فى ٢٥ تموز ١٩٩٤، وجرى الترويج لها باعتبارها شروطاً اردنية تمت الاستجابة لها وتتضمن رفع الحصار عن العراق من البوابة الأردنية أسوة بالبوابة التركية !! إعادة العلاقات الأردنية -الخليجية إلى طبيعتها بما فى ذلك عودة المساعدات والتعامل التجارى والعمالة الأردنية الى الخليج ، مساعدات واستثمارات دولية برعاية الولايات المتحدة لانعاش الوضع فى الاردن ،




وتمكين المواطن من «جنى ثمار السلام» وذلك فى مقابل توقيع سلام منفرد مع اسرائيل ، واسقاط كل التحفظات على تطبيع العلاقات معها ، بل والانتقال الى حالة التعاون الثنائى الحميم فى جميع المجالات ، كما نصت عليه المعاهدة الاردنية- الاسرائيلية.

وإذا كان الملك حسين قد أوفى بتعهداته بالكامل ، فان الولايات المتحدة، كالعادة ، لم تف بوعودها أو أنها- كما يقال- لم تتعهد بشئ محدد سوى الكلام المعسول، فبدلا من السماح للاردن برفع الحصار عن العراق من بوابته، ابدت الادارة الامريكية المزيد من التعنت بضرورة خنق العراق الأمر الذى يخنق بالاولى الاردن ايضا ، وإذا كانت العلاقات الاردنية-الخليجية قد تحسنت ظاهريا ومع البلدان الهامشية ، بينما ظل الموقف السعودى من الاردن على حاله تقريباً (باستثناء بعض الرتوش الدبلوماسية) بل أن السعودية وهى صاحبة التأثير الأساسى فى القرار الخليجى ، أثرت التنسيق مع المحور السورى- المصرى والفلسطينى- المصرى- وتهدى السعودية -تحت ضغط عوامل محلية وعربية وبخاصة علاقاتها المتينة مع سورية-تحفظها على التسرع فى تطبيع العلاقات مع اسرائيل وتدعم بصراحة الموقف السورى.

وفيما يتصل بشطب المديونية الاردنية ، فكل ما حصل الاردن عليه هو الوعد بشطب حوالى ٨٢٥ مليون دولار من الديون العسكرية الامريكية على الاردن على مدى ثلاث سنوات ، بواقع ٢٧٥ مليون دولار سنويا، وقد اضطرت الحكومة الاردنية الى خوض معركة دبلوماسية والى الاستعانة بالاسرائيليين من أجل تمرير شطب هذا المبلغ الصغير من بين ايدى صقور الكونجرس الامريكى الذى عمد اعضاء منه إلى كشف ملفات الفساد فى المؤسسات الاردنية ، وإلى الاشارة إلى قائمة المصروفات السنوية للعائلة المالكة التى تبلغ حوالى ٣٥٠ مليون دولار ، لتبرير رفض شطب أى دولار من المديونية الاردنية.

أما المساعدات والاستثمارات الدولية ، فقد تبين انها مجرد آمال عراض، لان الولايات المتحدة، كما اعرب مسئولوها غير مرة «ترعى وتدعم» ولكنها لن تدفع فلساً واحداً ، ولان اليابان و أوروبا لا تنظران إلى المعاهدة الاردنية- الاسرائيلية بوصفها انجازاً رئيسياً فى عملية السلام، طالما ظل التعثر قائما على المسار الفلسطينى وطالما ظلت سورية (ولبنان) خارج نجاحات العملية السلمية.

## فى الاتجاه الخاطئ

ويتبلور الان اجماع فى الأوساط السياسية الاردنية من الوسط ويمين الوسط التقليدى (بالاضافة الى أحزاب المعارضة اليسارية والقومية والاسلامية) بان الامور مضت ، وتمضى فى الاتجاه الخاطئ ، وان المعاهدة الاردنية -الاسرائيلية كانت مغامرة غير محسوبة ، وانها اسهمت فى تشديد عزلة الاردن عربيا (فالعلاقات الاردنية سيئة الان مع كل من العراق وسورية (ولبنان) ومصر والسعودية و م. ت . ف) واضعافه دوليا (بسبب ارتباطه الكامل بالمحور الأمريكى-الاسرائيلى مما يضعف دوره فى المعادلة الاوروبية اليابانية) وتفكيك جبهته الداخلية (حيث تفتقر السياسات الرسمية إلى الحد الادنى من التأييد الشعبى).

وعلى الرغم من وعود الملك حسين بتحقيق رخاء شامل فى غضون ثلاث إلى خمس سنوات فان الأوضاع الاقتصادية الراهنة متردية للغاية وتعيش البلاد حالة ركود شامل ولا تجد الشركات المساهمة الجديدة عدداً كافيا من المكتتبين ، ويرين الحذر والتراجع على عمليات البورصة ، وتواجه الشركات الصناعية والتجارية مصاعب جمة ، بينما يلمع نشاط استثمارى فى المجالين العقارى والسياحى ويبعث على القلق السياسى بدون ان يكون قادراً على انعاش الوضع.

وبالرغم من تركيز الخطاب الرسمى على أن تأييد الشعب الاردنى للمعاهدة الاردنية- الاسرائيلية ، يرتبط بما يمكن ان يتلمسه المواطن من عوائد السلام الاقتصادية ، فان الاوساط الحكومية تضطر للاعتراف بين حين واخر بان للمعارضة الشعبية للعملية اسبابا سياسية ، ففى محاضرة له فى نادى الصحافة بتل ابيب قال السفير الاردنى لدى اسرائيل د. مروان المعشر « أغلبية الاردنيين تعارض المعاهدة الاردنية-الاسرائيلية ،لانها تربط بين دعمها للسلام وبين الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى العربية المحتلة واقامة دولة فلسطينية مستقلة.

ويبدو أن تصريح السفير هذا لا يعكس وجهة نظره الشخصية فقط، اذ تقول صحيفة المجد الاسبوعية (ناصرية مستقلة) فى عددها الصادر يوم ١٩٩٥/٤/٢٤ ان الحكومة الاردنية منقسمة بين اتجاه يؤيد الانفراج الداخلى والانفتاح العربى ، وآخر يؤيد ممارسة المزيد من القمع الداخلى والانعزال العربى والالتصاق باسرائيل» وتضيف الصحيفة ان انصار الاتجاه الثانى بالرغم من هيمنتهم على القرار الحكومى الا ان رئيس الحكومة الشريف زيد بن شاكر ما يزال من

انصار الانفراج الديمقراطي والتباطؤ في اجراءات التطبيع».

**ومهما يكن فان احداً من الوزراء أو النواب أو الأعيان لم يشارك في احتفال السفارة الاسرائيلية بعمان بعيد «الاستقلال» الاسرائيلي الذي** ارادته السفارة ضخما وفخما فلم يشارك به سوى حفنة من رجال الاعمال والصحفيين المغمورين بالاضافة الى رئيس التشريفات في الخارجية ورئيس الاستخبارات.

ويبدو أن الأوساط الحكومية تتحسس حجم المعارضة الشعبية ويحاول بعض المسئولين النأي بانفسهم عما يلوث سمعتهم ويحرق مستقبلهم الشخصي، وبينما استطاع القصر ان يحشد عدداً كافياً من المؤيدين في مجلس النواب لتمرير المعاهدة الأردنية الاسرائيلية، فقد أدرك انه من الصعوبة بمكان على أعضاء مجلسي النواب والاعيان تمرير حزمة قوانين التطبيع وعلى رأسها قانون يلغي (قانون منع بيع الاراضي للعدو الاسرائيلي) بحيث يتاح للإسرائيليين والهيئات الإسرائيلية امتلاك اراضي اردنية فالنواب والاعيان الواقعون تحت ضغط القلق الشعبي من «تحول الاردن الى فلسطين ثانية» كما قال بيان اصدرته اللجان التحضيرية للمؤتمر الوطني الاردني، ليس بامكانهم الموافقة ببساطة على هذا القانون وسواه من قوانين التطبيع، وعلى هذه الخلفية اجتمع الملك حسين مع الأعيان والنواب قبيل عيد الأضحى المبارك، وذكرهم باخفاق التجربة البرلمانية الديمقراطية الاردنية في الخمسينات الناجم- على حد قوله-عن عدم اخلاص القوى السياسية للاردن وارتباطها بالخارج، وبعد ان هاجم الملك معارضي التطبيع قال.. الذي كان ضد السلام، غير لهجته وتعابيره، وصار الان ضد التطبيع، ولكنه بالاساس هو نفسه، بنفس الدوافع ونفس التصورات، وربما باصرار اكبر وبكثير من الحالات بتأييد ودعم من خارج البلد واضاف: نحن عقدنا معاهدة السلام وملتزمون بتطبيقها نصا وروحا» ،وأشار الى «الفرص الكثيرة المتاحة لنا» والتي قد يعرقلها عدم المصادقة على قوانين التطبيع وقال الملك: يا اخوان.. انا أمضيت ٤٢ سنة وأنا الجهول.. ماء وجهي راح وانا استجدي وما اتمناه ان يقوى هذا البلد ولا يستجدي، وهذا ممكن اذا تعاونتم جميعا، واستفدنا من الفرص المتاحة واضاف اعتمادي عليكم ان تساعدونا وتعينونا بمعالجة القوانين التي لها علاقة باتاحة الفرص وافساح المجال للتعاون مع كل من يرغب ان يسهم في بناء هذا البلد».

## الاستناد إلى إسرائيل

وتتلخص اقوال الملك حسين هذه، وتصريحاته الأخرى، ان قرار القصر للخروج من المأزق هو بالاتجاه نحو تعميق التعاون مع اسرائيل على اساس الاستفادة من علاقاتها الامريكية والدولية في تأمين استثمارات فعالة لاخراج الاقتصاد الاردني من عنق الزجاجة.

ويرى القصر انه اذا كان الاردن عاجزا عن تأمين المساعدات والاستثمارات الدولية بمفرده أو لمشاريع اردنية، فان الشراكة مع اسرائيل والمشروعات الثنائية المشتركة، ستدفع بتل ابيب الى تأمين المساعدات والاستثمارات المطلوبة بدافع من مصالحها الخاصة، وعلى هذا الاساس قدم الامير حسن في اطار ندوة تطوير وادي الاردن (٢٤-٢٦ نيسان الماضي) والتي عقدت بمشاركة اسرائيلية -امريكية، قدم اقتراحا واضحا بانشاء سلطة اردنية -اسرائيلية مشتركة لاخدود وادي الاردن» تدير الاقليم وتشرف على المشاريع المقترحة لتطويره.

وبرغم الجدل حول اذا ما كان القصر يبالغ بقدرة اسرائيل الدولية على اتاحة الفرص الاستثمارية للاردن أم لا، فان القناعة الشعبية الراسخة بعدم الثقة باسرائيل، تبعث على تشكك اغلبية الاردنيين في امكانية ان تفعل اسرائيل شيئا لمصلحة الاردن، وفي بلد مرتبط اشد الارتباط بالجوار العربي وبالقضية الفلسطينية، فان سياسة القصر الراهنة لا تحظى بالتأييد المعهود، ويظهر الانقسام الداخلي واضحا بينما الاصرار على سياسة «الأسرلة» يضيف الى المعارضة الوطنية، باستمرار قوى أكثر اعتدالا، ويدفع بالنظام الى العودة إلى الأساليب العرفية في ادارة الازمة، والتي شملت مؤخراً قوى وشخصيات تعتبر من صلب النظام تاريخيا، وكانت محاولة وزارة الداخلية منع محاضرة لرئيس المخابرات الأردنية ورئيس الوزراء ورئيس اللجنة الملكية للميثاق الوطني وعضو مجلس الأعيان (سابقا) أحمد عبيدات، مثالا دراماتيكيا على مدى اتساع الدائرة التي يشملها القمع السياسي.

## هكذا تكلم أحمد عبيدات

ويؤكد الاستاذ أحمد عبيدات الذي يحظى بمصداقية وشعبية لم يحظ بهما مسؤول اردني منذ رحيل وصفي التل- ان التراجع عن حالة الانفراج الديمقراطي قد شملت جميع منابر الرأي، وقال في محاضرة له في مقر حزب الوطن (وسط) في ١٩٩٥/٥/٨ ان مجلس الامة بشقيه اصبح يقف الى جانب السلطة التنفيذية وعلى درجة ادنى منها قليلا من حيث الشكل، أما من حيث المضمون فلم يكن لمجلس الامة الحالي اى دور ايجابي، واضاف بانه مهما اختلفنا حول مدى تمثيل مجلس النواب للشعب الاردني فهو يمثل نسبة مئوية لا تزيد عن ٢٠-٣٠ بالمئة على الأقل أو الأكثر، ولكنه -مجلس النواب- من حيث النتيجة موجود شكلا معطل فعلا، وبالتالي هذه النافذة للتعبير الشعبي اغلقت.

وبعد ان بين الاستاذ عبيدات اشكال التدخل الحكومي لتطويق الاحزاب والنقابات والصحافة، قال: واضح ان التطور الاساسي الذي حدث وقع على ساحة السلام، والذي انتقل بالمناخ السياسي من حالة الى حالة، كل هذه العوامل اثرت على مناخ الثقة العامة التي (كانت) توفرت في البلاد، وخلق ازمة بين الحكومة من جهة الاحزاب من جهة أخرى، بين الحكومة من جهة ومؤسسات المجتمع المدني من جهة اخرى، وبلغت هذه الازمة حدتها قبيل معاهدة السلام بين اسرائيل والاردن، وبعد دخول المعاهدة حيز التنفيذ، وبعد ان اصبح التطبيع المرحلة المطلوبة، وهي ما اسميناه وتسمونه الاختراق (الاسرائيلي) الموجه الى الاردن.

وقال الاستاذ عبيدات ان الاردن يعيش حالة من الفراغ الفكري والسياسي، بالاضافة إلى أزمة الثقة التي تسود العلاقات بين الحكم والشعب على مختلف مستوياته وأضاف: أصبح هناك شعوراً بان فقدان الثقة العامة في البلاد، وغموض المستقبل، والخوف من الاختراق الاسرائيلي القادم وغياب المرجعية الداخلية وانعدام الحوار بين الحكومة من جهة والاحزاب السياسية من جهة أخرى.. كل هذه العوامل وضعت الوحدة الوطنية في وضع حرج.».

الجماهير: مشروع وحدة اخدود وادي الاردن

## حلم صهيوني قديم

حول اقتراح الأمير حسن، انشاء سلطة أردنية -اسرائيلية مشتركة لاخدود وادي الاردن نشرت صحيفة الجماهير التي يصدرها الحزب الشيوعي الاردني في عددها في

١٩٩٥/٥/١ ، التعليق التالى:

«ان اخطر ما تمخضت عنه ندوة عمان هى الدعوة الاردنية الى تأسيس سلطة اردنية اسرائيلية مشتركة لادارة وادى الاردن والاشراف على خططه ومشاريعه وقد انعكست هذه الدعوة فى التوصيات بالتأكيد على لجنة تشكيل اردنية اسرائيلية مشتركة وفى اسقاط كل بعد سياسى او حدودى لمشاريع وادى الاردن.

وهذا فى الحقيقة حلم ظل يراود اسرائيل منذ تأسيسها وفلسفة حكمت نشاط الوكالة اليهودية عشرات السنين وبلورته وصاغته بشكل كامل ودقيق فى مشروع «لودر ملك» عام ١٩٤٤.

فقد استقدمت الوكالة اليهودية خبير التربة والمياه الامريكى «لودر ملك» عام ١٩٣٩ وكلفته باعداد دراسة لاستغلال وادارة حوض نهر الاردن وبعد سنوات من البحث الميدانى قدم مشروعه فى عام ١٩٤٤ واقترح فيه تشكيل سلطة لادارة وادى الاردن واستصلاح اراضيه واقامة شبكة من السدود وقنوات الرى تنطلق من اعتبار بحيرة طبريا كخزان طبيعى لمياه الحوض واقترح شق قناة البحرين المتوسط- الميت- وتعمير صحراء النقب واقامة متنزهات سياحية فى وادى عربة وقد تخطى المشروع كل الابعاد والاعتبارات السياسية وانطلق من اعتبار الحوض وحدة متكاملة لا تقبل التجزئة بموارده وارضه ومشاريعه ولم يتردد لودر ملك فى التوصية بترحيل البدو من سكان وادى الاردن الى صحراء الرافدين اذا رغبوا فى الحفاظ على نمط حياتهم.

وقد ظل مشروع لودر ملك وما زال حتى الان اساسا للسياسة الاسرائيلية تجاه وادى الاردن ومنطلقا لكل مشاريعها المائية ومحدداً لموقفها من الاردن ومشاريعه المائية والزراعية فى وادى الاردن ولهذا فان اقتراح الاردن بتأسيس سلطة مشتركة لادارة الاخدود هو تلبية مجانية لاقدم وأكبر طموحات اسرائيل.

فهذا الاقتراح يضع حصة الاردن من الاخدود فى قبضة اسرائيل بحجة التكامل والشراكة واقناع الممولين والمستثمرين.

ذلك ان الاردن الذى خبر اسرائيل جيدا فى الحرب وفى المفاوضات يعرف ان اسرائيل قد ابتعلت معظم حقوقه المائية وانتزعت منه اقراراً باراضيه التى سمحت له برفع العلم الاردنى عليها فقط وبالتالى فانه يعرف ان اسرائيل لن تسمح له بالاشراف على بحيرة طبريا او ان يدير غوربيسان فالمشاركة المطروحة هى باتجاه واحد فقط ونحو الشرق أى اشراك فى اغوارنا ومواردنا شرق النهر واستثمار هذه الموارد بما يخدم مصالح اسرائيل.

ان نظرة متفحصة لأزمة المشاريع المطروحة تبين انها تتعلق بكل شئ :الطرق ، الاتصالات، المطارات ، السياحة المياه والطاقة باستثناء الزراعة ، وهذه المشاريع ذات كلفة خيالية بالنسبة لقدرات الاردن ... الامر الذى يعنى ان الاردن سيغرق مرة اخرى في دوامة اعمق من الديون من اجل تنفيذها وهذه المشاريع ليست فى سلم الاولويات الوطنية الراهنة فليس للاردن حاجة لشبكة اتصالات بكلفة مليار دولار او طرق دولية سريعة بكلفة مليارين او متنزهات وبكلفة ثلاثة مليارات.

إن كل هذه المشاريع هى في الأساس كأولويات اسرائيلية فى حقبة السلام تسمح لها بالوصول الي منابع النفط واسواقه وتجعل من الاردن محطة ترانزيت وبكلفة من المرافق التي تخدمها.

لقد انفق الاردن على مشاريع التنمية فى الاغوار خلال العقدين الماضيين أكثر من مليار دولار، واقام شبكة من السدود والطرق الجيدة ومشاريع الرى والخدمات الماء والكهرباء والهاتف ومشاريع الاسكان والخدمات وهى مشاريع تكفى حاجته وتزيد ولا ينقصه سوى الحصول على حقوقه المائية من بطن اسرائيل ووضع سياسة زراعية وخطة تنموية علمية ورشيدة تمكنه من استثمار اراضى وادى الاردن وموارده وموقعه ومناخه المتميز على وجه أفضل زراعيا وسياحيا وبيئيا وبادنى حدود التكلفة.

ان المعابر والطرق والمطارات والمتنزهات وما يرافقها من خدمات مساندة سوف تمزق اوصال وادى الاردن وتبتلع اراضيه الزراعية وتحوله الى متنزه وفندق ومركز عبور اسرائيلى.

واذا ترافق هذا الحال مع الغاء قوانين مقاطعة اسرائيل والسماح للحكومة والشركات والافراد الاسرائيليين بحق تملك الاراضى والعقارات والمشاريع فى وادى الاردن فان وادى الاردن سينتهى فى وقت غير بعيد الى مستوطنه اسرائيلية خصوصا فى ظل تدهور القطاع الزراعى وتراكم الديون على المزارعين واحجام الحكومة عن تقديم أى دعم لهم.

لقد بدأت اسعار الاراضى فى الاغوار ترتفع بشكل جنونى منذ بدء الحديث عن المشاريع المشتركة مع اسرائيل بحيث اصبح عائد الاستثمار الزراعى فى الآراضى يبدو تافها مقارنة بعوائد بيعها وهذا بداية الخطر الزاحف على الأرض والزراعة والمزارعين فى الاغوار وهو خطر يحيق بالوطن كله وستدفع البلاد كلها ثمنا باهظا له.



## مداخلات

# الاشتراكية.. والاجتهاد .. والعالم الثالث

عبد الغفار شكر

سوف تبقى الثورة البلشفية وتجربة الاتحاد السوفيتي مجالا خصبا للدراسة والتقييم لسنوات طويلة قادمة ، فهذه التجربة الإنسانية التى استقطبت ثلث البشرية تقريبا لم تكن حدثا عابرا فى تاريخ البشرية .

وماشهدته هذه التجربة من أحداث درامية أدت إلى فشل النموذج السوفيتي للاشتراكية واختفاء الاتحاد السوفيتي من الوجود وتحلل المعسكر الاشتراكي وتحول دوله إلى الرأسمالية لايمثل الكلمة الأخيرة فى هذه التجربة ، ولايعنى انتفاء الحاجة إلى استمرار النضال من أجل الاشتراكية . خاصة وأن الظروف التى دعت إلى البحث عن نظام اقتصادى اجتماعى بديل للرأسمالية مازالت قائمة وعلى رأسها انتفاء العدالة نتيجة للاستغلال الرأسمالى ، واتساع الفوارق بين الطبقات داخل المجتمع الواحد، واتساع الفوارق بين المجتمعات حيث يزداد باستمرار حجم المعاناة على مستوى البشرية وداخل المجتمعات الرأسمالية . والثورة الاشتراكية شأنها شأن الثورات الأصيلة الأخرى معرضة للانتكاس ولكن ذلك لايعنى أن ماتواجهه من مشاكل وصعوبات سوف يجهز عليها . والتاريخ يقدم لنا نماذج لثورات انتكست ثم مالبثت أن استعادت حيويتها واستكملت مسيرتها . ولماذا لاتكون عودة الرأسمالية الى روسيا سنة ١٩٩٢ كعودة الملكية فى فرنسا سنة ١٨١٥، التى لم تكتف بهدم نموذجى نابليون وروبسبير بل هدمت أيضا نماذج روسو وفولتير وديدرو ، وأرادت أن تمحو من ذاكرة الفرنسين " عصر التنوير " وكل المظاهر الايجابية للثورة الفرنسية ، تماما مثلما لايكتفى البعض اليوم بهدم نماذج الانحطاط الستالينى والركود البريجنيفى فيمتد أيضا إلى هدم نموذج ماركس ومؤسس الاشتراكية ، ويتعمد هؤلاء نسيان الانحلال القديم للرأسمالية الروسية وطغيان قياصرة روسيا التى كانوا يسمونها " سجن الشعوب" بسبب الاضطهاد الذى كان يمارس فيها ضد الأقليات العرقية وضد حركة الحرية بأكملها.

وفيما يتصل بالدراسات التى صدرت حتى الآن عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط النموذج الاشتراكي السوفيتي فاننا نستطيع أن نميز بين نوعين من الدارسين :

أولهما يهدف إلى تصوير ماحدث وكأنه دليل على فساد النظرية الاشتراكية واستحالة قيام نظام اشتراكى أكثر كفاءة وعدالة وديمقراطية وانسانية من النظام الرأسمالى ، ويصور هذا الفريق من الباحثين الأمر وكأن الرأسمالية هى نهاية التاريخ باعتبارها النظام الأمثل الذى يتفق مع الطبيعة الانسانية !!

أما الفريق الآخر من الباحثين فهو يقترب من التجربة للتعرف على حقيقة ماحدث والأسباب التى أدت اليه والنتائج المترتبة على ذلك والدروس المستفادة منه ، ويستخلص من الدراسة الموضوعية للتجربة السوفيتية ولما انتهت اليه من فشل ذريع أن ماحدث خص تجربة محددة تم فى ظل ظروف محددة تبلور من خلالها نموذج تطبيقى للاشتراكية لم تتوفر له فرص التطور بما يتناسب مع مايستجد من أوضاع ، وبالتالى فانه عجز عن تلبية احتياجات التقدم ، وكان من المحتم أن يسقط طالما أنه تخلف عن مواكبة المتغيرات المجتمعية . ولكن ذلك لايعنى أن البشرية لم تعد فى حاجة إلى نظام بديل للرأسمالية يلافى الاستغلال الرأسمالى ويوفر امكانيات أكبر للشعوب للاستفادة من ثرواتها فى ظل أوضاع أكثر عدالة وديمقراطية

وتعتبر الدراسات التى صدرت حتى الآن عن تجربة الاتحاد السوفيتي سواء كانت من النوع الأول أو من النوع الثانى أحد المظاهر الأساسية لتصاعد الصراع الفكرى حول مستقبل البشرية . ويدور هذا الصراع أساسا بين الرأسماليين والاشتراكيين . ولما كان الهدف الأساسى لهذا الصراع الفكرى هو التأثير فى ملايين البشر واقناعهم بوجهة النظر هذه أو تلك فإن نشر هذه الدراسات على أوسع نطاق واتاحة الفرصة لأوسع دائرة من القراء للاطلاع عليها يعتبر أمرا هاما لكسب هذه المعركة فى النهاية . وقد جندت الرأسمالية العالمية كافة امكانياتها للتأكيد على الاستنتاجات التى يصل اليها الباحثون الرأسماليون بشأن فساد النظرية الاشتراكية واستحالة قيام نظام اشتراكى . وتتجه الدعاية الرأسمالية بشكل خاص الى شعوب العالم الثالث لاقناعها أن مستقبلها فى الأخذ بالعلاقات الانتاجية الرأسمالية واقتصاد السوق . وتعتبر بلاد العالم الثالث المجال الأساسى للصراع

الفكرى المحتدم حاليا بين الرأسماليين والاشتراكيين والذى يستخدم انهيار الاتحاد السوفيتى وفشل النموذج الاشتراكى السوفيتى مادة حية للتأكيد على وجهات النظر المختلفة التى تطرح فى هذا الصراع . من هنا فقد أحسنت مجلة اليسار صنعا بنشر دراسة روجيه جارودى " تذكر .. موجز لتاريخ الاتحاد السوفيتى " فى اعدادها الصادرة فى يناير وفبراير ومارس ١٩٩٥ وتأتى أهمية هذه الدراسة من أنها تكشف لنا بعض الحقائق الهامة حول التجربة السوفيتية ، وتفتح الباب أمام امكانية تطوير نظرتنا إلى مستقبل النضال من أجل الاشتراكة فى مجتمعات العالم الثالث المتخلفة على ضوء الدروس المستفادة من تجربة الاتحاد السوفيتى .

## الردة وذاكرة الشعوب

الحقيقة الأولى التى تؤكدها دراسة روجيه جارودى هى ضرورة استخدام منهج البحث التاريخى فى دراسة الثورة البلشفية والتجربة السوفيتية لأن وضع هذه التجربة فى سياقها التاريخى أى فى إطار ظروفها المحددة يجعل بالامكان معرفة الأسباب التى أدت إلى اتخاذ هذه التجربة مساراً معينا وتبلور ملامح محددة للنموذج الاشتراكى نابع من الظروف الخاصة التى أحاطت بالتجربة ، والتى لايشترط أن تتوفر فى تجارب أخرى تتم فى ظروف مختلفة . ومن هنا فان منهج البحث التاريخى يساعدنا على كشف المغالطة الكبرى التى يقوم بها الباحثون البورجوازيون حيث يتجاهلون الظروف التاريخية المحددة ويقفزون حول الوقائع الثابتة للإيهام بأن ماحدث هو نتيجة لقصور الفكر الاشتراكى ، بينما هو فى الحقيقة نتيجة لأوضاع خاصة ناجمة عن تطور تاريخى له سماته الخاصة فى موقع محدد ( روسيا ) وفى زمان محدد ( النصف الأول من القرن العشرين ) وفى هذا الصدد يؤكد جارودى على حقيقة بسيطة للغاية لكنها جوهرية فى نفس الوقت " أن الشرط اللازم للردة التاريخية هو نزع ذاكرة الشعب عنه " . وفى مواجهة الردة والافساد مخططها فانه يتعين استدعاء ذاكرة هذا القرن وتذكر كل ماجرى ، ابتداء من تذكر ماكانت عليه روسيا عشية ثورة أكتوبر الى تذكر ماواجهته الثورة من مشكلات وكيف تحتم عليها أن تواجه هذه المشكلات.

كانت روسيا عشية ثورة أكتوبر بلدا يمثل سمات المجتمع المتخلف ذى البنية شبه الاستعمارية وذلك رغم اقامة بعض المؤسسات شديدة العصرية ٨٠٪ من السكان كانوا فلاحين ، ٥٨٪ مما تصدره روسيا منتجات غذائية ، ٣٣٪ من استيرادها منتجات صناعية ، نصف الأراضى الزراعية ( ٧٠ مليون هكتار مملوكة لثلاثين ألف مالك اقطاعى الذين يستغلون الفلاحين أبشع استغلال ( تهدد الريف هبات فلاحية عنيفة وصل عددها الى ٢٠ألف واقعة فى الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩١٠ ، ١٣ ألف واقعة من ١٩١١ إلى ١٩١٤ ، يضاف إلى هذا الغليان الإنسانى فى روسيا كلها ثورات الشعوب الأخرى حيث كان النظام القيصرى يطبق حكما استعماريا من جبال الأورال الى المحيط الهادى . ضاعفت الحرب العالمية الأولى من حدة هذه التناقضات حيث شاركت فيها روسيابجيش ضم ١٠ ملايين فلاح ذاقوا ويلات الهزيمة مما أدى إلى فرار ٢ مليون جندى من جبهات القتال وانتشارهم فى البلاد ليفاقموا من حدة التوتر الاجتماعى . وفى هذه الظروف فان قيام ثورة أكتوبر واعلانها برنامجا من ثلاث نقاط : السلام ، والأرض للفلاحين ، والسلطة للشعب كان يعنى أننا لسنا بصدد مؤامرة أو انقلاب للاستيلاء على الحكم بل أمام ثورة شعب كامل ليفتح الأفق من أجل نظام انسانى جديد.

وعندما نقارن ماشهدته روسيا من تطورات فى مجال قوى الانتاج وعلاقات الانتاج والثورة الثقافية وخاصة مايتصل منها بتعميم التعليم ومحو الأمية فأننا ندرك أن منهج البحث التاريخى الذى التزم بهٌ جارودى فى هذه الدراسة كفيل بالرد على كثير من المغالطات التى تلجأ إليها الدعاية البورجوازية عندما تتجاهل الحقائق التاريخية .

## معطلبات الكفاح

الحقيقة الثانية التى تكشف عنها دراسة جارودى أن الإجراءات التى اتخذت عقب الثورة الاشتراكية فى روسيا والتى ساهمت فى بلورة الملامح الأساسية للنموذج الاشتراكى السوفيتى لم تكن نابعة من المذهب الشيوعى بل كانت من معطلبات الكفاح فى مواجهة الأوضاع التى أحاطت بالثورة فى هذا الوقت . وقد كانت هذه الإجراءات لازمة لحماية الثورة وانقاذها فى مواجهة الغزو الأجنبى الذى تعرضت له روسيا والذى تجسد فى ١٤ جيشا أجنبيا يحارب قوات الثورة على الأرض الروسية والذى أدى إلى انفجار الحرب الأهلية ونجاح كبار الجنرالات المعبرين عن مصالح الاقطاع والرأسمالية الاحتكارية الى تعبئة مئات الألوف من الفلاحين لخوض غمار الحرب ضد الثورة وكذلك ماتعرضت له روسيا من حصار اقتصادى استمر بعد انتهاء الحرب الأهلية وكان له أكبر الأثر فى تبرير اجراءات ستالين بعد ذلك فى اتجاه المركزية الشديدة واستبدال الإجراءات الادارية فى الميدان الاقتصادى واستكمال النظام الاوامرى فى ادارة الاقتصاد الوطنى . فى مواجهة الغزو الأجنبى والحرب الأهلية والحصار الاقتصادى . كان من الضرورى وجود سلطة مركزية قادرة على تغذية قوات الثورة وكسوتها وتسليحها ونقلها من مكان لآخر . وإزاء نقص المواد الغذائية وخاصة القمح ونقص الفحم وحتى لايموت الناس جوعا أو من البرد فى بعض المناطق بينما تتوفر هذه المواد فى مناطق أخرى كان من الضرورى اللجوء إلى قدر من المركزية الشديدة تضمن تنظيم نقل هذه المواد الى مختلف المناطق فى الوقت المناسب . وكان من الضرورى تأميم بعض المصانع لتوفير المواد المطلوبة لاستمرار الكفاح ضد القوات الأجنبية وضد الثورة المضادة ، وفى هذا السياق تبلور نظام أوامرى يتم بمقتضاه تحديد أهداف الانتاج مركزيا ويتعين الالتزام بهذه الأوامر بدقة لضمان استمرار الكفاح . من هنا - من ظروف الكفاح وليس من الأساس النظرى للاشتراكية - تبلورت الملامح الأساسية للنموذج الاشتراكى السوفيتى وعلى رأسها" المركزية الشديدة - النظام الأوامرى - سيطرة الدولة على وسائل الانتاج - الحزب الواحد"

ونتيجة لذلك تزايد نفوذ البيروقراطية وأصبحت فى وضع يمكنها من إحكام قضتها على مجمل النشاط الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، وقد ساعد على على ذلك استشهاد عدد كبير من الكوادر الثورية الاشتراكية أثناء الحرب الأهلية . وعندما تنبه لينين لمخاطر هذا الوضع ودعا إلى السياسة الاقتصادية الجديدة وضرورة اشاعة التعاون فى المجتمع وأولوية الثورة الثقافية بالنسبة للفلاحين ، كان الوقت قد فات . فهو فى حالة صحية سيئة لاتمكنه من ممارسة القيادة الفعلية ، والبيروقراطية تنمو ويتزايد نفوذها بحكم الحاجة إليها لتلبية الاحتياجات الأساسية

للشعب والثورة . وهكذا فانه بتولى ستالين مقاليد القيادة تعززت فرص تكريس هذه الملامح الأساسية للنموذج الاشتراكي السوفيتي التي فرضتها متطلبات الكفاح بالرغم من أن الظروف التي دعت إليها قد تغيرت الى حد كبير.

## الاشتراكية والاجتهاد

الحقيقة الثالثة التي تكشف عنها دراسة المفكر الفرنسي روجيه جارودي هي أنه لاتوجد في الفكر الاشتراكي تصورات نهائية حول صورة المجتمع الاشتراكي ، وماكان مطروحا من أفكار قبل ثورة أكتوبر الاشتراكية سنة ١٩١٧ هو مجرد استنتاجات توصل إليها ماركس وانجلز ولينين عن دراستهم لتطور الرأسمالية في أوربا في القرن التاسع عشر وفي روسيا القيصرية في أوائل القرن العشرين ، ولم يكن هناك في ذلك الوقت مخطط محدد لصورة النظام الاشتراكي أو نموذج معين للبناء الاشتراكي . وعندما فرضت متطلبات الكفاح في روسيا في فترة الحرب الأهلية ملامح معينة للنموذج الاشتراكي الوليد فانها لم تكن واردة من قبل في كتابات مؤسس الاشتراكية يستوى في ذلك المركزية والنظام الأوامري واحتكار الدولة ملكية وسائل الانتاج وتقدم لنا السياسات التي طرحها لينين وكتاباته الأخيرة قبل وفاته الدليل الحي على أن باب الاجتهاد مفتوح باستمرار في البناء الاشتراكي وأنه يجب ألا تكون هناك تصورات نهائية والا فان الجمود الفكري سيؤدى كما حدث في الاتحاد السوفيتي إلى الإجهاز على التطبيقات الاشتراكية التي تعجز عن مواكبة التطورات الجارية في المجتمع الانساني بصفة عامة وفي المجتمعات التي شهدت هذه التطبيقات بصفة خاصة.

بعد انتهاء الحرب الأهلية وتصفية الغزو الأجنبي وانهيار الاقتصاد الروسي دعا لينين الى انتهاج سياسة اقتصادية جديدة تتعارض مع المركزية والأوامرية واحتكار الدولة لوسائل الانتاج . ولهذا فقد لقيت هذه السياسة معارضة شديدة من قيادات الحزب الشيوعي السوفيتي واعتبروها تراجعا عن الاشتراكية ، خاصة وأنه بموجب هذه السياسة تم اعادة الأرض لمتوسطي الملاك وسمح للفلاحين ببيع محاصيلهم في السوق بالأسعار الجارية وأتيحت الفرصة للاستثمار الخاص في الصناعة بما في ذلك الاستثمارات الأجنبية وعاد مرة أخرى النشاط التجاري الخاص في اطار آليات السوق وتكشف لنا السياسة الاقتصادية الجديدة عن وعى لينين بأنه في مجتمع متخلف لايمكن تجاهل صغار ومتوسطي المنتجين ولايمكن وضع كل وسائل الانتاج الصغيرة والكبيرة في يد الدولة كما أنه لايمكن تجاهل السوق الذي يعتبر ضروريا لعرض احتياجات المستهلكين وضروريا لإثارة المبادرات الانتاجية بواسطة المنافسة . وهكذا فان السياسة الاقتصادية الجديدة هي اجتهاد مبكر لحل مشكلة الاشتراكية الأساسية ألا وهي ضرورة ايجاد توافق بين السوق والخطة الاقتصادية بحيث يتكامل دور كل منهما في دعم الأداء الاقتصادي.

ويكتسب اجتهاد لينين لاعادة صياغة أسس البناء الاشتراكي في روسيا - نتيجة للأوضاع وللظروف الجديدة بعد انتهاء الحرب الأهلية - يكتسب هذا الاجتهاد أهمية خاصة ليس فقط على المستوى التاريخي بالنسبة للباحثين في تاريخ الثورة الروسية ، بل بالنسبة لمستقبل الاشتراكية في الفترة القادمة في بلدان العالم الثالث فهذا الاجتهاد يدور حول كيفية ومراحل بناء الاشتراكية في مجتمع متخلف ، بينما كان تصور مؤسسي الاشتراكية الأوائل أن الاشتراكية سوف تتحقق في المجتمعات الرأسمالية المتطورة . هكذا اكتشف لينين عبر التجربة والممارسة أهمية التوافق بين الخطة والسوق وأهمية الجمع بين ملكية الدولة لوسائل الانتاج الكبير والنشاط الرأسمالي في الصناعة والتجارة وضرورة دعم متوسطي الملاك الزراعيين للمجتمعات المتخلفة التي لم يتحقق فيها تطور حاسم في قوى الانتاج ومازال جهازها الانتاجي يعتمد أساسا على وسائل انتاج متخلفة ، وتكشف لنا كتابات لينين الأخيرة وخاصة مقال " عن التعاون" المنشور في البرافدا في يناير ١٩٢٣ وهو آخر مقال كتبه قبل وفاته عن الخطوط العريضة . للبناء الاشتراكي في مراحله الأولى في المجتمعات المتخلفة أو مايسميه لينين " كل ماهو ضرورى لكي نبني المجتمع الاشتراكي الكامل ، أن ذلك ليس بعد بناء المجتمع الاشتراكي ، ولكنه كل ماهو ضرورى وكاف لبنائه" أنه يتحدث عن التمهيد لبناء المجتمع الاشتراكي . وفي هذا الصدد يؤكد لينين أن الشروط الأساسية اللازمة لتهيئة الوضع في أي مجتمع متخلف للتقدم نحو البناء الاشتراكي هي :

١- أن تكون السلطة السياسية للدولة في يد الطبقة العاملة وحلفائها.

٢- سيطرة الدولة على وسائل الانتاج من خلال الملكية العامة لوسائل الانتاج الكبير والقدرة على توجيه النشاط الاقتصادي الخاص في إطار الخطة.

٣- تحقيق ثورة ثقافية وخاصة بالنسبة للفلاحين باعتبارهم يشكلون أغلبية المجتمع.

٤- التوسع في التعاون باعتبار أنه يساعد الفلاح على الانتقال إلى الوضع الجديد بالسبيل الأبسط والأسهل والأقرب إلى متناول الفلاح.

ويجمع لينين بين تحقيق الثورة الثقافية وإشاعة التعاون في المجتمع كمدخل للبناء الاشتراكي بدعوته إلى " القيام بعمل ثقافي بين جماهير الفلاحين ، والحال ، أن الهدف الاقتصادي عن هذا العمل الثقافي بين الفلاحين ، إنما هو التعاون بالضبط . فإذا استطعنا تنظيم جميع السكان في التعاونيات ، رسخت اقدامنا في الميدان الاشتراكي . ولكن هذا الشرط - أي تنظيم السكان في التعاونيات - يفترض درجة من الثقافة لدى الفلاحين ( وأقول الفلاحين ، لأنهم يشكلون جمهورا غفيرا جدا) يستحيل معها تعميم هذا التنظيم في التعاونيات دون ثورة ثقافية كاملة ) .

من الواضح إذن أنه لاتوجد في الفكر الاشتراكي مقدسات لايجوز الاقتراب منها ولاتوجد تصورات نهائية لايجوز تعديلها ولايوجد نموذج محدد يلتزم الأخذ به . بل الأمر الأساسي في الاشتراكية هو استخدام المنهج العلمي في دراسة الواقع المحيط واكتشاف القوانين المحركة له وفهم ظواهره الأساسية والعلاقة بينها والمشاكل الناجمة عنها وكيف يمكن مواجهة هذه المشاكل والإجراءات التي يتعين اتخاذها من واقع دراسة الواقع الملموس . ومع كل تغير في هذا الواقع يتحتم اعادة النظر في الاستنتاجات التي توصلنا اليها . وبذلك نستطيع أن نواكب حركة المجتمع وأن نبني باستمرار احتياجات تطوره، وإذا لم نفعل ذلك وبقينا على تصوراتنا السابقة وبررنا استمرارها كما حدث في التجربة السوفيتية فإن الفشل سيكون مصيرنا المحتوم.

وهكذا فإن النضال من أجل الاشتراكية

يحتم مواصلة الاجتهاد . وبالرغم من قناعتي الكاملة بخطورة الاستشهاد بنصوص صادرة عن مفكرين اشتراكيين في مراحل سابقة إلا أنني تعمدت ايراد هذه الاقتباسات من لينين لأنها نموذج واضح لضرورة الاجتهاد واعادة النظر باستمرار فيما نصل اليه من استنتاجات وأنه لاتوجد مقدسات في الفكر الاشتراكي.

انطلاقا من هذه الحقائق التي تكشف عنها دراسة روجيه جارودي التجربة السوفيتية فإننا نستطيع أن نستخلص بعض الاستنتاجات الأساسية حول نضالنا الراهن من أجل بناء الاشتراكية في بلدان العالم الثالث نذكر منها:

أولا: مازالت الحاجة قائمة في بلدان العالم الثالث الى نظام اقتصادي اجتماعي سياسي بديل للرأسمالية يخرج هذه البلدان من أزمتها الطاحنة ، فقد أثبتت التجربة أن الرأسمالية ليست فقط عاجزة عن إخراج هذه البلدان من أزمتها بل أنها المسئول الأساسي عن هذه الأزمة .ففي السنوات الأخيرة استجابت كثير من بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية لتوجهات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ونفذت برامج للتكيف الهيكلي في اتجاه مزيد من الليبرالية الاقتصادية أدت إلى زيادة تركز الثروة في أيدي قلة محدودة ، وتبلورت أوضاع احتكارية جديدة ، واتسعت الفوارق بين الدخول ، وهبط مستوى معيشة أغلبية الشعب التي عجزت عن اشباع احتياجاتها الأساسية ، وتزايدت معدلات البطالة والفقر وتهميش جزء كبير من القوى البشرية في المجتمع ، وتزايدت نتيجة لذلك حدة التوتر الاجتماعي وعدم الاستقرار السياسي ، أي أننا أصبحنا بفضل الرأسمالية نعيش في بلدان العالم الثالث في ظل أزمة شاملة اقتصادية اجتماعية سياسة لامخرج منها إلا باحداث تغيير شامل في كيفية تنظيم عملية الانتاج ، وفي طابع ملكية وسائل الانتاج ، وفي القاعدة الاجتماعية للسلطة والحكم ، وفي القيم السائدة في المجتمع ، وهو مايعني ضرورة اقامة نظام بديل للرأسمالية هو في اعتقادنا النظام الاشتراكي الذي نتحمل مسئولية بلورة نموذج جديد له يختلف عن النموذج السوفيتي ويتناسب مع ظروف أوضاع المجتمعات المتخلفة في العالم الثالث

ثانيا: بناء المجتمع الاشتراكي في بلدان العالم الثالث ليس هدفا مباشرا لهذه المرحلة من نضالنا بل أنه يتطلب وقتا طويلا وينقسم إلى مراحل عديدة يجب أن يتم خلالها اجراء اصلاحات ديمقراطية عميقة وتحولات ثقافية جذرية وتطوير الجهاز الانتاجي بما يمكن من اشباع الحاجات الأساسية للشعوب وخاصة الفئات الكادحة وبدون هذه التغيرات فانه لن يتوفر الأساس المادي للانتقال الى الاشتراكية.

ثالثا: القضية المركزية في المرحلة الحالية من نضال القوى الاشتراكية في بلدان العالم الثالث هي انجاز برنامج متكامل للاصلاح الديمقراطي ينهي نظم الحكم الشمولية والسلطوية التي تحتكر السلطة لفئات اجتماعية ضيقة تلتقي مصالحها مع الرأسمالية العالمية وتقبل العمل كوكيل لها في مجتمعاتها وتقبل بالتالي الاندماج في السوق الرأسمالي العالمي بشروط الدول الرأسمالية الكبرى ، وبصرف النظر عن المصالح الوطنية لشعوب بلدان العالم الثالث.

ويتطلب النضال الديمقراطي في هذه المرحلة توفير الشروط الضرورية لتحقيق تداول السلطة بين مختلف القوى السياسية من خلال الانتخابات العامة واعادة بناء المؤسسات المركزية والمحلية كمؤسسات ديمقراطية . ولايمكن أن يتحقق هذا التحول الديمقراطي مالم يواكبه طرح وتنفيذ برنامج اقتصادي اجتماعي يركز على زيادة الاعتماد على النفس وتوفير الحماية للطبقات الكادحة والفئات الأشد فقرا.

رابعا: يتطلب النجاح في انجاز هذه الأهداف أن تعيد الحركة الاشتراكية بناء نفسها كحركة ديمقراطية تقبل تداول السلطة بين مختلف القوى السياسية من خلال الانتخابات العامة حتى في فترة الانتقال إلى الاشتراكية وفي ظل المجتمع الاشتراكي عندما يتحقق ، كما تقبل التعددية في صفوفها وتبني تنظيماتها الأساسية في إطار ديمقراطي يتيح للأعضاء حرية التفكير وتعدد المواقف واحترام رأي الأقلية وحقها في التعبير عن رؤيتها ، كما تعطي الأولوية في نشاطها للعمل مع الجماهير. باعتبارهم القوة المحركة لأي نضال سياسي جماهيري وتجاوز الأوضاع النخبوية التي تحصر العمل السياسي في دائرة محدودة من المثقفين.

خامسا: أن تتفهم الحركة الاشتراكية الأوضاع والظروف المحيطة بالنضال الاشتراكي في مجتمعات متخلفة وكيف تكسر حاجز العزلة الذي لم ينجح في اختراقه من قبل ، وسبيلها الى ذلك الوعي بأنها جزء من حركة اجتماعية أوسع بكثير من الدائرة الاشتراكية هي الحركة التقدمية التي تجسد في الواقع التحالف الطبقي القادر على انجاز عملية الانتقال إلى الاشتراكية والذي يضم العمال وفقراء ومتوسطي الفلاحين والفئات الوسطى والشباب والنساء ، وليس شرطا أن يكون التوجه السياسي لكل القوى المنضوية تحت لواء الحركة التقدمية ماركسيا بل هناك توجهات اشتراكية وتقدمية كالناصريين في الوطن العربي والبعثيين وهناك توجهات قومية واسلامية مستنيرة يجب الحرص عليها ودعم التحالف بينها كشرط أساسي لكسب نفوذ جماهيري واسع يمكن من تحقيق التحولات الديمقراطية والإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والتحولات الثقافية المطلوبة في المرحلة الحالية.

سادسا: ولما كان الشرط الأساسي لامكانية بدء عملية البناء الاشتراكي هو وصول القوى الاشتراكية الى السلطة السياسية فان نضال الاشتراكيين من أجل الوصول الى السلطة لم يعد ممكنا أن يتحقق في المجتمع المعاصر بوسائل انقلابية وانما برضاء شعبي واختيار شعبي الأمر الذي يتطلب أن تحرص هذه القوى على العمل وسط الجماهير من أجل تنظيمها وزيادة فاعليتها وسوف يتيح ذلك للقوى الاشتراكية أن تبني نفوذها على نطاق واسع يشمل المجتمع بأسره بحيث تأتي عملية امتلاك السلطة السياسية مجرد تقرير لأمر واقع وخطوة منطقية تعكس بناء اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا مستقرا ، وكل نشاط يبذل من أجل توسيع نفوذ الاشتراكيين والحركة التقدمية في المجتمع وبناء قواعد لهذا النفوذ في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والإعلامية والثقافية يندرج في إطار مايسمى ببناء القوة من أسفل الذي يشكل تطبيقا خلاقا لمفهوم التغيير المستند الى فكرة الطبقة المهيمنة وقوة الجماهير المنظمة في مواقع معيشتها ومنظماتها الاجتماعية والنقابية والثقافية ، وبالتالي فإنها تشكل أساسا قويا للتغيير بالطريق الديمقراطي.

وبعد إن هذه الاستنتاجات الأساسية التي تشكل الملامح الأساسية للنضال الراهن للقوى الاشتراكية في العالم الثالث تحتاج إلى مناقشة أوسع والتعمق في دراسة الظروف والأوضاع الراهنة ومايتلاءم معها من أساليب للعمل وأولويات للنشاط وهي مسئولية تتحملها القوى الاشتراكية في هذه البلدان التي لم يعد بامكانها أن تعتمد على تجارب سابقة بل عليها أن تجتهد في صياغة طريقها الى الاشتراكية بما يتناسب مع متغيرات العصر والأوضاع الدولية الجديدة والظروف الخاصة لمجتمعاتها.

## أرض الواقع.. ماذا تقول عن شركة أسمنت بورتلاند طره المصرية؟!

# شركتنا أكبر شركة لإنتاج الأسمنت فى الشرق الأوسط وانتاجنا يتميز بأعلى المواصفات القياسية فى العالم

**النجاح كلمة ليست مطلقة أو وليدة الصدفة .. بل هى نتاج لعوامل كثيرة ومتعددة يكمل بعضها البعض .. ونستطيع أن نقول أن أهمها الإيمان بالهدف، والعمل من أجله والصبر على نتائجه. ففى زحمة العمل والجهد المبذول ما أحوجنا جميعاً إلى كلمة حق تضع كل فرد فى مكانه الصحيح.. يداً حانية تمسح قطرات العرق من على الجباه لتكون بلسماً وعونا على منازلة الصعاب .. فبلا ضجيج وفى صمت وعلى مدار ثمانية وستين عاماً وقفت شامخة شركة أسمنت طرة المصرية كواحدة من أبرز الشركات العاملة فى هذا المجال فى العالم .. ويدعم شموخها انتاجها المتميز بجودته العالمية كنتيجة طبيعية لامتلاكها أعظم محجر جيرى فى العالم الذى بنيت من أحجاره أهرامات الجيزة.**

**لذا كان لابد لنا من لقاء لنلقى من خلاله الضوء ونضع النقط فوق الحروف لنعرف ما لهذه الشركة العملاقة وماهو عليها.. وكان من المحتم مقابلة الرجل الذى يقود الفريق والذى يخطو بالشركة من نجاح إلى نجاح .. وبالفعل التقينا بالمهندس علاء منير عبد الوهاب رئيس مجلش الإدارة والعضو المنتدب فكان لنا هذا الحوار..**

وقبل أن نبدأ حوارنا عزيزى القارىء .. بداية علينا ان نعترف أننا عندما ذهبنا إلى لقاء المهندس علاء منير كانت لدينا عشرات من الأسئلة نود أن نلقيها عليه ، ذلك لأن شخصية محدثنا تعتبر مغرية لأى صحفى أو باحث باهتمام فى مدى قدرة الإنسان على التجديد والتطوير.

* * *

صناعة الأسمنت احدى اهم الصناعات التى تعتمد عليها الدولة فى بناء نهضتها الصناعية والعمرانية.. لذا كان لزاماً علينا ان نسعى لتجسيد قصة الكفاح داخل قلعة عملاقة لانتاج الأسمنت والتى استطاعت من خلال ما يقرب من ٦٨ عاما أن تعتبر كبرى شركات الأسمنت على أرض مصر.

* * *

* ماهى شركة أسمنت طرة المصرية؟

* وماهى الإنجازات التى حققتها الشركة منذ إنشائها عام ١٩٢٩ وحتى اليوم؟

* أجاب المهندس علاء منير أن شركة أسمنت بورتلاند طرة المصرية هى أحدى شركات الشركة القابضة للتعدين والحراريات وتعتبر أولى الشركات المنتجة للأسمنت فى مصر حيث تأسست عام ١٩٢٧ وبدأت انتاجها عام ١٩٢٩.

وأما عن أنجازاتها فإن شركتنا تقف شامخة بعراقتها منذ خمسة وستين عاماً بين شركات الأسمنت الكبرى العاملة فى هذا الميدان على مستوى العالم ويأتى ذلك نتيجة انتاجها المتميز وجودته العالية كنتيجة طبيعية لامتلاكها أعظم محجر جيرى فى العالم والذى بنيت من أحجاره أهرامات الجيزة، كما يوجد بالشركة تسع أفران تعتبر متحفاً حياً لتاريخ تطور تلك الصناعة بما تنتجه وقد أجتمعت فيه كل المواصفات القياسية سواء كان هذا الانتاج باستخدام الطرق الحديثة كما كان لخبراء الشركة الفضل فى انتشار صناعة الأسمنت العربية والأفريقية والذين يتولون تصدير الخبرة المصرية من خلال برامج تدريبية تخصيصية.

* السيد المهندس علاء منير بحكم كونكم فى شركة عامة تملك الكثير من الإمكانيات ومؤهلة للعب دور فعال فى المجتمع والاقتصاد القومى .. نرجو من سيادتكم إلقاء الضوء على تصوركم للعوامل التى يمكن عن طريقها دفع اى شركة أو كيان اقتصادى على طريق النجاح وتوفر له فرصة حقيقية للتقدم.

* أجاب سيادته:

اعتقد أنه يمكننا ايجاز العوامل المؤثرة فى تحقيق النجاح ووضع أى شركة بغض النظر عن كونها عامة أو خاصة لتحقيق أهدافها فى هذه العناصر التى تعتبرها دستوراً فى شركة أسمنت طرة وهى — إدارة عليا تقوم بالتخطيط واتخاذ القرار السليم مع توافر المرونة بشكل ملحوظ.

إدارة تنفيذية تشكل فريقاً متكاملا من المهندسين والمحاسبين والإداريين مزود بالصلاحيات المناسبة لاتخاذ المبادرة ولتنفيذ السياسة والبرامج لدعم الانتاج ومضاعفته ومجموعة من الفنيين والعمال المزودين بكل ما هو مستحدث من أساليب التنفيذ وتشغيل المعدات وصيانتها موظفون أكفاء دائمو البحث فى دقائق العمل بما يدعم التقدم الكبير الذى رفع من مستوى الانتاج وأرسى قواعد خلق إدارة قادرة على تشجيع وتبنى مبدأ استحداث التكنولوجيا المتطورة.

– إرساء قواعد راسخة للشئون الإدارية والمالية والفنية بحيث تكون دائماً على مستوى المسئوليات بأقصى درجة من الكفاءة.

– تحديد دقيق للاختصاصات والمسئوليات لسرعة الإنجاز ولتفادى الازدواج.

– الاستخدام الجماعى الأمثل للطاقة والإمكانيات المتاحة.

– تحديد مقاييس مقننة للأداء وقد أثمر هذا كله عن تحقيق انجازات الشركة فى الفترة الأخيرة من الروعة بحيث وضعت الشركة فى مركز قيادة فى مصر وذلك لقدرتها الكبيرة والموجهة لصالح مصر.

* السيد المهندس علاء منير.. لعلنا نتفق أن العمالة

بسم الله الرحمن الرحيم

"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و...

# شركة التعدين

# شركة أسمنت بورتلاند ...

◆ أولا : نبذة عن الشركة :

- إسم الشركة : شركة أسمنت بورتلاند طره المص...
- الشكل القانونى : شركة مساهمة مصرية إحدى الشركات التابعة لشركة التعدين والح...
- السجل التجارى : سجل تجارى رقم ١٥٨٧ الجيزة بتاريخ ١٩٣٥/٦/٢٣ ...
- غرض الشركة : ١- حيازة الأراضى واستغلال المحاجر وإنشاء المصانع بجميع ملحقاتها ... التى ليست فى حاجة إليها للشركات الشقيقة أو لل...

٢- صنع جميع أنواع الأسمنتات وأنواع الجير والمسبوكات وقطع الغيار وجميع صناعات مواد البناء والأصناف التى...

٣- تصنيع أكياس الورق الكرافت أو الأكياس عموماً اللازمة لتعبئة إنتاجها من الأسمنت أو الجير ولها أيضاً ...

٤- تملك أو المشاركة فى تملك وسائل النقل البرى أو النهرى وذلك لنقل المنتجات التى تصنعها أو المواد التى تستعملها الشر...

٥- القيام بالأعمال الخاصة بالمنقول والعقار والعمليات الصناعية أو المالية والتجارية واستغلال الأموال المتاحة لل... وجه من الوجوه مع الجهات التى تزاول أعمالاً شبيهة بأعمالها أو التى قد تعاونها على تحقيق غرضها فى ...

# شركة أسمنت بورتلاند طرة المصرية

- أول شركة أنشئت لإنتاج الأسمنت فى مصر حيث تأسست سنة ١٩٢٧ وبدأت الإنتاج سنة ١٩٢٩م .
- الفرن الثالث الذى أقيم بها سنة ١٩٣٣ كان يعتبر فى ذلك الحين أطول فرن فى العالم .
- كان للشركة السبق فى ادخال صناعة الأسمنت بالطريقة الجافة فى مصر سنة ١٩٨٢ حيث ظهر باكورة إنتاج الفرن السابع .
- فى عامى ٨٦ ، ١٩٨٧ على التوالى بدأ إنتاج الفرنين الثامن والتاسع ليصل متوسط الطاقة الانتاجية للشركة ٣٠٠٠٠٠٠ طن سنوياً
- قامت الشركة بدراسة المشروعات والبحوث الفنية لإقامة صناعة الأسمنت فى بعض الدول العربية والأفريقية ، كما قدمت مشورتها الفنية وسابق خبرتها فى تناول الكثير من مشاكل الإنتاج فى هذه الدول .
- استثماراً لهذه الخبرة العريقة المكتسبة على مدى هذه السنين الطويلة ، وتعاوناً مع شركات الأسمنت الأخرى سواء داخل الجمهورية أو خارجها ، فقد تم إنشاء مراكز متقدمة للتدريب الإدارى والفنى على مساحة ١٠٠٠٠ م² صممت برامجها خصيصاً لمواجهة الاحتياجات التدريبية فى صناعة الأسمنت بحيث أصبحت ملتقى دولى للوافدين من العاملين فى هذه الصناعة .

ُسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" صدق الله العظيم

# والحراريات شركة قابضة مساهمة مصرية

# طرة المصرية تأسست سنة ١٩٢٧

رية

يات "ش. م. م. م" طبقًا لأحكام القانون ٢٠٣ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية .

جدد له بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٩٢

منطقة طرة بجوار القاهرة أو فى غيرها من الأماكن بجمهورية مصر العربية والبيع والتنازل عن الأراضى

غير .

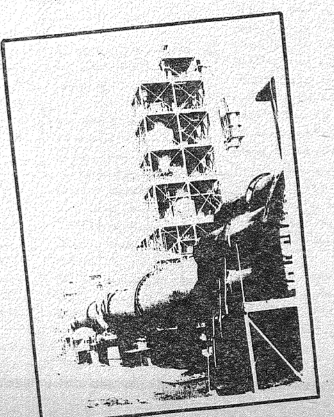
لها علاقة بصناعة الجير أو الأسمنت إما بنفسها أو بواسطة شركات أخرى وكذلك تسويقها فى مصر أو فى الخارج .

وريد أو تصنيع أكياس للغير طالما أن الطاقة الانتاجية تسمح بذلك .

ولها أيضًا تأجير أو استعمال تلك الوسائل فى نقل البضائع ومهمات الغير بما يعود عليها بالنفع ، وتحسين اقتصاديات الشركة .

كة بما يعود بالنفع عليها وعلى العموم كافة العمليات التى لها صلة بأغراض الشركة سالفة الذكر ويجوز لها أن تشترك بأى

مصر أو الخارج وفقًا لأحكام قانون قطاع الأعمال العام ولائحته التنفيذية .



## إنتاج الشركة :

أولاً : الأسمنت :

- أسمنت بورتلاند عادى
- أسمنت بورتلاند سريع التصلد « سوبركريت »
- أسمنت مقاوم لمياه البحار « سى ووتر »
- أسمنت الكرنك
- أسمنت الخزانات « لوهيت »
- أسمنت حديدى ٣٥
- أسمنت فائق النعومة « سوبرفاين »

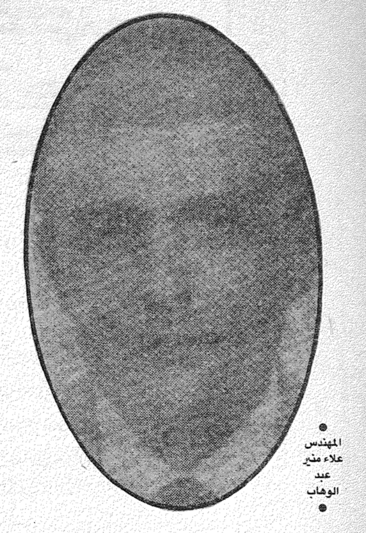
ثانيا : اكياس تعبئة من ورق الكرافت

ثالثا : جير حى - جير مطفى

# نستخدم أحدث ماوصلت اليه تكنولوجيات العصر فى انتـــاج الأسمنت

## ■ ملحمة العطاء المصرى فى مواجهة تحديات العصر لتحقيق الأكتفاء الذاتى من إنتاج الأسمنت

## الشركة تنتج جميع انواع الأسمنت على أعلى مستوى من الجودة تضارع المستويات العالمية



● المهندس علاء منير عبد الوهاب ●

ستظل دائماً اهم العناصر فى تحقيق أى كيان اقتصادى لأهدافه لأن الإنسان وهو الذى يصنع النجاح ويحققه وهو مايقودنا إلى السؤال عن العمالة فى الشركة والخدمات التى تقدمها الشركة لها.

* بحماس بالغ اجاب المهندس علاء منير النجاح الذى تحققه الشركة مرجعه إلى ذخيرة الشركة من المهندسين والفنيين والعاملين الأكفاء الذين يكونون فى رأينا جوهر الأساس فى نجاح وتقدم الشركة بفضل جهودهم وإبداعاتهم التى ترسم طريق عمل وتقدم شركتنا .. كما أحب أن أوضح أن الإنسان المصرى لديه طاقات وإمكانيات لاحدود لها فهو إنسان إذا تتبعت تاريخه وجدته شخصاً مجتهداً ذكياً معدنه أصيل دائما متفوق على نفسه إذا وجد المناخ السليم.. ونحن فى شركة أسمنت طرة وفى مجال رفع كفاءة الأداء فقد أنشأت الشركة مركز تدريب متميز ذا سمعة طيبة مما دعا الكثير من الدول إلى إيفاد بعثات من العاملين بها للتدريب فى شركتنا الى جانب رعاية العاملين بالشركة نحرص كإدارة على تنمية روح العمل الجماعى وتعميق الولاء لدى العاملين وذلك من خلال اللقاءات المفتوحة فى مختلف المناسبات فضلا عن تخصيص يومين اسبوعياً يكون فيهما مكتب رئيس الشركة مفتوحاً لمقابلة اى عامل وتلقى شكواه وكذلك للوقوف على مشاكلهم وتطلعاتهم بالاضافة إلى الدورات التدريبية والنوعية المستمرة لجميع العاملين الأسرة والفريق الواحد والعناية بتنفيذ أهداف الشركة بما يضمن تطوير أسلوب الأداء والانتاج.

ومن جانب أخر فإن الشركة تقدم لأبنائها كل أنواع الرعاية الاجتماعية والصحية لهم ولأسرهم.

* فى نهاية حديثنا نريد أن نعرف ماهى الصعوبات والمعوقات التى تجابه الشركة.

* أجاب المهندس علاء منير وعلى وجهه ابتسامة خفيفة أن أى عمل أو كيان اقتصادى لا يخلو من عقبات أو مشكلات حتى ولوكانت صغيرة فما بالك بشركة كبيرة مثل شركتنا ولكننا بروح الحب والتعاون نتغلب عليها دائمًا ورائدنا فى ذلك قوله تعالى :

«من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب»

صدق الله العظيم.

وهنا أنهى سيادته حديثه الممتع ولم املك إلا أن أحمل أوراقى واستعد للرحيل من مكتبه والذى تملؤه الحركة والنشاط والحيوية والذى أتمنى أن تكون هذه الروح هى الروح التى تسود بلادنا الحبيبة مصر.■




# الميليشيات اليمينية الأمريكية خطر على أمريكا.. والعالم

سمير كرم

## رسالة واشنطون

لا يعرف اليمين المتطرف فى أمريكا معرفة جيدة وموثقة بجوانبه التاريخية والاجتماعية والتنظيمية قدر ما يعرفه اليسار الأمريكى.

وليس هذا نتيجة لوجود صدام مادى مباشر بينهما. صحيح أن هناك خصومة ايديولوجية إلى حد التناقض، وحذرا متبادلا بينهما يصل إلى حد تجنب كل منهما الآخر بصورة شبه تامة، انما هو نتيجة حقيقة اساسية هى أن اليمن الأمريكى المتطرف هو باستمرار طرف فى السلطة الحاكمة بدرجة تتصاعد أحيانا إلى حد يقترب من الهيمنة .. ويهبط أحيانا أخرى بدرجة تُخفى وجوده عن العين المجردة.

وربما يفسر هذه الحقيقة ما حدث فى ١٩ أبريل الماضى نعنى الانفجار الرهيب الذى نسف مبنى الحكومة الاتحادية فى مدينة «أوكلاهوماسيتى» (التى تبعد عن مركز الحكومة الاتحادية.. أى العامة بواشنطن بنحو ٢٦٠٠ كيلو متر) وما تبين بعد أيام قليلة عصيبة على كل من له علاقة بالشرق الأوسط ، من أن منفذها هو واحد من الامريكيين البيض المنتمين لميلشيات اليمين المتطرف الأمريكى.

كيف ؟ وماذا نعنى؟

لقد شغلت الحكومة الامريكية نفسها -ربما منذ بداية قيام الولايات المتحدة كدولة مستقلة -بتحصين نفسها ضد الأفكار اليسارية والتقدمية من كل نوع سواءً داخل الولايات المتحدة أو خارجها . وعلى مدى السنين ومع تطور أساليب المخابرات والمراقبة البوليسية ظل اليسار تحت أعين السلطات الأمريكية باسم «الأمن القومى» وشهد التاريخ الأمريكى ، خاصة منذ بدايات القرن العشرين هجمات بالغة الشراسة على اليسار الأمريكى و اليساريين الأمريكيين ، لعل أشهرها سنوات «المكارثية» .. وان لم تكن فى الواقع أقساها.

وعلى العكس من ذلك تمتع اليمين بكل ألوانه وظلاله بما فى ذلك اليمين المتطرف المدجج بالأسلحة من كل نوع ، من أسلحة الاذاعة والتليفزيون والصحف ودور النشر إلى أسلحة القتل والتدمير والتفجير ، بحرية شبه مطلقة .. إلا فى الأوقات التى بدا واضحا فيها انه يتصرف بحماقة تهدد النظام أو تهدم «السلام الاجتماعى» ، كما هو الحال فى مواجهة موجات التطرف اليمينى العنصرية كما تمثلت فى منظمات مثل«كوكلوكس كلان» التى تحولت إلى مجموعة من العصابات الاجرامية بعد أن كانت تعد منظمة مشروعة لها احترامها .. بل ولها أعضاؤها فى السلطة التنفيذية وأيضا فى الكونجرس.

لكن طوال السنوات التى ظل فيها خطر اليمين المتطرف ينمو ويتضخم كان اليسار يعى ما يحدث ويحذر منه.. ولا أحد فى السلطة أو أجنحتها الاعلامية يريد أن يسمع ومن يسمع لم يرد أن يستجيب..

بصفة خاصة فى السنوات الأخيرة .. منذ صعود اليمين السياسى إلى الرئاسة مع تولى رونالد ريجان فى عام ١٩٨١ ..وبصفة أخص منذ أن صعد اليمين -مع الحزب الجمهورى وتحت رعايته ،إلى تحقيق الأغلبية فى مجلس النواب الأمريكى لأول مرة منذ أكثر من أربعين عاما ، فى نوفمبر الماضى كانت مطبوعات اليسار الأمريكى بأجنحته



الوجه البشع للميليشيات اليمينية كما صورته
ريشة الرسام الأمريكى ستيفن كروجهر(كاريكاتيرا)

المختلفة، وكذلك المنظمات الجماهيرية اليسارية من ظلال الليبرالية إلى الاحزاب الشيوعية الامريكية تصدر وفيها من التحقيقات الصحفية والتحليلات والنشرات والكتب ما يحمل الأدلة الكافية على أن ما حدث فى أوكلاهوماسيتى هو أمر وشيك الوقوع، وأن ميليشيات اليمين المتطرف تعد نفسها لصدام كبير ودموى، بل تعد نفسها لحرب مسلحة ضمن «الحكومة -الاتحادية».

لكن، لماذا وقد بدأنا بالقول بأن اليمين المتطرف كان دائما جزء من السلطة وطرف

*** الميليشيات المسلحة لليمين الأمريكى المتطرف جزء من السلطة .. يتمرد على جزء آخر.**

فيها بدرجة أو بأخرى؟

المسألة أن اليمين المتطرف لم يعد يكفيه أن يرى ممثليه فى مجلس النواب و الشيوخ، وأن يسمع صوته يعلو أكثر وأكثر فى الاعلام الأمريكى، وبالتالى يرى نفوذه يتسع ويتعمق فى مجرى الحياة الأمريكية .. لم يعد يكفيه أن تصبح له الكلمة فى الميزانية الاتحادية الامريكية وميزانيات الولايات .. وأن يؤخذ فى الاعتبار رأيه فى قوانين حمل السلاح أو حظره، وأن يرى الحكومة الاتحادية تستجيب له فى الحد من الهجرة وفى التراجع عن قوانين الحقوق والمدنية التى كسبتها الأقليات خاصة السود بنضال شاق وتضحيات هائلة على مدى قرون.

لم يعد يكفى اليمين المتطرف الأمريكى كل هذا ..

لأنه يريد أن يعيد أمريكا على صورته المثلى فى عقيدته واتجاهاته السياسية .. أمريكا وطن التفوق العنصرى للبيض، وطن القيم الدينية فى أقصى تطرفها (بما فيها الادعاء بأن السود سود بسبب غضب الهى!)، أمريكا وطن الهيمنة على العالم بقوة السلاح وليس بأساليب السيطرة الاقتصادية والضغوط الدبلوماسية.

لقد كان -وصول اليمين الجمهورى إلى السيطرة على الأغلبية فى مجلس الكونجرس فى نوفمبر ١٩٩٤ انتصارا للجناح السياسى -فى ازيائه المدنية الأنيقة -لأفكار اليمين المتطرف وبرنامجه السياسى -الاقتصادى -الاجتماعى.. وقد توقع اليسار ان يأتى تحرك الجناح العسكرى بعد هذا الانتصار للجناح المدنى، لكنه ربما لم يتوقع ان يكون هذا التحرك بمثل هذه السرعة وبمثل هذا الاندفاع.

ولو ان الحكومة الاتحادية الامريكية كانت تهتم بالاطلاع على ما يكتبه اليساريون الامريكيون، أو بالاحرى لو كانت مستعدة لأن تصدقه وتأخذه بجدية ربما ما وقع انفجار المبنى الاتحادى فى مدينة أوكلاهوماسيتى يوم ١٩ أبريل الماضى(...).

ولا يزال اليسار الأمريكى يحذر -بعد هذا الانفجار- من أمرين:

* الأول : ان ما حدث ليس سوى مجرد بداية ،وفى هذا المعنى كتبت نشرة «كوفرت أكشن»(أى العمل السرى) وهى نشرة مستقلة ذات اتجاه يسارى تتابع منذ بداية

صدورها في أوئل عام ١٩٧٨ النشاطات السرية التى تمارسها اجهزة المخابرات والأمن الأمريكى سواء داخل الولايات المتحدة أو ضد البلدان الأخرى ، وتقول فى عددها الأخير (ربيع ١٩٩٥) ،«ان مواجهة مسلحة بين الحكومة وأعضاء الميليشيات تبدو أكثر وأكثر مرجحة الوقوع . ان الميليشيات تمثل تياراً متصاعداً يغلى له تظلماته التى بعضها حقيقى وبعضها الآخر من صنع خياله ، وهى تظلمات تراكمت بفعل سياسات تراوحت بين الازدراء وذبح كباش فداء ، وهى مثل دعوة غوغائية تتبنى وتنمّى حركة فاشية أمريكية.

وتمضى «كوفرت أكشن»لتقول : ان حركة الميليشيات هى الآن أشبه ما تكون بنار احترقت فى الاحراش فى يوم صيف قائظ .. ويمكن لهذه النيران ان تنتشر بسرعة قد تستحيل معها السيطرة عليها».

**أما الأمر الثانى** الذى يحذر منه اليسار الأمريكى بعدهذه «الطلقة الأولى» من ميليشيات اليمين المتطرف فهو اتجاه السلطة إلى استغلال ما حدث لاصدار قوانين قمعية ومحاولة التصدى للمشكلة بتقييد الحريات وتجاهل المشكلات.

وفى هذا المعنى كتبت شهرية «بروجريسيف» (التقدمى) وهى واحدة من اعرق المجلات السياسية اليسارية فى الولايات المتحدة ، وهى أيضا مستقلة عن أى تنظيم أو حزب. وقالت فى عددها الذى يصدر فى أول يونيو «ان الرئيس كلينتون يحاول طمأنة الرأى العام عن طريق دفع مشروع القانون الذى كان قد سبق أن قدمه للكونجرس باسم «القانون الشامل لمكافحة الارهاب» . وعلى الرغم من أن بعض جوانب هذا القانون معقولة الا ان معظمه يشكل هجوما خطرا على الحريات المدنية.. خاصة فى ضوء تاريخ طويل من التجاوزات واعمال اساءة استخدام السلطة من جانب المباحث الجنائية(اف. بى. اى) الأمر الذى يعرفه اليسار الأمريكى جيداً».

وتظهر تطورات الاسابيع القليلة التى مضت منذ وقوع ذلك الانفجار وبداية تسليط الاضواء على الميليشيات اليمينية بعد أكثر من خمس عشرة سنة على بداية تحذير اليسار الأمريكى منها، صحة ما تقوله الصحافة الامريكية . لقد تبين خلال هذه الاسابيع ان قوى اليمين التى تدعى انها لا ترتبط تنظيميا أو عقائديا بالميليشيات انبرت للدفاع عنها ل بلا حرج (الأمر الذى ما كان يمكن أن يحدث لو تحققت الظنون الأمريكية الأولية



نيوت جينجر ، وبوب دول زعيما الأغلبية الجمهورية فى مجلس الكونجرس الأمريكى

التى ذهبت إلى أن الانفجار لابد وان يكون من صنع ارهابيين من الشرق الأوسط).

بل لقد تبين ان الميليشيات المسلحة نفسها وقادتها لا يشعرون بأى دافع إلى التراجع ، انهم يصلون فى بعض الأحيان إلى حد الدفاع عن هذا العمل وايجاد المبررات له فى سلوك «الحكومة الاتحادية» .. مثل هجوم قوى الأمن والمباحث الجنائية على طائفة الداوديين الذين كانواقد قاوموا بالسلاح رجال الأمن فى بلدة «واكون» بولاية تكساس فى عام ١٩٨٣.

وعلى سبيل المثال فان احد زعماء منظمات التفوق العنصرى الأبيض وأسمه توم ميتزيجر زعيم منظمة «المقاومة الأمريكية البيضاء» وصف تفجير المبنى الاتحادى فى أوكلاهوماسيتى أنه عمل للرد بالمثل أكثر مما هو عمل ارهابى»وأضاف «ايها الرجل الأبيض ان لديك الآن أعظم سبب فى التاريخ لكى تقتل» وقال زعيم آخر من زعماء اليمين المتطرف اسمه بوجريتز «**كانت عملية أوكلاهوماسيتى عملا فنيا رائعا مثل أعمال الرسام رامبرانت ، بل كانت عملا من أعمال العلم والفن معا(..)**.

وحينما هاجم الرئيس كلينتون المعلقين السياسيين ذوى الاتجاه اليمينى المتطرف الذين يبثون عملات الكراهية ضد السود والأقليات الأخرى ويدعون للعنف علنا من ميكروفونات الاذاعات المملوكة لهم وأمام كاميرات التليفزيون بالمثل تصدى للرد عليه زعماء الكونجرس اليمينى.. الذين يدينون بآراء هؤلاء المعلقين ... والذين يحملون لهم فى أعناقهم دين تأييدهم أثناء الحملات الانتخابية التى أوصلتهم إلى مقاعدهم فى الكونجرس.

وهنا تتضح الحقيقة الاساسية

أى حقيقة أساسية نقصد؟

ان الاختلاف بين ما يطرحه زعماء الكونجرس الجدد- بمن فيهم رئيس مجلس النواب الحالى **نيوت جينجريتش** وما تعلنه الميليشيات المسلحة من شعارات وبرامج ومبررات لوجودها وخططها الخطرة ليس سوى الاختلاف بين أناقة عضو الكونجرس والزى العسكرى لعضو الميلشيا.

الخوف والتخويف من «**سيطرة الأقليات**» -السود بشكل خاص وما يعنيه

*** اليسار الأمريكى يحذر من خطر الميليشيات منذ ١٥ عاما دون أن يستجيب له أحد.**

*** نجاح اليمين الجمهورى فى انتخابات الكونجرس الأخيرة كان تمهيداً سياسيا لتحرك الميليشيات.. وانفجار أوكلاهوماسيتى مجرد بداية.**

بالنسبة لمعتنقى مبدأ تفوق البيض من انتشار الجريمة والانحلال الخلقى .. والإجهاض وإهدار القيم- هو الذى شكل الدافع الأساسى لتكوين الميليشيات فى السبعينات ، وهو نفسه الذى شكل المحرك الاساسى لصعود اليمين الجمهورى إلى مستوى السيطرة السياسية على الكونجرس.

و«الميليشيات» ليست تنظيمات سرية بأى حال فى أمريكا ،إن افرادها يتدربون علنا ، قادتها يدلون بالتصريحات ويلقون الخطب ويجرون الاحاديث الصحفية (على شاشات التليفزيون وصفحات الجرائد والمجلات) شأنهم شأن السياسيين وقادة الادارة وزعامات الكونجرس ، وهم يعقدون المؤتمرات ويناقشون القضايا المطروحة فى المجتمع .. السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية .. ويقولون كل ما يحلو لهم مهما كان لا يحلو للآخرين أو الحكومة.

انهم ايضا ينشرون الاعلانات على صفحات كاملة من أكبر الصحف الأمريكية -**نيويورك تايمز- لوس انجلوس تايمز- واشنطن بوست**.. الخ ويتناولون فيها القضايا السياسية الداخلية والخارجية .. يدعون لنسف الحكومة والنظام، يدعون للثورة ، يطالبون بالغاء قوانين الحريات المدنية التى سادت البيض والسود .. يطالبون بنشر فرق عسكرية على الحدود الأمريكية لوقف هجرة الأجانب ودعوا أخيرا الى تقديم مكافآت عن كل رأس مهاجر يقتل وهو يخطو عابرا حدود المكسيك إلى الأراضى الأمريكية.

بعض اعلاناتهم يدل بشكل قاطع على مدى التقاء وجهات النظر فى عدد من الامور بينهم وبين «**الحكومة**» التى يدعون إلى نسفها. فى السنوات الأخيرة كان أكثر اعلاناتهم المدفوعة رواجا- والتى تكلفهم ملايين الدولارات -اعلانا تظهر فيه متجاورة صور هتلر والخمينى والقذافى والزعيم **المسلم الاسود** موسى فرخان وتحتها شعار يؤكد أن هؤلاء يحملون أسلحتهم ضد أمريكا .. ولا يجوز منع الامريكيين من حمل السلاح بحجة مكافحة الجريمة.

واذا كان بعض شعاراتهم يصف الحكومة الامريكية بانها حكومة الاحتلال الصهيوني ، فان هذا لا ينفى حقيقة ان كراهيتهم للعرب اشد عمقا من كراهيتهم لاسرائيل واليهود ، وان شكواهم من نفوذ اليهود علي الحكومة الامريكية تتعلق اساسا بما تحصل عليه اسرائيل من اموال المساعدات وهم -اي قادة الميليشيات الامريكية -معترضون اصلا علي وجود الضرائب ويعتبرونها أول هدف لعملياتهم «الثورية».

لكن ليس كل ما يتعلق بالميليشيات في الولايات المتحدة علنيا بهذه الدرجة ،علي الاقل فان اعدادهم بالذات تحوطها السرية.. أو على الأقل يلفها الغموض ، **تتراوح التقديرات عن اعداد افراد الميليشيات المنتظمين فى جماعات عسكرية مسلحة ومدربة بين ١٠٠ ألف وخمسة ملايين** لكن الأمر المؤكد أن هذه الميليشيات ومعسكراتها تنتشر فى اربعين ولاية من الولايات الأمريكية الخمسين.

والأمر المؤكد أيضا أن نسبة عالية بين قادتهم هى من المحاربين القدامى .. أولئك الذين خلفتهم حرب فيتنام وتركتهم فى أدغال المدن الأمريكية الداخلية -خاصة فى مناطق الداخل أو ما يسمى **«القلب الأمريكى» ومنها أوكلاهوما وآركانسو وكانساس** -يستخدمون خبرانهم العسكرية لتفجير طاقات الكراهية التى تكونت داخلهم فى سنوات فيتنام ، وانهم أولئك الذين عادوا من فيتنام ولا يزال يوجعهم استقبال أمريكا لهم بالخزى والعار بعد الهزيمة بدلا من ان تقدر بطولاتهم ،كما تصوروا وقنوا.

عدد كبير من زعماء الميليشيات هم ايضا من اصحاب محلات بيع الأسلحة ، أولئك الذين يحاربون بضراوة ضد كل قانون يرمى إلى الحد من وجود الأسلحة في ايدى الافراد الامريكيين باعتباره حقا يكفله الدستور .. وباعتباره ميزة لا يمكن ان تسحبها منهم حكومة فشلت فى أن تؤكد تفوق البيض كما كان دائما فى أزهى العهود الامريكية بنظرهم .. وفشلت في وقف انتشار الجريمة والجريمة في نظرهم مرادف لوجود السود ولمساواتهم بالبيض.

ولعل اخطر ما تكشف خلال الاسابيع التالية للانفجار بعد ان ظل مجهولا للغالبية الساحقة من الامريكيين هو ان هذه الميليشيات ترتبط بعلاقات عضوية وثيقة مع القوات المسلحة الامريكية، وتمارس بعض تدريباتها ، واعمالها التبشيرية ذات الطابع الدينى -السياسى- **داخل المنشآت العسكرية** .. وهو ما تجرمه القوانين العسكرية الامريكية ، كما تجرمه القوانين العسكرية فى كل مكان ، لكن بينما يعتبر كثيرون من الضباط ان هذه الممارسات تشكل خطرا امنيا فى تلك المنشآت العسكرية فان كثيرين غيرهم يعتبرون ان هذه الممارسات ترفع معنويات الجنود.

والاختراق داخل المؤسسات العسكرية وصل الي نقاط أبعد وأعمق . يقول **فلو كونواى** فى كتاب بعنوان **الارهاب المقدس** ان العسكريين الذين ينتمون الى هذه الجماعات يستخدمون أجهزة الاتصال السرية والتى تبعث من خلالها القيادات العسكرية برسائلها السرية الى قيادات فيما وراء البحار على بعد آلاف الأميال ليبثوا رسائل تبشيرية ولتوجه اسئلة عن اعداد العسكريين فى تلك المواقع الذين يمكن ان يكون لديهم استعداد «للانضمام».

هذه الميليشيات المنظمة ليست منغمسة فى أمور الدين كما يتصور البعض ، انهم بالأحرى أكثر انغماسا في امور الدنيا والسياسة والعلاقات الدولية والحكم ، لكن افكارهم تبدو غريبة للغاية فى هذا الشأن

انهم يتهمون الحكومة الامريكية انها استسلمت لخطة الامم المتحدة للتحول الي حكومة عالمية» .. وبالتالى احتلال الولايات المتحدة والغاء دستورها وفرض قيادات دولية على القوات المسلحة الامريكية ، ولن تعود أمريكا تحكم نفسها ، هذا النوع من النظريات التآمرية ضد أمريكا والبيض والمسيحيين منتشر فى صحفهم ومجلاتهم واعلاناتهم وشرائطهم ، انتشار دعوتهم إلى الغاء الضرائب والغاء الفصل بين الدين والدولة.

ويظل من الضرورى ان نلاحظ ان الميليشيات اليمينية المتطرفة تلقى قبولا بدرجة أو بأخرى لدى الغالبية البيضاء من الأمريكيين ، ولا يكاد يكون من الممكن معرفة مدى هذا القبول.

لكن ثمة مؤشرات مهمة من بينها -كما ذكرنا-النتائج التى أسفرت عنها انتخابات الكونجرس الأخيرة فى نوفمبر الماضى.

لقد أتت هذه الانتخابات بعدد من النواب الذين ايدتهم ، بل ومّولت حملاتهم الانتخابية ، بعض الميليشيات المسلحة لليمين المتطرف ، وهم يحملون شعاراتها ويعتبرون قضاياها قضاياهم .. يطرحونها فى الكونجرس ويقدمون مشروعات قوانين لا تلبث ان تصبح قوانين نافذة المفعول.

لم تقع حادثة واحدة توجهت فى مظاهرة جماهيرية معادية لليمين المتطرف وتجاوزاته أمام موقع لأحد من قيادات الميليشيات أو أمام أحد معسكرات تدريبها ، أو حتى أمام أحد محلات بيع الأسلحة التى يملكها زعماء هذه الميليشيات لم يحدث شئ من هذا ولو على سبيل التعبير عن الغضب ازاء المأساة التى تسبب فيها انفجار اوكلاهوماسيتى.

أليس هذا شيئا مثيرا للدهشة حقا؟.
وهناك ما هو اخطر من هذا.
عندما كان الرئيس الحالي كلينتون حاكما لولاية آركانسو المجاورة لأوكلاهوما -وقبل بضع سنوات فقط من فوزه بالرئاسة - قام بمحاولة لاصدار قانون في الولاية يحظر تكوين الميليشيات العسكرية بعد ان استشعر استفحال خطرها الفكري والعملي، لكنه فشل ووجه بمقاومة شديدة من المجلس التشريعي للولاية .. ومن غالبية الأهالي ، واضطر للتراجع.
الآن وهو رئيس للولايات المتحدة وفى حديث تليفزيوني أجرى معه على الهواء بعد ساعات قليلة من حضوره القداس علي ارواح ضحايا الانفجار فى أوكلاهوماسيتي-سئل عن تلك الواقعة .. وسئل عما اذا كان سيحاول كرئيس أن يصدر قانونا يمنع قيام الميليشيات المسلحة .. وكانت هذه اجابته:
**«ان من حق هؤلاء تكوين الميليشيات ، من حقهم ارتداء ازياء عسكرية خاصة بهم ، من حقهم أيضا أن يحملوا السلاح .. لكن ليس من حقهم التصدى للسلطات التى تنفذ القانون».**
ولم يقل الرئيس كلينتون لماذا اذن يكونون الميليشيات ويتدربون ويحملون السلاح .. ماذا يكون الغرض ، ان تصريحه دل على مدى شعوره بقوة هذه الميليشيات ، ومدى ما يمكن أن تحظى به من تأييد فى أمريكا، ما أن تنحسر ذكريات انفجار أوكلاهوماسيتي الأليمة.
لا يعنى هذا ان كلينتون أو أن الحكومة الأمريكية ستسكت أو تستسلم ، ولقدأعلن أنه سيسعى لاصدار قوانين جديدة توسع سلطات الحكومة الاتحادية فى مراقبة هذه الجماعات الارهابية الداخلية.
ولقد دار على الفور نقاش شارك فيه عدد من كبار المسئولين السابقين فى المباحث الجنائية حول السبب فى أن أجهزة السلطة لم تحاول اختراق هذه الجماعات والميلشيات حتى تستطيع أن تكشف وجود مؤامرات لتنفيذ عمليات مثل انفجار أوكلاهوماسيتي.
والمناقشات داخل الغرف أو عبر اجهزة الاتصال على الكومبيوتر التى تشكل أدبيات الجناح اليمينى فانها مجرد أدبيات ، «وفيما يتعلق بالأسلحة الهجومية فالحقيقة أن احدا لم يشن بالفعل هجوما مضادا ضد هذه الحكومة التى توصف بانها مستبدة.
في الظروف الراهنة-السياسية والنفسية التي اشاعها الانفجار «قاتل الاطفال» لا يمكن وصف هذه الافتتاحية عن الصحيفة اليمينية الا انها دفاع جرئ عن الميليشيات.
هل هذه هي المرة الأولي التي تعرضت فيها الحكومة الاتحادية الامريكية لمثل هذه الحملة؟ هل هى المرة الأولى التي ظهر فيها من يحمل السلاح ويعلن انه سيعمل ضدها؟.
الحقيقة تقول لا.
في سنوات الستينات والسبعينات التي تواكبت فيها حركة الحقوق المدنية للسود مع حركة مناهضة الحرب الامريكية في فيتنام كان من بين الحركتين متطرفوهما : كانت هناك حركة **سلطة السود وجيش التحرير السيمبيونى» ومنظمة الفهود السوداء** .. وصحيح انها كانت منظمات صغيرة لكنها حملت السلاح ونفذت بعض الأعمال الصغيرة ايضا- كان منها سرقة بعض البنوك، عرقلة مواكب لسيارات عسكرية ذاهبة الي فيتنام ،محاولات لاقتحام قواعد عسكرية امريكية.
كيف تصرفت الحكومة الامريكية ازاءها؟
لقد اخترقتها وتسللت اليها .. والقت القبض علي قياداتها واعضائها ، وصادرت منشوراتها ومطبوعاتها وكتبها ، وحاكمت وأدانت بالجملة وأصدرت أحكاما قصوى،نسفت هذه التنظيمات بلا تردد وبلا حساب للدستور والنصوص القانونية .. لما يجوز وما لا يجوز.
هل تمكنت الحكومة الامريكية من ان تفعل ذلك بتلك المنظمات لأنها كانت صغيرة وضعيفة؟ كان الأولي ان تتصدى للمنظمات الكبيرة والقوية لأنها أخطر ، لكن الحقيقة ان الحكومة الأمريكية فيها الكثير من عنصرية هذه الميليشيات اليمينية.
فى الستينات والسبعينات كانت تلك الميليشيات اليمينية المتطرفة موجودة أيضا .. ولكنها كانت بمثابة ذراع للحكومة الاتحادية ، **كانت تؤيد حرب فيتنام وتنظم الهجمات ضد معارضيها وكثيرا ما تعلت خصوم هذه الحرب في صدامات في شوارع المدن الامريكية.**
ان ما يبدو انه عجز من الحكومة الامريكية عن التصدى للميليشيات اليمينية المتطرفة ليس في الحقيقة عجزا او ضعفا ، فمهما كانت قوة هذه الميليشيات فهي اقل بكثير من قوة وامكانيات الحكومة .. انما لأن لهذه الميليشات مؤيديها داخل الحكومة .. فى اجهزة السلطة .. والآن بشكل خاص في الكونجرس مصدر القوانين والتشريعات .. مصدر السلطات الحقيقى».
ان هؤلاء الداخلين في شبكة الميلشيات المنتشرة في نحو اربعين ولاية امريكية هم جزء من التركيبة الامريكية ..وان كان منهم من تكرر محاولاتهم خلال العامين الماضيين لاغتيال الرئيس كلينتون ، فان منهم من لعبوا ادوارا أكيدة في صعود نجم اليمين الجمهوري،ومثل هؤلاء يعتبرون انفسهم **«ميليشيات المواطنين»** المدافعة عن الدين والأخلاق والمصالح الامريكية .. والقيم **الامريكية.**
وتشير الدلائل من الآن إلى أن الميليشيات الامريكية قد هيأت دفاعها عن مرتكب انفجار **أوكلاهوماسيتي البشع** على اساس الادعاء بأنه من فعل الحكومة الاتحادية وأنه جزء من مؤامرة تعبئة الرأى العام الأمريكى ضد الوطنين وميليشيات المواطنين ، ليتقبل بعد ذلك كل ما تنوى « الحكومة الاتحادية فعله ضد هذه الميليشيات».
**والسؤال الآن: ما العمل إزاء وجود ١٠٠ألف أو ٥ ملايين «رامبو» أمريكى صنعتهم ٥٠٠ سنة من تمجيد العنف الأمريكي أو على الأقل إضفاء طابع «رومانسيكى» عليه وقد أصبحوا فجأة قوة تتجاوز قدرة صانعيها على السيطرة عليها.**

**ان الامر المؤكد ان امريكا مهددة بصدام بالغ العنف واسع النطاق لم تشهده من قبل .. علي الاقل منذ زمن الحرب الاهلية** وهو وضع لن يجد فيه امريكي واحد اى امكانية للجلوس في مواقع المتفرجين.. لن تكون هناك اصلا مواقع متفرجين ، فكما كان الحال في سنوات الحرب الاهلية بين عام ١٨٦١-١٨٦٥ سيتعين علي كل امريكي ان يحدد موقفه مع الاتحاد او مع الانفصال .. مع الغاء العبودية او مع الابقاء عليها .. **وبالمثل اليوم مع اليمين المتطرف والعنصرية البيضاء والعنف ضد الاقليات او مع العرائن العنصرى والثقافي و الدينى الذين يقوم عليهم السلام الاجتماعى ، مع امريكا العدوانية الساعية الي السيطرة علي العالم بالقوة أو امريكا التي يدعو اليها اليسار الامريكي منذ بدايات هذا القرن: امريكا الوئام والسلام وحقوق الانسان والتراجع عن النزعة العسكرية في الخارج والعنف في الداخل.**
من هنا فالقضية ليست تهم امريكا وحدها .. أو الامريكيين وحدهم.
ان الميليشيات المسلحة لليمين الامريكي المتطرف خطر علي العالم بقدر ما هي خطر علي المجتمع الامريكي .. خاصة في وجود « انعكاسات » لها في دول كثيرة اخرى وان اختلفت التسميات والديانات والعقائد.

# كيف وصل شيراك إلى الإليزية؟

## رسالة باريس

د. مجدى عبد الحافظ

اختار الشعب الفرنسى أخيراً ديجوليا آخر على رأس الدولة، وذلك بعد عشرين عاما، منذ جورج بومبيدو . وعلى الرغم من أن انتخاب جاك شيراك كان متوقعا من قبل مراكز استطلاعات الرأى والمراقبين ، إلا أن النتيجة النهائية كانت محل تردد وشك حتى اللحظات الأخيرة قبل إعلان النتائج، خاصة بعد الدينامية والحيوية التي استطاع ليونيل جوسبان المرشح اليسارى أن يخلقها فى معسكره، مما أعاد الأمل لمناصريه بإمكانية الفوز ، هذا وقد أسفرت النتائج الرسمية النهائية عن التالى:

عدد المسجلين على القوائم ٣٩٩٨٦٠٠٥، عدد الذين أدلو بأصواتهم ٣١٨٥٠٢٦٤ عدد الأصوات الصحيحة ٢٩٩٥٨٢١٢ نسبة التغيب ٣٥ر٢٠٪ نسبة الأصوات الباطلة ٩٦ر٥٪ حصل جاك شيراك على نسبة ٦٤ر٥٢٪ وحصل ليونيل جوسبان على نسبة ٣٦ر٤٧٪.

وعقب اعلان النتائج اعترف ليونيل جوسبان بإخفاقه بروح عالية مهنئا جاك شيراك ومتمنيا له التوفيق ، مشيراً إلى صعوبة الاختيار الذى كان على الفرنسيين اتخاذه خصوصاً فى خضم مشاكل الحياة التى يواجهونها، وحياة الرئيس فرانسو ميتران الذى أنهى فترته الرئاسية الثانية ، وشكر حوالى الخمسة عشر مليوناً امن المواطنين الذين منحوه ثقتهم، وأضاف بانه يشعر بانه قد خلقت حول عملية ترشيحه واقتراحاته حركة عميقة للتجديد، واذا لم تسمح اليوم بالانتصار إلا أنها لن تتوقف لكونها تحمل أملا ، ودعا كل من يؤمن بقيم العدل والتقدم بالتجمع لكى يجددوا هذا الأمل ويعدوا لنجاحات الغد.

وأعلن الرئيس المنتخب جاك شيراك عن عميق تقديره لكل من أعطاه ثقته ، وفى نفس الوقت حيا الآخرين بالاحترام الواجب، موجها الحديث للجميع مؤكدا على أنه سيعمل ليكون رئيسا للفرنسيين جميعاً، مقدراً خطورة المسئوليات التى ألقيت على عاتقه، مقدراً أيضا لمصاعب المهمة التى تنتظره، معلنا بأنه مثل الفرنسيين جميعا يريد دولة قوية ومنصفة متشددة على نفسها، ومهمومة بالاستخدام الجيد للمال العام، دولة لا تعزل الحاكمين عن الشعب الذى اختارهم ، وقال أن المعركة الأساسية فى مواجهة البطالة بعد أن فشلت المراهم الكلاسيكية ومن هنا دعا إلى حتمية الرؤى والمناهج الجديدة، والتساؤل قبل اتخاذ أى قرارات اذا ما كانت ستفضى إلى خلق وظائف جديدة ، وطمأن الرئيس المنتخب

### سلطات ومهام رئيس الدولة الفرنسى:

من سلطاته تعيين رئيس الوزراء ، وتعيين ثلثى أعضاء المجلس الدستورى ، والمجلس الأعلى للإذاعة والتليفزيون، كما يعين أحد أعضاء مجلس القضاء الأعلى ، ويترأس جلسات مجلس الوزراء ، ويوقع على القوانين ، وهو المسئول الأول عن الدبلوماسية والشئون الخارجية ، وله الحق فى منح العفو الرئاسى للمحكوم عليهم قضائيا ، كما انه له الحق فى حل الجمعية الوطنية (البرلمان) وحق مطالبته بسلطات خاصة أثناء الظروف الاستثنائية التى تفرض ذلك- وهو قائد الجيوش ، وهو الوحيد الذى يمتلك مفتاح قوة الردع النووية ، ومن مهامه أيضا اختيار من سيمنحهم أعلى وسام شرفى فى الدولة ، ويعتبر أيضا هو المتكفل بالمولود الثالث عشر أو الرابع عشر فى أسرة ،ولعل هذا التقليد قد تغير الآن وحل محله أن تمنح الأسرة هدية بداية من الطفل الثامن ، والى جانب الألقاب التى تطلق عليه يختص بلقب حامى الأكاديمية الفرنسية.



شيراك .. وميتران

بأن كل المبادرات ستجد المساندة وكل الطاقات ستحشد، وكل النجاحات ستشجع، وسيتبع نفس الخطوات فى القضاء على التهميش، وأعلن أنه عندما سيصل إلى أبعاد هاتين الآفتين (البطالة والتهميش) ستعود فرنسا مرة أخرى، أرضا للحرية ، والأخوة والمساواة فى تكافؤ الفرص، أرضا للتضامن وسيولد من جديد أمل الصعود الاجتماعى، ومن جديد سيصبح التقدم منتظراً ، والمستقبل مرغوبا فيه ، من جديد سيشع وطن حقوق الانسان على العالم، مضيفا إلى أنه من جديد ستعود فرنسا محركا للاتحاد الأوروبى ، ضامنة للسلام والرخاء فى القارة الأوربية ، ودعا مواطنيه للوحدة والتسامح الفكرى وللأخوة ، ودعاهم أيضا أن يكونوا خلاقين وجسورين وفخورين ووقتها ستعود فرنسا من جديد منارة لكل شعوب العالم.

وبعيداً عن الخطابات التى ألقيت عقب إعلان النتائج ، والفرحة الكبيرة التى سهر أنصار شيراك فى نشوتها حتى الصباح فى باريس وفى كل المدن بعيداً أيضا عن خيبة الأمل التى أعترت وجوه مناصرى جوسبان ومؤيديه فى جميع أنحاء فرنسا، بعيدا عن كل هذا فلقد أسفرت هذه الانتخابات عن عدة معطيات أساسية على الساحة السياسية الفرنسية لا يمكن تجاهلها على الاطلاق ، ولكى نتفهم خلفيات هذه المعطيات الجديدة لكى نفهم كيف وصل شيراك إلى الإليزيه،علينا أن نتعرف على ما حدث فى الدور الأول من هذه الانتخابات فى ٢٣ إبريل الماضى.

## ثلاث مفاجآت

أسفرت نتائج الدور الأول عن ثلاثة مفاجآت ، خرجت عن كل توقعات معاهد إستطلاع الرأى.

ولعل المفاجآة الأولى كانت تفوق ليونيل جوسبان المرشح الاشتراكى على مرشحى اليمين شيراك وبلادير بحصوله على ٢٣ر٢ ٪ من الأصوات، بينما حصل شيراك على ٢٠ر٥٪ ، وحقق بلادير ١٨ر٦٪ ،كما حصل لوبن ممثل اليمين المتطرف على ١٥٪ ، وفيليب ديفيليه ٤ر٩٪ ، بينما حصل روبير إى مرشح الحزب الشيوعى الفرنسى على ٨ر٨٪ ، بينما حققت أزليت لاجيليه ممثلة حزب النضال العمالى (تروتسكى) ٥ر٤٪ ، وحصلت دومينيك فوتيه على ٣ر٣٪ وهى ممثلة أنصار البيئة ، وحصل جاك شيميناء (مستقل) على ٣ر٠٪ ، وبهذا بقى فى السباق على الرئاسة شيراك وجوسبان.

والمفاجآة الثانية تمثلت فى الفارق الضئيل بين أصوات كل من شيراك وبلادير وكان من المفترض حسب استطلاعات الرأى أن يكون الفارق كبيراً وفى صالح شيراك، مما قوى من معسكر بلادير ومسانديه للعب دور أساسى فى فوز شيراك فى الدور الثانى.

بينما كانت المفاجآة الثالثة -وهى غير سارة على الإطلاق- فى صعود اليمين المتطرف بصورة لم تشهدها فرنسا من قبل، حيث-كما أسلفنا- حصل جان مارى لوبن على ١٥٪ من أصوات الناخبين الفرنسيين بمعنى حوالى ٤ر٥٪ مليون ناخب ، وهى تعتبر أعلى نسبة يحصل عليها اليمين المتطرف فى بلد أوروبى. وعلى الرغم أن البعض رأى أن تحقيق جوسبان لهذه النتيجة غير المتوقعة يعود فى الأساس لأمانته، ونزاهتة الشخصية ، بالاضافة إلى أن نجح فى أن يقطع مع الميتراندية ، اذ لم يعامله الناخب على أنه وريث اربعة عشر عاما من حكم ميتران الاشتراكى، إضافة إلى أنه أستطاع أن يضع فى اعتباره ما جرى فى العالم من أحداث خاصة فى شرق أوروبا ، وبهذا ابتعد عن كل فكر شمولى، فسر البعض الآخر تقدم جوسبان بأنه كان المرشح الأكثر قربا لهم ولهمومهم اليومية ، إلا أن كل هذا وإن كان قد أعطى لجوسبان دفعة ديناميه جديدة خلال حملة الدور الثانى إلا أن مهمته لم تكن سهلة على الإطلاق ، كما أوضحت نتائج هذا الدور. إذ أن النتائج التى حققها اليسار على المستوى النظرى اذا جمعت بأكملها لن تتعدى الأربعين فى المائة وإن لم يكن أقل ، وعلى هذا كان على جوسبان أن يقنع الناخبين من خارج

إطار اليسار خاصة فى الوسط وهى مهمة كانت شاقة ، إضافة إلى أن الأصوات التى حصل عليها اليسار لم يكن ممكنا على الاطلاق أن تنتقل أتوماتيكيا لصالح جوسبان **فارليت لاجيليه** (تروتسكيه) اتهمت حزبه بأنه المسئول عن الأزمة الحالية ، بعدم طرحه حلولا لها خلال أربعة عشر عاما من الحكم، وأتهمت برنامجه بأنه خال من أى اجراء يقف فى صالح العمال ضد أصحاب العمل ممن يستغنون عن عمالهم فى الوقت الذى يجنون فيه الأرباح الكبيرة، ولهذا أعلنت عن عدم تفضيلها لأى من المرشحين لتشابه برنامجهما من وجهة نظره وبالرغم من ذلك استطاع جوسبان أن يجذب عدداً كبيراً من أعضاء حزبها للتصويت فى صالحه فى الدور الثانى ، بينما وران فوينيه مرشحة البيئة ترى أن نتائج انتخابات الدور الأول ترد على من أعلنوا عن موت الإيكولوجيا السياسية ، وأنها تنتظر إجابات جوسبان على ما يتصل بمشاكل البيئة ليقنع ناخبيها بالتصويت لصالحه ، هذا فى الوقت نفسه مع اعترافها بأن التصويت لشيراك لن يغير الأوضاع، وأيضا استطاع جوسبان جذب عدد كبير من الخضر للتصويت لصالحه ، **وأعلن الحزب الشيوعى عن تأييده لجوسبان بقطع الطريق على اليمين ، وفعلا صوت أعضاء الحزب كله بشكل شبه كامل فى صالح جوسبان.** تلك كانت المهمة الشاقة التى كان على جوسبان ان يضطلع بها ، كان عليه أولا أن يحشد إلى أقصى درجة كل صفوف اليسار، قبل أن ينتقل خارجه للبحث عن اصوات جديدة خاصة فى يسار الوسط، والكارت الوحيد الذى كان يحوزه جوسبان هو اللعب بورقة **جاك ديلور** ،بحيث كان يمكنه اقناع **جاك ديلور** الرئيس السابق للاتحاد الاوروبى بالقبول بان يكون رئيسا لوزارته، وبالتالى كان يمكنه حصد أصوات عديدة من جانب الوسط ، بل فى بعض الأوساط التى أيدت رئيس الوزراء الحالى ادوارد بلادير ، كان أيضا على جوسبان ان يلعب على التناقضات المتوفرة فى معسكر اليمين خاصة فى كيفية تعامل شيراك مع اليمين المتطرف الذى كان يحتاج فعليا لاصواته فى الدور الثانى، وهذا ما عبر عنه فى حينه سكرتير عام الحزب الاشتراكى **إيمانويلى** بانه كيف سيكون على شيراك تفادى أن يصبح رهينة اليمين المتطرف، وهو فى حاجة لأصواته فى الدور الثانى .كانت مهمة شاقة بالفعل على جوسبان ورغم هزيمته فانه نجح فى حشد **٤٧ر٣٦٪** من الفرنسيين وراءه ، بمعنى أنه استطاع خلال هذه الفترة بين الدورين (أسبوعان) حشد أصوات اليسار كله لصالحه، إضافة إلى استطاعته إقناع حوالى ٣٦ر٧٪ من المعسكر الآخر صوتوا فى صالحه أيضا ، وهذا لم يكن متخيلا على الاطلاق عندما دخل متأخرا حلبة السباق على الرئاسة.

مهمة شيراك أيضا كانت صعبة، وإن كانت أقل صعوبة من مهمة جوسبان، إذ أعلن إداورد بلادير عقب نتائج الدور الأول بكل الوضوح والحسم ، معترفا بهزيمته بأنه لا يريد أن يرى ما حدث فى سنة ١٩٨١ وفى سنة ١٩٨٨ يتكرر، ولهذا سيفعل وما فى وسعه لتفادى تكراره، وأعلن صراحة تأييده فى الدور الثانى لشيراك ، وفى نفس الليلة ذكر شيراك بمبادئ برنامجه فى الحرية والعدالة وفى حل المشاكل الاجتماعية كالبطالة والتهميش وانعدام الأمن بأسلحة جديدة ، وهذا لكى يصنع من فرنسا أكثر قوة وأكثر عدلا ، ودعا الجميع لبناء فرنسا للجميع . من هنا كان تصريح شيراك عام ولا يحدد استراتيجيته فى التعامل مع أصوات اليمين المتطرف والتى كان لابد منها أو على الأقل تحييدها حتى ينجح شيراك ، إضافة إلى أن تصريحات أهم مقربيه آلان جبيبه وفيليب سيجان عقدت من مهمته تلك خاصة عندما أكدا على أنه ليست هناك أية علاقة -كانت -بين اليمين واليمين المتطرف، وأنه لن يكون هناك أى اتفاق أو وعود بين الطرفين ، ولهذا لم يزيد جان مارى لوبن زعيم الجبهة الوطنية شيراك ، ودعا ناخبيه إلى إعطاء أصوات باطلة ، وأن كانت هناك نسبة كبيرة فيهم قد صوتت فى النهاية لصالح المرشح اليمينى شيراك ، إلا أن هذا يفسر فى نفس الوقت أرتفاع نسبة الأصوات الباطلة والتى بلغت ٩ر٥ ٪ وهى أعلى نسبة حتى الآن فى تاريخ الجمهورية الخامسة . وساعد شيراك أيضا أن المحافظين التابعين للأغلبية البرلمانية اليمينية والذى يمثلهم فيليب ديفيليه قد أعلنوا وبعد انتهاء الدور الأول بأنهم سيؤيدون المرشح اليمينى لكى يقطعوا الطريق على سبع سنوات أخرى من حكم الاشتراكيين. والحق أن المواجهة التليفزيونية التى واجهت شيراك بجوسبان لأول مرة وجها لوجه فى ٢ مايو وأسفرت حسبما أرتأى أغلب المراقبين بالتعادل السلبى لكليهما ، كانت حاسمة لحد كبير ، اذ استطاع من خلالها قطاع كبير من الناخبين ان يحسم خياره النهائى ، وإن كنا وجدناها **مالت فى أحيان كثيرة لصالح جوسبان** ، وهو ما يفسر تقدمه اللافت فى النتيجة النهائية عما كان متوقعا له رغم خسارته.

## نتائج الانتخابات

١- لم تعد فرنسا مقسومة سياسياً بنفس التقسيم التقليدى القديم أى لقسمين ، بل **أصبحت منقسمة اليوم إلى أربعة أو خمسة أقسام** فلقد أظهرت الانتخابات أن الأغلبية اليمينية الحالية أصبحت الآن متوازية بين حزب **شيراك الديجولى وبين تجمع ال IUDF الذى ألتف حول بلادير**، اذ لم يكن الفارق بينهما بعيداً ، اضافة إلى **اليمين المتطرف** الذى أصبح قوة لا يستهان بها خاصة اذا أضفنا إلى ١٥٪ التى حصل

## القصر الرئاسى (الإليزيه) والاستراحات:

يعتبر قصر الإليزيه هو المقر الأساسى لرئيس الجمهورية ، ويتكون من ٣٧٥ حجرة ، وإحداها كنيسة صغيرة وأخرى صالة عرض سينمائى ، وبه شقة خاصة لرئيس الدولة مساحتها ٣٠٠ م ٢ تطل على حديقة القصر وتبلغ مساحتها ٢١٢٥٠م٢ . وإلى جانب قصر الإليزيه فى باريس هناك قصر الألما وهو مخصص للبريد ، وبيت المارين وهو مخصص لاستقبال الشخصيات الأجنبية . وليس هناك قصور أخرى تخص رئاسة الجمهورية الا فى أربع مناطق فقط وهى عبارة عن منتجعات صغيرة وليست بالقصور أولها فى مارلى لروا (فى الضاحية الغربية لباريس) وهى مخصصة للصيد الرئاسى والثانية فى سوزى لابريش وهى مزرعة وحديقة على الطريقة الفرنسية حصلت عليها الرئاسة منذ ١٩٧٦ ، والثالثة فى رامبوييه وهى مخصصة للقاءات الدولية وأحيانا للاجتماعات الحكومية وأخيرا منتجع فور دبريانسون وهو مخصص للأجازات والراحة.

عليها **لوبن** ٤ر٩٪ والتى حصل عليها ديفيليه، اذ الفارق ليس بعيدا بين التوجهين والقوة الأولى ظلت هى الحزب الاشتراكى، بينما **نجح الحزب الشيوعى ، ونضال العمال (التروتسكى)** فى تحسين نتائجهما الماضية مما يظهر أيضا أن على يسار الحزب الاشتراكى هناك قوى فى حالة تبلور ، وما زالت الساحة الفرنسية فى حالة اعادة فرز للقوى المختلفة وتبلورها.

٢- **عكست نتيجة الانتخابات المشاكل الاجتماعية الحادة التى يعانى منها الفرنسيون** ، اذ ان نتيجة التصويت أثبتت مدى عمق الأزمة التى لم تستطع الاحزاب التقليدية حلها ، إذ أن **حصول الاحزاب اليمينية المتطرفة على نسبة كبيرة من الأصوات يبين انعدام ثقة وسخط الناخبين على الأوضاع الحالية** ، اذ كان الشعار الأساسى على لسان المرشحين هو «التغيير» ولعل هذا الشعار الذى طرحه شيراك منذ البداية هو الذى حمله لقصر الإليزيه.

٣- كما أثبتت الانتخابات أن **فرنسا تتطلع لعصر جديد**، فقد أنتهى العصر الذى يدخل فيه المرشحون فى منافسة مفتوحة تستخدم فيها كل الأسلحة والطرق المختلفة ، إذ بينت المناظرة التليفزيونية مدى الاحترام الشديد المتبادل الذى حمله كل مرشح للآخر ، والطريقة الهادئة التى تناظر بها ، وذلك لاختلاف طبيعة المتنافسين عن العقود الماضية ، بحيث أعطيا الانطباع بأن الهيمنة الرئاسية سوف تتضاءل وأن الرئيس القادم حتما سيختلف فى ممارسة سلطاته ومهامه عما حدث فى الماضى.

٤- أفرزت هذه الانتخابات ظاهرة لم تكن موجودة من قبل، وهى **ظهور قطاع عريض من الناخبين غير المحددين فى اختيارهم السياسى إذ بلغت نسبتهم فى الدور الأول حوالى ٣٧٪ من الناخبين** ، وظلوا حتى يوم الانتخاب دون أن يحسموا خيارهم ، وبلغت النسبة بين الدورين الأول والثانى حوالى ٢٠٪ ، إلى ما قبل اليوم الانتخابى وصلت النسبة الى ١٢٪ ، ويحاول البعض تبرير هذه الظاهرة بضعف شخصية وقدرة المرشحين حتى أنهم وصفوا المناظرة التلفزيونية بينهما بأنها كانت أشبه بالتنافس على رئاسة الحكومة وليس الدولة ، ونحن نفسر هذا التردد وعدم التأكد من الاختيار حتى النهاية ، والتغيير الدائم للرأى وعدم التحديد والحيرة كانعكاس للأزمة الاجتماعية الاقتصادية التى تعصف بثقلها، وأيضا **لفقد الثقة بالأحزاب التقليدية التى لم تنجز حلولا للأزمة بما فيها أحزاب اليمين واليسار** ، بالاضافة لتأثيرات استطلاع الرأى.

٥- استهلك الفرنسيون ، خلال الأربعة أشهر الأخيرة فيما قبل الانتخابات استطلاعات للرأى فاقت ما يستهلكه أى بلد ديمقراطى غربى ، بما فيها الولايات المتحدة فى فترة الانتخابات ، وهى ظاهرة خطيرة ولها تأثيرات سلبية ليس على تكوين رأى الناخب فقط، ولكن أيضا على العملية الديمقراطية برمتها ، إذ أن استطلاعات الرأى خرجت عن دورها الرئيسى فى خدمة العملية الديمقراطية ، ولعبت دوراً آخر هو توجيه هذه العملية ذاتها ، مما ينقلنا إلى ما يسمى **بديمقراطية الاستعراض** ، ولعل الناخب الفرنسى هو أول من تنبه لخطورة هذه الظاهرة ، ولذا لقننا دروساً فى الدور الأول حينما صوت بعيداً عما توقعته على المراكز و لم يتوقع أى منها أن يحتل جوسبان المركز الأول فى انتخابات الدور الأول، لذا طالبت جهات عديدة أن تستهلك الاستطلاعات باعتدال.

٦- من المعطيات الجديدة أيضا أن هذه الانتخابات قد أسفرت إضافة عن حمل اليمين إلى السلطة عن انتخاب معارضة قوية ، إذ عكست النتائج عودة الحزب الاشتراكى بدينامية جديدة ، وبعث حقيقى وأصبح فعلياً هو المعارض البديل للسلطة الحالية ، كما أن هذه النتائج قد أسفرت أيضا عن مولد زعيم معارضة جديد هو **ليونيل جوسبان** الذى نجح بقدر كبير من المهارة فى حشد كل قوى اليسار خلف ترشيحه، وهو ما لم يكن متصورا على الإطلاق قبل بدء داخل الانتخابات مما يفرض على الحزب الاشتراكى استيعاب هذا الدرس ، ومحاولة إسناد دور قيادى لجوسبان داخل هياكله القيادية ، فالمعارك القادمة لن يستطيع الحزب خوضها دون جوسبان الذى أصبح لديه توكيل شعبى بحكم النتائج التى حصل عليها ، ومن المعطيات التى ساعدت فى تقوية الحزب الاشتراكى أيضا هى **تهميش القوى المتحالفة** مع الحزب الاشتراكى مثل **راديكال وحركة المواطنين**.

٧- ويعتبر شبح العنصرية أحد المعطيات الهامة فى هذه الانتخابات ، فتصويت حوالى ٤ر٥ مليون ناخب أى ١٥٪ فى صالح **جان مارى لوبن** زعيم الجبهة الوطنية (اليمين المتطرف) ، إضافة إلى ٤ر٩٪ من الناخبين لحركة **فيليب ديفيليه** وهى ليست بعيدة فى توجهها عن اليمين المتطرف ، يجعلنا نقول أن ١٩٫٩ ٪ من الناخبين صوتوا لليمين المتطرف فى سابقة هى الأولى بفرنسا ، بل وفى أوروبا ، وقد بدأت حملة اليمين المتطرف الانتخابية بقتل أعضاء بها لأحد الشباب فى مرسيليا من جزر القمر ، وأنتهت فى الأول من مايو فى احتفال الحركة بعيد جان دارك وبإلقاء ثلاثة من الأسكيناد كانوا فى مظاهرة اليمين المتطرف لشاب مغربى فى نهر السين متسببين فى غرقه ، واذا كانت هذه الحوادث قد لاقت استنكارا واسعا فى كل الأوساط السياسية يمينا ويساراً ، بل وسارت مظاهرة اشتركت فيها كل القوى الديمقراطية فى اليمين واليسار لادانة هذا العمل العنصرى الجبان ، بل وأنتقل **الرئيس ميتران** على نهر السين



**ليونيل جوسبان عودة الحياة للحزب الاشتراكى**

وألقى بمجموعة زهور فى مكان الحادث وبالرغم أيضا من أن الجبهة الوطنية قد تنصلت من مسئوليتها عن هذا الحادث ، إلا أن الواضح أن هناك إتجاهاً وطنياً يقوى بشكل ثابت فى فرنسا و يعادى وجود الأجانب ، ويساعد على تجذره الأزمات الاجتماعية الاقتصادية الخانقة التى تعيشها فرنسا ، وكأن اليمين المتطرف أصبح الملجأ الأخير لمن سأم وسخط على الاحزاب التقليدية يميناً ويساراً والتى لم تستطع حل المشاكل الأساسية حتى الآن ، بل تفاقمت هذه المشاكل فى ظلها ، والسؤال عن إمكانية تراجع هذا الشبح المخيف تكمن إجابته فيما سيفعله شيراك تجاه الشكل الأساسية المتفاقمة ومدى ما سيحققه من نجاحات، فهذا هو الأجراء الأوحد الذى سيوقف هذا الزحف الشيطانى.

٨- أسفرت أيضا النتائج عن وضع جديد غير مسبوق ، **فالحزب الديجولى «التجمع من أجل الجمهورية» R.R.R** بات يملك رئاسة الدولة ، رئاسة الوزراء ، وأيضا أغلبية برلمانية ، بل وأغلبية بمجلس الشيوخ ،وهو وضع مريح جدا لأى حزب سياسى ، إلا أنه فى الوقت نفسه يلقى بمسئولية كبيرة على الحزب ، والرئيس شيراك شخصياً ، أذ ليس لديه الحق الآن فى الفشل، مهما كانت الحجج فهذا الوضع المريح سيكون حجة قوية فى يد المعارضة اذا أخفق الديجوليون والانتخابات التشريعية ليست بعيدة إذ ستكون فى ظرف ثلاث سنوات من الآن.

٩- أعطت النتائج مؤشرات هامة يمكن أن تساعد الاحزاب السياسية في الاستعداد الجاد للانتخابات المحلية والتى ستقام فى يونيه، خاصة فى المدن التى حقق اليمين فيها تقدما ، أو على العكس التى حقق فيها اليسار تقدما ، حيث أظهرت بعض النتائج مثلما حدث فى مارسيليا أو ستراسبورج عن فقد الاشتراكيين للأغلبية التى سمحت لهم حتى الآن بالاحتفاظ بعمودية المدينتين وعلى الرغم من أن الانتخابات المحلية لها طبيعتها وظروفها الخاصة ،إلا ان نتائج الرئاسيات ستنعكس حتما عليها سلباً أو ايجابا.

## ملفات عاجلة

اتسمت المعركة الانتخابية التي خاضها المرشح جاك شيراك بوعود كثيرة قطعها علي نفسه أمام الناخبين وها هو يجد نفسه بعد فوزه أمام موقف يحتم عليه ان يشعر الناخبين بأنه لم ينس وعوده تلك خاصة فيما يتصل بالملفات الملتهبة والتي لا تحتمل التأجيل، فما هى تلك الملفات؟

أولها هو الملف الاجتماعى والذى يشمل عدداً من القضايا.

١- التهميش: تقول الأرقام أن هناك حوالى خمسة ملايين فرنسى يعانون مواقف صعبة منهم أكثر من مليون وثلاثمائة وسبعون ألف يعانون من مشاكل كبيرة ، ومائتين وخمسون ألف بدون مأوى محدد، وهناك جمعيات نشطة أصبحت تضغط على الحكومة وهى جميعا تطالب بحقوق السكن لكل مواطن وعلى رأسها شخصيات اجتماعية لامعة ، وهو ما سيجعل شيراك يتخذ بعض المواقف السريعة خاصة فيما يتصل بالاسكان الشعبى والاحياء، وجذب أصحاب الأعمال إليها.

٢- الفساد: يعتبر الفساد ظاهرة قد تفشت فى السنوات الماضية ، وأتهم فيها كثير من الوزراء وبعض النواب والسياسيين ، وقام قضاة التحقيق بواجبهم كاملا ضد التسيب والفساد ، إلا أن كثيراً من أنصار شيراك يعانون الآن من تطبيق نصوص القانون، والبعض يرغب فى أن يصدر شيراك قانونا للعفو العام ، وفى هذه الحالة سيكون قرارا غير شعبي ويستنكره القضاة كما اعلنوا وعلى شيراك الاختيار هل سيستمر في محاربة الفساد ويتصدى لزملائه السياسيين وبالتالى يكسب الشارع الفرنسى ، أم سيخضع للضغوط ويصدر قرار العفو غير الشعبى.

٣- **التعليم** : بفرنسا ١٤ مليون طالب وتلميذ بمراحل التعليم المختلفة ، ومليون معلم ، والمعروف أن حقل التعليم ينبغى التعامل معه بالحذر الواجب ، فأى قرار يتخذ فى هذا الحقل دون الاخذ فى الاعتبار اراء المعنيين(الطلبة والمدرسون وأولياء الأمور) تكون نتيجته دائما درامية والاضرابات والاعتصامات والمسيرات الطلابية ليست بالبعيدة ، ولهذا كان شيراك قد اقترح اصلاح التعليم عن طريق اقتراح شعبى عله

## ما مصير الرئيس السابق؟

عقب إتمام حفل تبادل السلطة ، هناك اجراءات معروفة تتم بازاء كل رئيس سابق، وهى تهيئة سكرتارية له يتزايد عدد أعضاء فى السنة الأولى للرد على المراسلات الكثيرة (مثلا استقبل ديستان فى السنة الأولى لتركه الرئاسة حوالى ٣٠٠ ألف خطاب)، وأيضا ترتيب مكتب له تستأجره الدولة، وسينتقل الرئيس ميتران إلى مكتب بالدائرة السابعة بباريس، علاوة على أن الرئيس السابق يصبح بشكل تلقائى عضوا فى المجلس الدستورى، ويتقاضى معاشا يقدر بأربعين الف فرنكا، وسيارة وسائق، ومجموعة من ضباط الأمن. ويحتفظ الرئيس السابق أيضا بكل ما يحوله له البروتوكول كرئيس دولة سابق، بحيث يضاف اسمه بين الشخصيات الكبرى فى الجمهورية الفرنسية وعند وفاته تحصل أرملته على معاش ثابت، وكل المساعدات المادية اللازمة.

## ميزانية الرئاسة

تحدد ميزانية الرئاسة سنوياً بالاقتراع فى الجمعية الوطنية ، وهى متغيرة ، وقد بلغت الميزانية فى هذا العام ١٩٩٥ إجمالى ١٩٫٧ مليون فرنكا موزعة على النحو التالى :-

٦٫٥ مليون فرنك مخصصات ومصاريف القصر الرئاسى

٨ مليون فرنك للسكرتارية العامة ، والديوان ، والمستشارين ، ونفقات المهمات والتوثيق ، والمكتبة.

٣٫٥ مليون فرنك مصاريف التمثيل ، والانتقال ، والسفر الداخلى (إذ أن تكاليف السفر الخارجى تتكفل به وزارة الخارجية).

٢ مليون فرنك تكاليف بناء حظيرة للسيارات (هذا العام).

والمعروف ان اجمالى عدد العاملين بديوان رئاسة الجمهورية وقصر الإليزيه يبلغ ٧٩٦ فرداً ، بما فيهم الحرس الجمهورى (١٨٨فرداً) ، والأمن(٥٠ فرداً).

يستطيع تخطى نقابات المعلمين ، وسيتركز هذا الاقتراح على الموضوعات التالية: الأول بخصوص التعليم الابتدائى وإعادة تنظيم إيقاعه اليومى والسنوى والموضوع الثانى سيتعلق بمحاولة طريق آخر للتعليم والتدريب ، أما الموضوع الثالث فهو بخصوص إصلاح السنوات الأولى الجامعية حيث يفشل حوالى ٣٠٪ من الطلبة فى السنة الأولى والثانية الجامعية.

**٤- مرض الايدز:** يعتبر هذا المرض أهم ما يشغل الشباب اليوم ، فقد بين استطلاع للرأى أنه فى المرتبة الثانية بعد البطالة مباشرة ، وهذا ليس بالغريب فالمرض قد تقدم بنسبة ٧ر٨ ٪ سنويا ووصل عدد المرضى ٤٣ ألف بينما وصل عدد حاملى المرض بين ١٥٠ ألف و ٢٠٠ ألف شخص ، والموقف يتطلب ترتيبات عاجلة فى مجالات متعددة أهمها فى البحث ضد الفيروس فى المعامل بالتنسيق مع المجال الصيدلى وفى المجال الوقائى ،بحيث يغطى ليس فقط طرق الوقاية ، ولكن طرق انتقال المرض ، والمرضى اليوم لا يمكن ان ينتظروا طويلا فبعضهم لن يرى نهاية الفترة الرئاسية لشيراك.

ثانى هذه الملفات هو الوضع الاقتصادى ويشمل:

**البطالة:** معروف أنها المعضلة الأساسية للفرنسيين اذ بلغ عدد العاطلين ٣ مليون ومائتين وسبعة وثمانين ألف وثمانى مائة عاطل حتى نهاية مارس ، وهناك عاطلون منذ فترة طويلة و لهؤلاء، وعد شيراك بانه سيتقدم اليهم بما أسماه «عقد مبادرة عمل» والذى سيعفى الشركات التى ستقيمه مع العاطلين من دفع التكاليف التى يتحملها صاحب العمل عن كل عامل لديه ، بل وسيمنح الشركة مكافأة الفين فرنك لمدة عامين عن كل عامل. وشيراك يود مع هذا دفع النمو للأمام لأن هذا هو الحل الذى سيدفع لحل مشكلة البطالة ، وما وعد به أيضا زيادة الحد الادنى للأجور بالاضافة إلى أنه وعد بتقليل الضرائب عن الاستمارات التى ستخلق فرصا للعمل ، وعلى شيراك البدء فوراً فى تنفيذ برنامجه ، وعليه ان يثبت صحة ما تصوره بسرعة لوصول الى نتائج.

**الاضرابات :** عمت الإضرابات أنحاء فرنسا أثناء الحملة الانتخابية ، ومن المقرر أن تستمر إذا لم يحقق شيراك نتائج سريعة ، خاصة فى ظل ما دعا إليه البعض خاصة النقابات، والاحزاب العمالية الى دور ثالث تحقق فيه المطالب الاجتماعية ، وقد هدد عمال



جاك ديلور

القطاع الحكومى بالاضراب فى حالة ان لم يستمع إليهم، وشيراك يمكنه تفادى هذا المأزق الذى يمكنه ان يوقف الحياة العامة ويشملها اذا قررت النقابات ذلك.

**عجز الميزانية:** هناك عجز فى الميزانية ، وفى الضمان الاجتماعى ، وعلى الرئيس الجديد مواجهة ذلك وبسرعة لكى لا يهرب المستثمر من الاجانب ، وأيضا لأن شيراك قد التزم بتحقيق العملة الأوروبية الواحدة فى ١٩٩٩ ، ولتحقيق ذلك تلزم معاهدة ما سترتخيت الدول الموقعة على ألا يتخطى معدل العجز حاجز ٣٪ ، ومعدل العجز فى فرنسا الآن ٧ر٥٪ ، اضافة الى أن العجز يغذى ديون الدولة والتى وصلت الى ٣ آلاف ومائة مليار فرنك فى نهاية مايو ١٩٩٥ ، ومن هنا ينبغى دفع مائتى مليار فرنك كفوائد سنوية ، وعلى الرغم من رغبة شيراك فى خفض العجز الا انه سيكون صعبا عليه تنفيذ وعوده خاصة فيما يتعلق بالتأمين الصحى والذى وصل عجزه لمائة مليار فرنك ، ولهذا سيكون عليه رفع ضريبة المبيعات من ٦ر١٨ ٪ إلى ٢٠٪، وربما أيضا الضريبة علي البنزين وسيحقق هذا ٥٠ مليار فرنك سيتم الصرف منها على ما تم إعفاء أصحاب العمل منه، إضافة إلى العقد الجديد ، وتمويل الخطط الخاصة بتنمية الضواحى.

**التأمين ضد المرض:** كان الشغل الشاغل للحكومات المتعاقبة هو السيطرة على تكاليف صحة المواطنين ، وسيصل عجز التأمين هذا حتى نهاية هذا العام إلى حوالى ٣٥ مليار فرنك ، ولكى يتم خفض الانفاق الصحى ، سيصبح على السلطة الجديدة أن تقنع الأطباء وكل من يعمل بالصحة على قبول هذا الخفض الذى من المتوقع أن يتراجع من ٢ر٤٪ فى ١٩٩٦ إلى ٩ر١٪ فى عام ١٩٩٧ ، لكن لكى يتم هذا ينبغى ارادة سياسية قادرة على فرض هذا ، لكن هل سيقبل المواطن الفرنسى ذلك فتلك مسألة أخرى وعلى شيراك أن يواجهها.

**ملفات الشئون الخارجية :** واذا كان ما سبق هى القضايا الداخلية ، فإن الملف الخارجى يشمل ايضا عدداً من القضايا.

**الملف العربى :** ورث شيراك تراثاً ديجوليا فى التعامل مع القضايا العربية ، وسيكون عليه مراعاة ذلك بحكم الصداقات التى يرتبط بها فى العالم العربى، وهى صداقات وطيدة برفيق الحريرى رئيس الوزراء اللبنانى ، والسلطان قابوس ، والملك الحسن الثانى ، وصدام حسين وغيرهم ، ولهذا فلقد شكل الرئيس الفرنسى المنتخب وفودا لزيارة البلدان العربية وعلى الأخص العراق ، وسيولى الرئيس الجديد اهتماما كبيرا بالمنطقة خاصة فيما يتعلق بدور فرنسا فى عملية السلام القائمة فى الشرق الأوسط ، هذا وقد أعلن أثناء الحملة الانتخابية أن «العالم العربى يعلم ما أكنه له من احترام لما قدمه لحضارة العالم ويقدمه اليوم» وتساهم فرنسا بدور أكبر فى التنمية والسلام فى العالم العربى ، وأكثر مما ساهمت به من قبل ،وهو يؤيد السلام الدائم فى المنطقة ، وأيد اتفاقيات القاهرة وأوسلو ، حيث أرتأى فيها اعادة للأمل للشعب

الفلسطيني ، وسمحت بقبول اسرائيل في محيطها الاقليمي، وتمنى أن يرى سوقا مشتركة بين الفلسطينيين والاردنيين والاسرائيليين ، ويرى أن على أوروبا أن تلعب دوراً في المنطقة اذ لا يمكن لها ان تلعب دور المتفرج ، ولهذا فيؤكدان فرنسا ستعمل على التقريب بين العرب وأوروبا ، وعلاقة الشراكة التي تربط حوض البحر المتوسط ، هل سيحترم شيراك ميراثه الديجولي؟ هذا ما ستحبب عنه الوقائع.

**الملف الجزائري** : ويرى شيراك ان الاسلام احد الديانات الكبرى التي تنير العالم ، ويرفض الربط بين الاسلام والتطرف والارهاب ، ولهذا يحرص على احترام الاسلام في فرنسا ، في اطار العلمانية والقوانين الفرنسية -حسبما يرى دائما -ويقول علينا الا نعطي دروسا لأحد ، غير ان الانتخابات بالجزائر يمكن أن تنشأ بعض الأمل، وأن الحوار والعودة للطريق الديمقراطي يشكلان طريقا على درب المصالحة ، وشيراك يعرب عن قلقه بخصوص التصاعد الأصولي، ويرى أن على الشعب الجزائري نفسه أن يجد الحلول لأزمته ، لكن علينا ان نشجعه بكل الوسائل على خطوات الحوار ، وبمساعدة المجتمع الدولي ينبغي تقديم يد العون للشعب الجزائري لكي ينعم بالسلام.

**الملف الأوروبي**: يرى شيراك أن مؤتمر الحكومات الأوروبية القادم في ١٩٩٦ والذي سيناقش إصلاح الهياكل الأوروبية سيكون حاسما ، ولهذا يود الاعداد جيدا مع ألمانيا التي يعتبرها مع فرنسا محركي الاتحاد الاوروبي ، ويتمنى شيراك أن يعاد تحديد اختصاصات المجلس ويوضع في الاعتبار تعزيز دور مجلس الوزراء ، وأن يعين رئيس للمجلس الأوروبي كل ثلاث سنوات كما يود شيراك توسيع رقعة الاتحاد الاوروبي بعقد اتفاقات مع الأمم الاوروبية الاخرى للشراكة ويود انشاء سكرتارية عامة تختص بالشئون الفرنسية الألمانية ، والجديد في السياسة الأوربية لشيراك هو دعوته المحتملة لاستفتاء على اصلاح النظم الأوربية في عام ١٩٩٦.

**ملف البوسنة** : ويعتبر هذا الملف من الملفات الساخنة والتي ستعطى أولوية خاصة ، ففرنسا فقدت خلال ثلاث سنوات ٣٦ جنديا يعملون تحت علم الأمم المتحدة هناك ، وفي ظل اندلاع القتال مرة أخرى بين الاطراف المتحاربة ، وعدم انصياعها لنداءات وقف إطلاق النار سيكون على شيراك أن يسحب أربعة آلاف ومائتي جندي فرنسي ضد ارادات الأمم المتحدة والولايات المتحدة ، وبريطانيا فهل سيفعل ؟ وما البديل ؟.

**ملف التجارب النووية**: أوقف الرئيس ميتران منذ أبريل ١٩٩٢ التجارب النووية الفرنسية ضد ارادة العسكريين الذين يرون أن فرنسا في حاجة لحوالي عشر تجارب ضرورية لكي تستطيع وضع برنامجها النووي الرادع في برنامج معلوماتي ، والرئيس شيراك على الارجح سيأخذ بوجهه نظر العسكريين ، وقد ظهر من خلال المناظرة التليفزيونية مع جوسبان أثناء الحملة الانتخابية هذه الملفات المفتوحة والتي تنتظر قرارات الرئيس الجديد ، والتي ربما سيتعامل معها بصراحة الخارج لتوه من الانتخابات وقطع على نفسه العهود والوعود ، هي نفسها التي ستعلمه التعامل معها بمرونة وحذر ، وسيجد نفسه مضطرا للتنسيق في كل خطوة مع الحلفاء والشركاء في الاتحاد الأوروبي والعالم حوله.

هكذا وصل شيراك إلى الإليزيه وهذه مشاكله ولكن الأهم ليس الوصول إلي الإليزيه ، بل القدرة على حل مشاكل من أوصلوه ، وهي كثيرة وحادة والفشل سيعني مالايحمد عقباه.

## من هو الرئيس المنتخب؟

جاك - رينيه شيراك ولد في ٢٩ نوفمبر ١٩٣٢ (٦٢ عاما) بباريس ، أبنا وحيداً لأب عصامي لم يكمل تعليمه ، إلا أنه أصبح مديراً لبنك . جده كان معلما ، ثم مديرا لمدرسة ، وكان مناضلا اشتراكيا راديكاليا ، وعضوا متحمسا في المحفل الماسوني ، والتحق بتجمع الشعب الفرنسي R.P.R وعمره ١٦ عاما ، يحصل على الثانوية العامة وأراد ان يصبح طبيبا ليعالج الفقراء، أو يدخل البحرية ليجوب العالم بينما أراد والده أن يلحقه بمعهد البوليتكنيك الشهير، في هذه الأثناء يكتشف شيراك اليسار، ومثقفيه وخلافاتهم خاصة بين سارتر الذي لم يكن يحبه وكامي الذي أحبه، ويكتشف أيضا تلك التعبئة ضد السلاح النووي اذ لم يكن مثال هيروشيما بعيدا ويوقع على نداء استكهولم ويجوب به الشوارع ليجمع توقيعات المارة (من المعروف أنه قد بلغ عدد التوقيعات في ذلك الوقت ٢٧٣ مليون توقيع من أنحاء العالم) ، ويصل به الأمر إلى أن يبيع جريدة الايمانيتيه (لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي) ، ثم يقطع مع كل هذا ويعمل على مركب بضائع لتحقيق رغبته في رؤية العالم ، وبعد انتهاء الرحلة يصيبه التردد بخصوص الدراسة ، فيشرع في تعلم اللغة السنسكرتية (احدى لغات الهند) ، وفي الوقت نفسه يبدأ في تعلم الروسية التي يجيدها حتي اليوم مع الانجليزية ، وفي هذه الاثناء أقنعه أحد اصدقائه بالالتحاق بمعهد العلوم السياسية الذي ألتحق به وأبدى شغفا دراسيا لا حد له مما جعل الطالب- في ذلك الحين- ميشيل روكار (رئيس الوزراء الأسبق) وكان مسئول التنظيم الطلابي الاشتراكي بالمعهد يحاول تجنيده ، إلا أن شيراك كان يبدى امتعاضه بحجة انهم كانوا محافظون حسبما كان يرى شيراك اليساري في هذه الآونة ، ويسافر للولايات المتحدة ويعمل هناك أثناء الصيف ، ويعود لباريس ويحصل على دبلوم في السياسة عام ١٩٥٤ بترتيب متقدم (الثالث) يجتاز مسابقة الالتحاق بالمدرسة الوطنية للادارة E.N.A وكان عليه اتمام الخدمة العسكرية قبل الدراسة والتي أتمها بالجزائر في مدينة وهران ، ويقول عنها انها الفترة الأروع في وجودي إذ تعلم خلالها الكثير، يعود للمدرسة في ١٩٤٧ ويتخرج منها في في العام التالي ، ويتابع خطوات الجنرال ديجول الذي يصل للحكم ، يعود للجزائر في ١٩٥٩ لكن في هذه المرة ليعمل مدير لمكتب المدير العام للزراعة هناك ، ثم يعود لفرنسا ، ويتخذ ديجول قراره بضرورة استقلال الجزائر ، شيراك الذي كان يؤمن بان الجزائر فرنسية يتراجع عن رأيه ، ويعين في ١٩٦٠ بديوام المحاسبة ، ثم يصبح مكلفا بالمهام في حكومة جورج بومبيدو ، ويترشح في منطقة الكورير ، ويصبح نائبا برلمانيا في ١٩٦٧، ثم يعين سكرتيرا للدولة لشئون العمل ثم المالية، وفي ١٩٧١ يصبح وزيراً لشئون البرلمان ، وفي عام ١٩٧٢ يصبح وزيراً للزراعة ، ثم يعين في ١٩٧٤ وزيراً للداخلية ثم يعينه جيسكار ديستان رئيسا للوزراء من مايو وحتى أغسطس ١٩٧٦ ، حيث يعلن استقالته لخلافه الشديد مع رئيس الدولة ، ويؤسس في ديسمبر من نفس العام «حزب التجمع من أجل الجمهورية» R.P.R الديجولي والذى أحل محل «اتحاد الديمقراطيين من أجل الجمهورية الخامس U.D.R ينتخب عمدة لباريس في مارس ١٩٧٧ ، يعرض لحادث سيارة في ١٩٧٩ ، وبمناسبة الانتخابات الأوربية يوجه نداء من المستشفى حيث يرقد «كوشان» يتحدى فيه جيسكار ديستان ، يترشح لرئاسة الدولة في ١٩٨١ ، ويخرج من الدور الأول، بعد نجاح اليمين في الانتخابات التشريعية ١٩٨٦ يعينه الرئيس ميتران رئيسا للوزراء لتبدأ أول معايشة في تاريخ الجمهورية ، الخامسة فيعام ١٩٨٨ يصل للدور الثاني في انتخابات الرئاسة ويفوز عليه فرانسو مستران يرفض ان يعين رئيسا للوزراء بعد فوز اليمين في الانتخابات التشريعية في مارس ١٩٩٣ ويدفع صديقه إدوارد بلادير لرئاسة الوزراء في مايو ١٩٩٥ يصبح الرئيس الخامس في الجمهورية الخامسة بعد فوزه على المرشح الاشتراكي بنسبة ٥٢٫٦٤٪.

## رسالة موسكو

أحمد الخميسى

# قمة النصر

تعمد الرئيس الأمريكي بيل كلينتون أن يكون وصوله إلى موسكو فى التاسع من مايو مرتبطا- ليس فقط بالمشاركة فى احتفالات عيد النصر على الفاشية-بل وبلقاء قمة يعقد بينه وبين الرئيس يلتسين، وربما أراد كلينتون أن يجعل من رحلته شيئا أكبر من مجرد المشاركة فى الاحتفال بالذكرى الخمسين للانتصار على ألمانيا النازية فى أعنف حرب شهدها التاريخ المعاصر. وفى الاحتفالات وبعد الاحتفالات، حرص كلينتون على تقديم عرض أمريكي متقن يلتحم فيه النجم- بحركات يديه المدروسة وابتساماته التلقائية المعدة سابقا- بأهداف السياسة الامريكية الكبرى. وعلى الرغم من أن يلتسين ألقى- بطريقة المنفاخ الهوائى- بخطاب فرقعت كلماته فى الجو دون أثر ، ثم توالت من بعده خطابات تشير نوميردين وغيره، إلا أن الكلمة التى ألقاها كلينتون كانت أكثر حرارة من كل كلمات أصحاب الاحتفال أنفسهم ، وللمرة الأولى يعترف الغرب صراحة بجسامة التضحيات السوفيتية التى تحطمت عليها أطماع الألمان وذلك حين أشار كلينتون إلى أن «كل ثامن مواطن سوفيتى قتل فى الحرب، وعامة يقدر عدد الشهداء بسبعة وعشرين مليون نسمة ، وهو رقم يستعصى على التصديق أو الادراك البشرى، إلا أن الحرب الباردة هى التى منعتنا من قبل من التقدير الكامل لبسالة شعبكم» وخاطب كلينتون الباقين على قيد الحياة من الذين شاركوا فى الحرب بقوله: «لقد جئت إليكم اليوم لأعرب باسم الشعب الأمريكي عن شكرنا العميق لكل ما قمتم به.. ولقد ذرفنا الدمع اليوم ونحن ننظر إليكم وأنتم تقطعون الساحة الحمراء بكل تلك العزة وكل ذلك الاباء «وأشار جون ميجور رئيس الوزراء البريطانى لنفس المعنى حين قال:«يكفى أن أقول أن عدد ضحايا الحرب من المدنيين فى بلد واحدة هى لينينجراد فاق بحجة كل خسائر العسكريين الانجليز على مدار سنوات الحرب كلها».





يلتسين

وكان جوزيف ستالين أول من أعلن عن عدد الضحايا السوفييت فى فبراير ١٩٤٦ وحدده بسبعة ملايين شخص،لكن نيكيتا خروتشوف فى ١٩٦١ صرح بأن العدد الحقيقى للضحايا يصل إلى عشرين مليون، على حين أعلن يلتسين فى الاحتفالات أن الرقم الحقيقى للشهداء تجاوز ٢٦ مليون نسمة، بينما تقطع مصادر روسية كثيرة بأن عدد الضحايا تجاوز الخمسين مليون شخص.

ويوما بعد يوم تتكشف حقائق جديدة بشأن الحرب، وطبيعة الاتفاقيات السياسية الدولية التى أعقبتها فى مؤتمر يالطا بين الحلفاء. وكان السوفيت خلال الخمسين عاما المنصرمة وحتى الأيام القليلة السابقة على الاحتفالات يعتقدون حسب القصة الرسمية الشائعة أن الرقيب يجوروف الروسى والعريف كنتاريا الجيورجي هما أول من اقتحم الرايختاج الألمانى ورفعا فوقه راية النصر ، الأول شيوعى من الحزب ، والثانى غير حزبى. وقد حفظ الكبار والصغار هذين الاسمين على مدى نصف قرن، حتى تكلم أخيراً بعض المحاربين الذين شاركوا فى الاستيلاء على الرايختاج، فقالوا إن أول من اقتحم المبنى هو الكى بيرست الفلاح الروسى العملاق الذى بلغ طوله حوالى المترين وعلى حد شهادة الأحياء، كان الكسى بيرست: «يستهوى المقاتلين ببسالته الخارقة فى المعارك» لكن قيادة الحزب قررت أن يكون شيوعى روسى مع جيورجى غير حزبى رمزاً للبطولة ، ليغدو ذلك تجسيداً لوحدة الحزب والشعب ووحدة النضال التى جمعت مختلف القوميات، وخلال ذلك قضى الكسى بيرست خمس سنوات فى المعتقلات الستالينية بتهمة ملفقة . وعام١٩٦١ عقدت اللجنة المركزية للحزب السوفيتى اجتماعا مغلقا لمناقشة اعادة الاعتبار للفلاح العملاق الكسى بيرست غير الحزبى، لكن الجلسة لم تسفر عن قرار مشترك بدعوى أن الأسمين الآخرين قد رسخا فى وعى الناس. أما الكى بيرست فكان يواصل بطولاته التى تجرى فى دمائه فى الحياة اليومية دون أن ينتظر اعترافا بها من أحد. وفى نوفمبر ١٩٧٠ لقى بيرست- أول من اقتحم مبنى الرايختاج عام ١٩٤٥-مصرعه وهو يحاول انقاذ حياة فتاة من تحت عجلات القطار .

وأيا كانت الحقائق التى تتكشف، فإن شيئا لا يستطيع أن يمس جوهر الحرب الاسطورية البطولية للنصر الذى استقبله

شعب بأكمله عام ١٩٤٥ ولم يبق منه اليوم على قيد الحياة سوى عشر تعداده حينذاك خاصة أن ملاحم الشجاعة الروسية قد منعت خطر الفاشية، ليس عن الاتحاد السوفيتي فقط بل وعند العالم أجمع بما في ذلك العالم العربي الذي شغل التخطيط لاحتلاله مكانة هامة لدى الألمان ..

وفي خطاب لهتلر في ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ أمام قادة الجيش الألماني استعرض خططه لتحريض شعوب المستعمرات الانجليزية على بريطانيا قائلا بوقاحة وغطرسة: «سنتابع مستقبلا أيضا تحريض العرب على القلاقل، ويتعين علينا أن نفكر باعتبارنا الأسياد وأن نرى في هذه الشعوب في أحسن الأحوال قردة مزينة بحاجة إلى السوط» (١) وعشية دخول ايطاليا الحرب وقعت اتفاقية سرية بين ألمانيا وايطاليا يضمن فيها هتلر لموسوليني تحقيق الحلم الايطالي في تحويل البحر الأبيض المتوسط الى بحيرة ايطالية ، وكان هتلر يخطط لاقتحام المنطقة العربية عبر بلغاريا وتركيا إلى العراق ، وعبر ليبيا ومصر إلى فلسطين وشرق الأردن. غير أن خطة احتلال العالم العربي لم تحظ بمصادقة نهائية في اجتماع هيئة الأركان العامة في فبراير ١٩٤٠، وتأجلت حتى تنتهي النازية من سحق أوروبا أولا، ليحل بعدها الدور علينا نحن العرب لولا التضحيات الروسية التي افتدت شعوب العالم.

وكان يلتسين قد أعلن قبل لقائه بكلينتون عن أنهما سيناقشان القضايا الكبرى وفي مقدمتها : الموقف الروسي من حلف الناتو، وقضية معاهدة تقليص الأسلحة التقليدية ، ثم شبكة المفاعل النووي الروسي المقام في إيران . ولم يكن في كل تلك الموضوعات موضوعا واحد ايجابياً، فكلها قضايا خلافية واصلت بها واشنطون ضغوطها على روسيا التي بدأت بالمطلب الأمريكي بتقليص التشكيلات العسكرية الروسية التي ستمر في عروض الاحتفالات بعيد النصر ، وتبديل عبارة «النصر على الفاشية» الى مجرد «عيد النصر».وقد أثار عدم الوصول لحلول مشتركة في القضايا الخلافية خلال لقاء القمة شعوراً بأن العلاقات الأمريكية -الروسية لا تتقدم، أو أنها تتقدم ببطء عبر صعاب كثيرة.

وكانت معاهدة تقليص الأسلحة التقليدية في أوروبا قد وقعت في باريس عام ١٩٩٠ بين الاتحاد السوفيتي وبلدان اوروبا وأمريكا ، وكان من المفترض أن يبدأ سريان مفعولها في نوفمبر هذا العام، ولكن الاتفاق على شروط تلك المعاهدة تم في ظل وجود الاتحاد السوفيتي وبمراعاة حدود جمهورياته الواسعة الممتدة وتواجده العسكري في تلك الجمهوريات ، أما الآن وبعد اختفاء الدولة السوفيتية فإن شروط المعاهدة لم تعد مناسبة لروسيا في وضع روسيا الحالي ، ويطالب الروس بإدخال تعديلات تسمح لهم بزيادة حجم قواتهم في الجناح الجنوبي لحماية الحدود القوقازية من الأطماع التركية ، ولا تأبه روسيا- من الناحية الفعلية -بشروط المعاهدة ، لأنها عمليا زادت من تعداد قواتها هناك وتلح واشنطون في أن تلتزم روسيا بالمعاهدة ، بينما ترى موسكو ضرورة تبديلها ، لكن ذلك التبديل يحتاج لموافقة كل الدول الموقعة -بينما ترفض تركيا المتضرر الأول من التعديلات ادخال أي تغيير. وبذلك لم يستطع الرئيسان يلتسين وكلينتون الوصول لشئ ، ورغم الجلسة الخاصة المغلقة التي استمرت ساعتين على انفراد ، وصاغ كلينتون موقفه في المؤتمر الصحفي الختامي بقوله: «لابد على روسيا أولا أن تلتزم بالمعاهدة ، ثم تنظر بعد ذلك في مراعاة مصالح روسيا» أما يلتسين فصاغ موقفه بقوله: «لقد اتفقنا على إعادة النظر في المعاهدة ، وقد لاقت وجهة نظرنا تفهما من الجانب الأمريكي»، وهكذا طرح الخلاف على النحو التالي : إن كان نصف قدح الماء فارغا ، أم أن نصفه مملوء ، وقد لازم سوء التفاهم الأمريكي الروسي القضايا الأخرى المطروحة : كقضية توسيع عضويات حلف الناتو وانضمام روسيا إلى الحلف. وكانت تصريحات يلتسين بذلك الصدد أكثر وضوحا حين قال: «لم يتسن لنا أن نضع النقاط على الحروف بالنسبة لموضوع الناتو وموضوع الأمن الأوروبي ، ولهذا قررنا أنه من الأفضل ألا نتسرع وأن نواصل المناقشات خلال المباحثات التي ستتم في هاليفاكس وفي أكتوبر عندما تحتفل نيويورك بالذكرى الخمسين لانشاء الأمم المتحدة ».

أما عن اعلان يلتسين أن روسيا ستنضم لبرنامج الشراكة من أجل السلام، فانه لا يحمل جديدا في واقع الأمر ، فقد سبق أن تم الاعلان عن ذلك مراراً وتكراراً من قبل ، بينما تظل المشكلة في كيفية الانضمام وشروطه التي تزداد قسوة بالنسبة لروسيا مع مرور الوقت والتحاق أغلبية بلدان شرق أوروبا بالبرنامج بل وأغلبية البلدان السوفيتية سابقا.

وظلت معلقة أيضا مشكلة المفاعل النووي الايراني ، فبينما ترى واشنطون أن ايران التي تتربع فوق ثالث أكبر احتياطي نفطي في العالم وأكبر احتياطي من الغاز الطبيعي لا ينبغي أن تمتلك سلاحا نوويا ، وأنه كان من الأفضل لطهران ان تبني محطات كهرو- حرارية بدلا من المحطات الكهروذرية- فإن موسكو التي تدرك من دون شك بواعث الموقف الأمريكي الحقيقية تتمسك بالدفاع عن حقها في بيع الأسلحة لإيران والعراق والهند ، ولهذا

الرئيس كلينتون وزوجته هيلاري لدى وصولهما أوكرانيا



وقعت موسكو عقدا فى يناير ٩٥ مع ايران لبناء محطة ذرية فى مدينة بوشهر مقابل سبعمائة وثمانين مليون دولار ، وتعليقا على الاحتجاجات الأمريكية بذلك الصدد صرح **يفجينى ريشيتنكوف** نائب وزير الطاقة الروسية أن روسيا فى حالة امتناعها عن العقد الايرانى ستصبح« كمن خرج من المولد بلا حمص، فقد كان بوسعنا ان نحصل من قبل على مليارى دولار من التعاون النووى مع باكستان لكننا رفضنا العرض الباكستانى، ثم أتضح أن فى باكستان مفاعلين نوويين من كندا كما أن المركز النووى الباكستانى مزود بأحدث الآلات الحاسبة الأمريكية ، وبينما انتقدونا بشدة على العلاقات مع الهند بحجة ضرورة مقاطعة البلدان التى لم توقع معاهدة عدم نشر الأسلحة النووية فإن وفدا أمريكيا قام بزيارة إلى الهند فى أواخر فبراير هذا العام وأجرى مباحثات ناجحة حول استخدام الطاقة الذرية.. لكن الأمريكية. ومع ان كلينتون أعلن فى البيان الأمريكى عن أنه توصل لاتفاق مع الرئيس الروسى جدد فيه يلتسين التزام روسيا السابق فى سبتمبر ٩٤ بعدم توقيع عقود جديدة لبيع الأسلحة إلى ايران ، بل وتشكلت لجنة ثنائية من **تشيرنوميردين** وألبرت جور نائب **كلينتون** لتعد اتفاقا واضحا حتى نهاية يونيه الحالى- إلا أن **يلتسين** أعلن أنه تم الاتفاق على فصل «الجانب العسكرى فى الصفقة الايرانية عن الجانب السياسى منها «أى أن موسكو كانت تكذب طويلا عندما أصرت الفترة الماضية على أن الصفقة الايرانية تتعلق فقط بالتعاون الايرانى. فقد صرح يلتسين بقوله : «إن فى العقد فعلا عناصر عسكرية خاصة بامكانية تصنيع وقود السلاح النووى وغير ذلك ، لكننا اتفقنا الآن على حذفها من العقد ، بحيث لا تبقى الا المحطة الذرية السلمية »! والواضح أن روسيا لا تريد أن تتخلى ببساطة عن أسواق السلاح ، وقد بدا ذلك فى تنشيط العلاقات العسكرية مع الهند مؤخراً ، وبعد أن خضعت موسكو فى حينه لضغوط واشنطون فلم تسلم الهند محركين للصواريخ مع تكنولوجيا صناعة المحركات ، فإن الهند ستستلم سبعة محركات روسية عما قريب بدلا من أثنين ، ويبدو أن غياب الدعم الاقتصادى الامريكى لروسيا يقوم بدوره فى تشبث روسيا بمصالحها . **كما أن العلاقات التجارية والاقتصادية لم تشهد تطوراً ملموسا اذ لم يتجاوز حجم التبادل التجارى بين البلدين ٨ر٥ مليار دولار هذه السنة ، كما أن حرفا لم ينفذ من ميثاق التعاون الاقتصادى الذى وقعه البلدان العام الماضى** . ويتضح الفرق فى الموقف الامريكى من روسيا اذا قورن بنفس الموقف من أوكرانيا التى وعدها كلينتون بمساعدة فى حدود أربعة مليارات دولار علاوة على ثلاثمائة وخمسين مليون دولار أخرى لمساعدتها فى تكاليف تدمير اسلحتها النووية. من غير المعروف بعد المدى الذى قد تمضى فيه الخلافات الروسية- الأمريكية على أسواق السلاح ، ولكن كلينتون كان واثقا فى كل خطاباته ولقاءاته بموسكو من أن روسيا ستمضى فى الطريق المرسوم لها وبينت كل خطاباته- مع طلبة جامعة موسكو وغيرها- أن الامريكيين يلمون تمام الإلمام بكل تفاصيل الوضع الروسى الداخلى والخارجى وآفاق حركته الفعلية سياسيا واقتصاديا. ولعل كلينتون كان- فى تفاصيل كثيرة -أقرب الى تلمس صورة الوضع الفعلى فى روسيا من القادة الروس أنفسهم ، فقد أشار إلى أن المافيا فى روسيا ليست ظاهرة جنائية أو اخلاقية ، لكنها ظاهرة سياسية لأن المافيا- فى عهد التحول للاقتصاد الحر ومع غياب مؤسسات تقود ذلك التغيير-أمست الاداة والمؤسسة التى تقود التحولات الاقتصادية وكان اقرب الى الحقيقة عندما قال لطلبة جامعة موسكو: «لن تشهد روسيا تحولات او انتصارات ضخمة ، وكل ما ينتظركم هو التحسن التدريجى»! . ولعل هذه النبوءة المشئومة بالذات والتى تسرى فى نسيج وتفاصيل الحياة الروسية اليومية هى التى اشاعت الضباب فى سماء الاحتفالات بعيد النصر حتى أطلقت الصحافة الروسية عليه« العيد المبلل بالدمع».



مظاهرات صاخبة للشيوعيين ضد يلتسين فى ذكرى النصر

(١) وثائق السياسة الألمانية الخارجية، واشنطون ١٩٥٣، الجزء السابع عن ١٦٧-١٦٩.

# ايران:
# الحظر الأمريكى على ايران وسياسة «الاحتواء»

صلاح صابر

فى منتصف مارس الماضى صعدت الولايات المتحدة الأمريكية **«حربها الاقتصادية»** على إيران باتخاذ الرئيس **بيل كلينتون»** قراراً تنفيذيا يمنع بموجبه تعاقد أى شركة أمريكية مع طهران لتمويل أو إدارة أو تطوير مواردها النفطية مانعة بذلك شركة **«كونوكو»** من المضى فى صفقتها مع إيران لتوسيع إنتاجها فى حقل نفطى فى جزيرة **«سرى»** فى الخليج وتحسينه . وحسب **مايكل ماكورى** الناطق باسم البيت الأبيض فان هذه الاجراءات ضد إيران الغرض منها منعها من تعزيز قدراتها الاقتصادية وبالتبعية قدرتها العسكرية . وناشدت الادارة الأمريكية حلفاءها اتخاذ خطوات مماثلة تجاه إيران.

وفى مطلع «مايو» أكدت ادارة الرئيس كلينتون عزمها الاستمرار فى بذل الجهود لاقناع حلفائها وأصدقائها فى العالم باعتماد سياسة متشددة تجاه ايران والاقتداء بالولايات المتحدة فى فرض **«مقاطعة اقتصادية»** ضد إيران » وقد بعث **وارن كريستوفر** وزير الخارجية الأمريكى برسائل شخصية إلى مختلف الدول دعاها فيها إلى عدم سد الفراغ الذى سيتركه انسحاب الشركات الأمريكية من التعامل مع إيران . والمعروف أن شركة **كونوكو** الأمريكية التى منعها قرار الادارة الأمريكية من الاستمرار فى اتمام صفقتها مع إيران المقدرة ببليون دولار كانت تنافسها فى الفوز بالصفقة شركتا **«إلف إكتين»** و **«توتال»** الفرنسيتان.

واستكمالا لهذه الخطوات الأمريكية فى إطار عملية التصعيد مع إيران صوتت لجنة العلاقات الدولية فى مجلس النواب الأمريكى فى ١١ مايو (بغالبية ٢٢ صوتا مقابل ١١ صوتا) على **حظر المساعدات الأمريكية للدول التى تزود إيران بالتكنولوجيا النووية أو الاعتدة الحربية** وقد تم استثناء **موسكو** من ذلك (حيث سبق التصويت على القرار فشل ذريع للرئيس كلينتون فى إقناع نظيره الروسى بالتخلى عن تزويد إيران بالتكنولوجيا النووية وذلك فى قمتهما الأخيرة بموسكو) حيث لا يشمل الحظر سوى ٢٥٪ من المساعدات الأمريكية لروسيا حتى فى حال أصرت موسكو على موقفها ، إذ أن المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة والتى ترصد بغرض دعم القطاع الخاص فى روسيا بالنسبة لأمريكا تعد أمراً هاماً واستراتيجيا تماما مثل أهمية الحظر على إيران.

وقد أثر هذا القرار على بعض الدول التى تهمها المساعدات الأمريكية بالدرجة الأولى مثل **«أوزبكستان»** ، فقد ذكرت الصحف الايرانية أنباء أشارت إلى أن رئيسها يدعم قرار الرئيس كلينتون بفرض حظر على إيران.

وبناء على ذلك ألغيت زيارة رسمية كان من المقرر أن يقوم بها وزير خارجية أوزبكستان إلى طهران مؤخراً.

ورغم ذلك الدعم الذى لاقته الادارة الأمريكية من دول صغيرة وغير مؤثرة دوليا فان غالبية القوى الدولية (بما فيها حلفاء أمريكا أنفسهم) باستثناء إسرائيل) رفضوا فكرة الحصار التجارى لايران .فقد أكد **جيوورجى كاووروف** مدير العلاقات العامة فى وزارة الطاقة النووية الروسية أن موسكو مصممة على المضى فى إنجاز المشروع الخاص ببناء محطة بوشهر النووية فى إيران كما أكد **قسطنطين شوفالوف** نائب المدير العام للدائرة الآسيوية الثالثة ومسئول الملف الايرانى فى وزارة الخارجية الروسية أن طرح الرئيس كلينتون الخاص بالحظر التجارى على إيران «شأن خاص بالولايات المتحدة» وأنه جاء لاعتبارات سياسية داخلية وان فكرة دفع روسيا والبلدان الغربية إلى المشاركة فى الحصار «ولدت ميتة» ومستحيلة التطبيق .

وأشار إلى أن البيت الأبيض يسعى إلى فرض قيود على التعامل مع إيران خارج الأطر الدولية .

أما ألمانيا فقد اعتبرت ان واشنطن اعتمدت الطريق الخطأ ودعت إلى حوار سياسى مع إيران فى حين أكدت بريطانيا معارضتها لمبدأ المقاطعة كونه لا يؤدى الى النتيجة المرجوة . وأعلن وزير خارجية فرنسا **«آلان جوبيه»** رفض بلاده الانضمام إلى الجهود الأمريكية وقال : «لا نؤمن بالمقاطعة المنفردة» ودعا إلى «حوار فى العمق» مع طهران وشددت دول المجموعة الأوروبية ككل( وعددها ١٥ دولة) على رفض المقاطعة فى حين استبعد المراقبون أن تتوقف اليابان عن استيراد حوالى ٦٠٠ ألف برميل يوميا من النفط الايرانى ، ولم تظهر أى بوادر تشير إلى أن الصين والهند ستتخليان عن سياسة التقارب مع إيران ، فعلى الرغم من المقاطعة التى طالبت بها الولايات المتحدة مبكراً فان الهند عرضت على **رفسنجانى** الرئيس الايرانى الذى زار **نيودلهى فى أبريل الماضى**، تزويد بلاده بالأسلحة وتقوية ترسانتها الدفاعية وقد ترافق ذلك مع

تأكيد أحمد على سردار وزير الخارجية الباكستاني بأن بلاده لا تتفق مع وجهة النظر الأمريكية بشأن ايران وأنه لا تنسيق بين بلاده والولايات المتحدة في ذلك.

أما مصر -حسبما يرى البعض- فانها في هذه المرحلة ترى أن مصلحتها اجتذاب ايران خصوصاً أنها تعمل على المدى البعيد لاقامة نظام اقليمي جديد تتكافأ فيه قوى المنطقة جميعاً دون ترك مجال لهيمنة قوة من دون أخرى ، ولذلك أيضا تسعى لاعادة العراق إلى البيت العربي بهدف بناء نظام إقليمي جديد ، وبالتالي فحصار إيران يعد عائقاً أمام هذه التطلعات المصرية.

وحدها اسرائيل اتخذت موقفاً علنياً يدعو إلى ضرورة عزل ايران على أساس انها مهد الارهاب والعداء لعملية السلام وسارت بمحاذاة الولايات المتحدة في هذا الاتجاه أو دفعتها لتبنيه أساساً كما ترى بعض التحليلات.

## احتواء مزدوج أم سياسة داخلية

منذ انتهاء الحرب الباردة والسياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط (بمفهومه الواسع) بدأت تأخذ اتجاها واضحاً والحصار الحالي لكل من العراق وليبيا -والآن ايران- أحد مظاهره ، وقد عبر عن هذا الاتجاه أكثر من مسئول وصانع قرار أمريكي . فانطوني ليك مستشار الأمن القومي الأمريكي في ١٧ مايو من العام الماضي ألقى كلمة أمام مؤسسة واشنطن لسياسة الشرق الأدنى (FEDERAL Information System Corporation Washington D.C.) أظهر فيها هذا الاتجاه حيث قال : أن الشرق الأوسط يواجه اليوم خياراً بين مستقبلين الأول يسيطر عليه المتطرفون وبأيديهم أسلحة الدمار الشامل وهذا يمثل خطراً وجوديا على إسرائيل وأصدقائنا في المنطقة، والثاني يحمل في طياته «التقدم الديمقراطي» وحرية انتقال البضائع . والمنطقة في غاية الأهمية لنا نظراً لأهمية التدفق الحر للنفط من الخليج وبأسعار معقولة وأمن اسرائيل . وبالتالي فنحن في حاجة للجم ايران والعراق وليبيا والسودان ، ويجب أن يكون عميق اهتمامنا نزع أسلحة الدمار الشامل من أيديهم.

وفي مايو عام ١٩٩٣ أفصح مارتن أنديك المساعد الخاص للرئيس الأمريكي في شئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا في محاضرة له عن عزم إدارة كلينتون اعتماد استراتيجية «الاحتواء المزدوج» لكل من إيران والعراق ، تلك الاستراتيجية التي تحمل فلسفتها إرثا من استراتيجية الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفيتي في ظل الحرب الباردة ، والتي تخدم الفرض الأمني للولايات المتحدة في الخليج العربي والشرق الأوسط وتقوم على عدائية سياسية وأيديولوجية تمنع الالتقاء بين الطرفين تماما «الحاوي والمحتوى» وحتى ينهار الخصم من الداخل أو يهزم من الخارج بمنازلة عسكرية.

غير أن هناك من يرى أن التصعيد الأمريكي الأخير تجاه إيران مسألة سياسية داخلية أكثر منها مرتبطة بسياسة «الاحتواء المزدوج» خاصة مع ما يترتب عليها من خسارة الأمريكيين لآلاف الوظائف نتيجة إلغاء صفقة «كونوكو» دون أن يلحق الأذى عملياً بإيران ، فرغم أن ابرز الصحف الأمريكية مثل «واشنطن بوست» و«نيويورك تايمز» أيدت قرار كلينتون فقد انتقدت القرار صحيفة كريسچيان ساينس مونيتور» المعروفة برصانتها واعتدالها ، وقالت أن سياسة البيت الأبيض تجاه إيران ستثير أسئلة كثيرة حول مدى استقلال السياسة الأمريكية ، وأشارت إلى أن كلينتون أعلن عن سياسته تجاه ايران أمام المجلس اليهودي العالمي الأمر الذي يدفع إلى الاعتقاد بأن للقرار بعداً سياسياً داخلياً ، وأضافت «أن البعض سيطرح تساؤلا مفاده : أين تنتهي سياسة الولايات المتحدة الخارجية وأين تبدأ المصالح الاسرائيلية».

## «إيران / والانفجار من الداخل»

وبصرف النظر عن مسألة الحظر الأمريكي على إيران فان الأخيرة تشهد في السنوات الأخيرة اضطرابات اجتماعية خطيرة قد يساهم مثل هذا الحظر -رغم عدم تكامله- في الاسراع بوتيرة انفجار ايران من الداخل . فالمدن الايرانية تشهد ظاهرة متنامية وهي الاضطرابات والمواجهات أمام المخابز في طهران والمدن الرئيسية ، وتفجرت أحداث شغب في ديسمبر الماضي في شمال ايران والعاصمة طهران في أعقاب انقطاع مفاجئ في إمدادات الغاز الطبيعي خلال موجة برد شديدة اجتاحت البلاد ومات العديد من المواطنين ترتيباً على ذلك. وهو الأمر الذي جعل شخصية مثل الدكتور ابراهيم يزدي وهو أول وزير خارجية لايران في حكومة مهدي بازركان يرى أن المعارضة للنظام الحالي اتسعت في الأشهر الأخيرة ويؤكد على أن التنظيمات الوطنية تعزز مواقعها وأصوات المواطنين العاديين ترتفع كل يوم مطالبة بوضع حد لحكم رجال الدين «وفصل السياسة عن الدين» ، وقد لفت المراقبون النظر إلى أنها المرة الأولى التي يرسم فيها سياسي بارز بذل قصارى جهده لتأمين انتصار رجال الدين في ١٩٧٩ صورة مظلمة عن المستقبل الذي ينتظر القيادة الدينية ومن ناحية أخرى انتقدت تقارير حقوق الانسان الصادرة عن لجنة تابعة للأمم المتحدة ايران بشدة بشأن احكام الاعدام التي تصدرها على مواطنيها وما تمارسه من عمليات تعذيب ضدهم ومن تفرقة ضد الأقليات الدينية والمرأة فضلا عن تقلب نظامها القضائي.

وفي نوفمبر الماضي أعلنت «الوكالة الاسلامية للأنباء الايرانية الرسمية عن وفاة الكاتب سعيدي سرجاني الذي كان رهن الاقامة الجبرية نتيجة نوبة قلبية وقد اعتبرت المعارضة الايرانية ان موت الكاتب ليس طبيعياً وأن السلطات قتلته وكانت قد اعتقلته واتهمته بالعمالة للمخابرات الأمريكية والموساد اثر بيان احتجاج وقعه ما يزيد على ١٣٠ من المثقفين الايرانيين البارزين وطالبوا فيه الحكم بحرية التعبير.

وتزامنا مع التصعيد الأمريكي الحالي تجاه إيران شهدت الأخيرة انهياراً لعملتها الوطنية أمام العملات الحرة حيث وصل سعر الدولار الأمريكي في ٥ مايو الماضي قرابة السبعة آلاف ريال ايراني وقد كان يتداول قبل ذلك بأسبوع بحوالي ٤٢٠٠ ريال للدولار الواحد. وهذا الأمر جعل الشرطة الايرانية تشن حملة اعتقالات واسعة على الصيارفة الذين لا يحملون تراخيص عمل اثر حملة صحفية استهدفت هؤلاء الصيارفة وكذلك الأجانب من الجمهوريات الاسلامية وآسيا الوسطى الذين استغلوا تردى العملة الايرانية وعملوا على شراء السلع الاستهلاكية وتهريبها خارج إيران . غير أن حملة الاعتقالات أعادت سعر الصرف إلى معدل ٥٥٠٠ ريال للدولار فقط.

وتظل الظروف الاجتماعية والاقتصادية إضافة لعوامل أخرى مثل تنامي الشعور الاثني وضعف الولاء الوطني (بعد انتهاء الحرب مع العراق الذي كان يوفر عامل الاستمرار له) كضغوط على إيران قد تساهم في انهيارها رغم الحظر الأمريكي على ايران أو تزامنا معه.

# ألمانيا دعت للتحديد اللانهائى ولكنها تسعى للمساواة فى الاستحواذ على السلاح النووى

نبيل يعقوب

## رسالة ألمانيا

رحب الإعلام الألمانى بالتمديد اللانهائى وغير المشروط لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية . وعلى امتداد الشهور التى سبقت القرار التاريخى الذى جاء حسب مشيئة الولايات المتحدة تجاهل الإعلام الألمانى بشكل فاضح جهود دول العالم الثالث من أجل التوصل إلى اتفاق ملموس حول نزع السلاح ومن أجل وقف التجارب النووية ، وتجاهل المطلب العربى العادل بدفع إسرائيل للانضمام للمعاهدة وبالتالى وضع منشآتها النووية تحت الإشراف الدولى وتحويل الشرق الأوسط لمنطقة خالية من السلاح النووى ، ولم يأت فى وسائل الاعلام الجماهرية ذكر الدور البارز الذى لعبته الدبلوماسية المصرية إلا نادرا وفى اللحظات الحرجة التى طرأت خلال مداولات الأمم المتحدة واكتفى التليفزيون بذكر خبر التمديد دون تفاصيل وكأن شيئا آخر لم يحدث ، وكان موقف الإعلام المستقل " متوافقا مع موقف الحكومة الألمانية الذى عبر عنه وزير الخارجية الألمانى كلاوس كينكل الذى طالب مندوبى دول العالم فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى نيويورك أن تحذو حذو ألمانيا التى تخلت طوعا عن كافة أنواع أسلحة الابادة الجماعية " كما قال ورفض كينكل مطلب الدول النامية التى ترى اقرار تجديد محدود للمعاهدة وربطه بشرط التزام الدول النووية الخمسة ( أمريكا وروسيا وبريطانيا والصين وفرنسا ) بنزع سلاحها النووى بالكامل ، وبهذا أيد كينكل موقف الدول النووية التى تعتبر احتكارها لامتلاك السلاح النووى حقاً طبيعياً مشروعاً ومحاولة أخرى الغاء هذا الاحتكار بالقضاء على كل سلاح نووى عمل يهدد السلام . ولكن كيف ينسجم هذا الموقف مع التخلى الطوعى " عن كل خيار نووى ؟ ولماذا اعترضت ألمانيا على أبدية المعاهدة سنة ١٩٧٠ ولماذا تؤيدها الآن؟ ماهى حقيقة الموقف الألمانى من المعاهدة ومن السلاح النووى ؟

**هل ألمانيا دولة نووية ؟**

الغريب أن موضوع ألمانيا والأسلحة النووية " غير مطروق فى ألمانيا ولا فى العالم إلا فى القليل النادر رغم أن ألمانيا الموضوعة تحت حماية المظلة النووية لحلف شمال الأطلسى تعتبر أرضها " مأوى " لأسلحة نووية هجومية بل منصة لاطلاقها و قرر الناتو ذلك .. ورغم أن ألمانيا تملك صناعة نووية متقدمة ، وهى أحد أهم منتجى المفاعلات النووية المستخدمة لانتاج الطاقة وفى البحث العلمى ، ورغم أن هناك أكثر من إشارة بأنها تريد أن تكون من الدول المسلحة نوويا.

واشارات التحذير " القليلة صدرت فى مجلات متخصصة أمريكية وعن عدد من الخبراء السياسيين والمتابعين للقضية . **ولأن الرأى السائد محليا وعالميا يصنف ألمانيا على أنها " دولة غير نووية " جاءت تصريحات وتأكيدات الرسميين وقرارات البوندستاغ بصدد معاهدة حظر نشر الأسلحة النووية وكأنها تحصيل حاصل .. وتبدو كلها فى اتجاه واحد مؤيد لتمديد المعاهدة إلى الأبد وبلا تحفظات .**

ولأن الأمر لايمكن أن يكون بهذه البساطة والسلاسة بالنسبة لواحدة من أقوى دول العالم اقتصاديا وعسكريا ولم يعد طموحها لاحتلال مكانة عالمية قيادية وفى المجال العسكرى

أيضا أمرا خافيا ، لاغنى عن تقليب أوراق التاريخ التى تفاجئنا بما كاد أن يطويه النسيان:

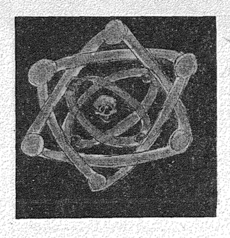
منذ ٢٥ سنة بالتحديد خاضت ألمانيا معركة صعبة ضد المعاهدة اياها بصورتها التى كانت عليها آنذاك **وألمانيا بالتحديد هى التى اعترضت على أن تكون معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية معاهدة أبدية وبناء على هذا عدلت مسودة المعاهدة لتتحدد مدة السريان بخمس وعشرين سنة.**

وأوراق التاريخ تبين أن ألمانيا شهدت صراعا سياسيا شديدا حول الموقف من المعاهدة ، وقتها رأى اليمين المحافظ أن الأمن والسيادة والكرامة يتطلبون على الأقل الحفاظ على امكانية الخيار النووى للمستقبل وعدم التفريط فيه .. وكانت القاعدة التكنولوجية والعلمية تتكامل ليصل أحد الخبراء الى الاستنتاج المقر به عموما وهو أن ألمانيا هى الدولة الأوربية الوحيدة القادرة على أن تكون - فى مجال انتاج السلاح النووى - ندا لفرنسا وبريطانيا.

**ألمانيا هى التى رفضت أن تكون المعاهدة أبدية**

بدأ سريان معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية عام ١٩٧٠ بعد أن وقعت ٤٣ دولة عليها ، وتحدد مداها الزمنى بفترة ٢٥ عاما ، وكانت ألمانيا بالتحديد هى التى اشترطت أن يوضع أجل محدد للمعاهدة لكى توقع ، ويكتب المحلل الألمانى والخبير فى سياسة ألمانيا النووية ماتياس كينزيل* : لعبت جمهورية ألمانيا الاتحادية دورا مركزيا فى المفاوضات التى دامت عشر سنوات وكانت القوتان العظميان متفقتين فى بداية الستينات على حرمانها من أي خيارات نووية ، وقد أدى هذا إلى صراع امتد كخيط أحمر فى تاريخ حلف شمال الأطلسى ولازال قائما حتى اليوم.

وتعكس التطورات التى جرت آنذاك أن العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين من ناحية وألمانيا من ناحية أخرى لم تكن خالية من الدقة والتعقيد ، كما تعكس التشابكات المعقدة التى سادت الوضع بعد الحرب العالمية الثانية حيث أصبحت ألمانيا حليفا للغرب وأهم قوة أوروبية غربية فى مواجهة الاتحاد السوفيتى ، ومن ناحية أخرى كانت الولايات المتحدة الأمريكية والقوى المنتصرة الأخرى فى الحرب العالمية الثانية متفقة على ألا تكون ألمانيا الاتحادية



متساوية الحقوق فى مجال التسلح النووى . ومن ناحية أخرى كانت الولايات المتحدة تفهم وتقبل أن لايفصل حليفها الألمانى الغربى فارق كبير فى الوضع النووى . لذلك لم يكن مثيرا للعجب ان حاولت بون ( تحت قيادة المستشارين اديناور وايرهارد ) عرقلة مشروع معاهدة الحظر ثم فى مرحلة لاحقة ( تحت قيادة المستشارين كيزيغر وبراندت) سعت لتكييف المعاهدة حسب مصالحها الخاصة .

ويكتب كينزيل أن " جهود ألمانيا تركت ليس فحسب اثاراً واضحة فى نصوص المعاهدة، بل أدت كذلك الى عدد من الترتيبات الخاصة، والتى بدونها ماكانت ألمانيا قد وضعت توقيعها ".

ولأ هذه الترتيبات الخاصة على درجة كبيرة من الأهمية يمكن القول أن ألمانيا الديمقراطية التى انضمت فى البدايات الأولى للمعاهدة وقعت معاهدة حظر مختلفة عن ألمانيا الاتحادية ! والنص الملزم لدولة ألمانيا الموحدة هو النص الذى وقعته المانيا الغربية " آنذاك أى بالترتيبات الخاصة.

**المعاهدة فى التفسير الأطلسى والتفسير الألمانى**

جرى التحديد الأدق للتخلى الألمانى عن الأسلحة النووية فى ثلاث وثائق اضافية لمعاهدة الحظر . الوثيقة الأولى هى **تفسير حلف الناتو لمعاهدة الحظر ١٩٦٨ وهو** يضمن استمرار " المشاركة النووية: فى ظل المعاهدة ولكن بينما تستهدف المعاهدة منع الحرب النووية ومنع نشوء قوى نووية أخرى تعنى " المشاركة النووية" بالضبط تحضير استخدام الأسلحة النووية بواسطة " دول غير مسلحة نوويا " ، وتدريبها على ذلك واستعدادها للتنفيذ خلال مدة قصيرة ويكتب ديمتر دايزروت القاضى فى المحكمة الادارية العليا فى مينسترفى مجلة ( العلم والسلام - ١- ٩٥ ) أن حلف الناتو لايفكر فى التقليل من الأسلحة النووية المخزونة فى الأراضى الألمانية وأن من جملة ٧٠٠ سلاح نووى وضعها الناتو فى أوروبا يمكن أن يكون ٥٠٠ منها فى الأراضى الألمانية ، وهى أسلحة تتحكم فيها حكومة الولايات المتحدة . وهذه الأسلحة هجومية بمعنى أنها معدة لاطلاقها أو اسقاطها من الطائرات.

وفى بيانات تكميلية أصدرها أهم الشركاء فى حلف الناتو تقر هذه الدول أن ألمانيا الاتحادية يحق لها الخروج من المعاهدة فى حال حل حلف شمال الأطلسى.

والوثيقة الثانية هى التفسير الألمانى للمعاهدة والذى أصدرته الحكومة التى قادها الحزب المسيحى الديمقراطى برئاسة المستشار كيزنغر فى أواسط عام ١٩٦٩ وقامت باعلانه حكومة الاشتراكى الديمقراطى المستشار يلى براندت بدون تغيير ، ويعلن هذا التفسير الحكومى أن تطوير تكولوجيا الأسلحة النووية ينسجم مع المعاهدة وأنه لا يجوز أن يحرم ألمانيا أى تطور فى مجال البحث النووى

والوثيقة الثالثة هى بيان الحكومة الألمانية بمناسبة التصديق على المعاهدة سنة ١٩٧٥ وجاء فيه " لايجوز تفسير أى شرط من شروط المعاهدة كعائق فى وجه مواصلة تطوير الوحدة الأوروبية ، وبشكل خاص انشاء الاتحاد الأوربى باختصاصاته المناسبة " تفسر هذا مجلة " الأمن الأوروبى " القريبة من دوائر البوندسفير ( القوات المسلحة الألمانية) **بأن الحكومة الألمانية تركت الطريق مفتوحا نحو قوة مسلحة نووية أوروبية .** " واحد أمثلة هذه السياسة هى( الخيار الأوربى ) أى تصور أن التنازل الألمانى عن الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية لم يعد له معنى من الناحية القانونية بعد الدفاع الأوربى المشترك . و(الخيار الأوربى ) وجد سبيله إلى نصوص معاهدة " اثنين زائد أربعة " ( وهى المعاهدة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والألمانيتين سنة ١٩٩٠ وقد فتحت الطريق لألمانيا موحدة ذات سيادة منهية وضع مابعد الحرب العالمية الثانية ) وبعد أن كان وفد المستشار كول أمام الجانب السوفيتى فى القوقاز قد أعلن تخليه عن آية تحفظات عن الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية قام جنشر وزير الخارجية الألمانى آنذاك بتحويل هذا التخلى الكامل الى تأكيد بيانات تخلى سابقة عليه ، وصيغة جينشر هى التى دخلت معاهدة "

اثنين زائد أربعة".

**ألمانيا واليابان**

كتب ماك دين ميلوت فى واشنطن كوارترلى صيف ١٩٩٤ أن "اليابان وألمانيا من الدول شبه النووية" وواقع الأمر أن تقسيم الدول إلى نووية وغير نووية لم يعد يكفى هناك اضافة الى هذا التقسيم الدول النووية غير المعلنة وهناك الدول شبه النووية ويكتب ميلوت أن ألمانيا واليابان هما البلدان الوحيدان من الدول غير المسلحة نوويا ولكنهما تملكان أكثر من ١٠٠٠ كيلو غرام من البلوتونيوم وقد صدر فى عام ١٩٩٤ قرار حكومى يمنع نشر معلومات عن نوع وكم الوقود النووى المحفوظ تحت اشراف الدولة، وحسب مجلة "الوقود النووى" الأمريكية Nuclear Fuel) فى ١٦-١-٩٥ فان الأمة التى تملك مستودعا للبلوتونيوم هى "أمة ذات خيار نووى" وألمانيا تخزن كميات من البلوتونيوم فى أراضيها ولها ٦٦٠٠ كيلو جرام تحتفظ بها عند فرنسا، وتبلغ كمية البلوتونيوم التى تعاقدت شركات ألمانية على فصلها فى فرنسا وبريطانيا ٧٦٠٠٠ كيلو جرام ويكتب ماتاس كينتزيل أن الرمز الرئيسى للديبلوماسية النووية الألمانية هو مستودع البلوتونيوم فى هاناو" والذى تودع فيه ٢٥٠٠ كيلو جرام بلوتونيوم على الأقل حسب تصريحات الحكومة.

والتاريخ النووى لليابان وألمانيا متشابه الى حد كبير ففى الستينات طالبت قوى سياسية ذات نفوذ كبير فى البلدين بالعمل على الاستحواذ على أسلحة نووية، وفى البلدين ظهرت تحفظات قوية على معاهدة حظر الانتشار ووقفت ضد التصديق عليها. وقد نجح البلدان فى اضعاف الرقابة التى قررتها المعاهدة، كما رفض البلدان خطة ادارة كلينتون بتحريم فصل البلوتونيوم عالميا وبدون استثناءات، ورفضت الدولتان التدخل الأمركى فى سياستهما فيما يخص البلوتونيوم.

يلخص كينزيل قائلا: "من الناحية القانونية ليست اليابان وألمانيا قوى نووية، ولكنهما فى الواقع de factoليستا قوتين غير نوويتين. أنهما كانتان مزدوجى الصفة، هما قو نووية فى كمون".

**وزير ألمانى يحذر من الخيار النووى الألمانى**

أشارت اليسار فى العام الماضى الى التحذير الذى أطلقه فى سبتمبر ١٩٩٤ بوشكا فيشر الوزير الألمانى فى حكومة مقاطعة هيسين آنذاك ورئيس الكتلة البرلمانية لحزب الخضر فى البوندستاغ الألمانى حاليا وقد نشر كتابا يحذر فيه الجيران والألمان أنفسهم من اتجاهات فى ألمانيا تسعى لامتلاك الأسلحة النووية!.

وقد عبر فيشر فى كتابه "ألمانيا كمصدر للخطر، أزمة ومستقبل السياسة الألمانية" عن شكوكه العميقة تجاه ما تسعى الدوائر اليمينية لتحقيقه حسب قوله وهو يوسع اتهامه مصرحا أن هذه الدوائر تسعى لاعادة النظر فى الوحدة الأوروبية وتستهدف السير على طريق قومى مختلف".

وقد سجل فيشر فى كتابه توقعاته لسيناريو محتمل الحدوث تحصل بموجبه ألمانيا على السلاح النووى، مستنتجا ذلك من المنطق الذى يمكن أن تؤدى إليه العمليات العسكرية خارج الحدود من تضخيم لدور الجنرالات واحياء التقاليد والروح العسكرية القديمة، ويصاحب ذلك أن تحصل ألمانيا على مقعد دائم فى مجلس الأمن الدولى الذى لاتجلس فيه حاليا سوى القوى النووية كأعضاء دائمين ويتوقع فيشر أن هذا اليوم سيأتى حيث يبدأ فى ألمانيا النقاش حول *السيادة "الكاملة"* " *وهى تعنى بالضبط* السيادة النووية كما هو الحال فى عالمنا الراهن". وهكذا ستؤدى خطوة إلى أخرى..

**الفهم الألمانى للخيار الأوربى**

أصدرت لجنة الدفاع فى الاتحاد الأوربى الغربى Weu فى مايو ١٩٩٤ تقريرا عن "دور ومستقبل الأسلحة النووية فى أوربا" ويسجل التقرير رأيا خطيرا وهو أن الضمانات الأمريكية حول الأسلحة النووية تفقد مصداقيتها أكثر ويسجل التقرير **أنه فى هذا الإطار لابد أن تحصل ألمانيا على ردع نووى موثوق به .. حتى لاتجد نفسها مضطرة إلى تطوير ردعها النووى الخاص**:

فى "الجمعية الألمانية للسياسة الخارجية" تجتمع المع الخبرات والشخصيات الدبلوماسية الألمانية وهى هيئة مقربة من الحكومة الأستاذان مايزر وهيكيل الخبيران الألمانيان الرئيسيان فى موضوع حظر الانتشار فى الجمعية المذكورة كتبا أن ألمانيا هى الدولة الوحيدة غير المسلحة نوويا القادرة اقتصاديا وتكنولوجيا وصناعيا وعسكريا على بناء ترسانة نووية مكثفة للترسانة البريطانية أو الفرنسية. ولكن تقرير أن تفعل ألمانيا هذا أم لايتوقف حسب الخبيرين المذكورين على موقف بريطانيا وفرنسا وبالتحديد أن كانتا ستتبعان "سياسة مانعة للانتشار" وكيف تكون السياسة مانعة للانتشار؟ فى رأيهما أن كل تنازل عن استخدام الأسلحة النووية أو عن الاستحواذ عليها كأداة للقوة السياسية أو لاحتلال مرتبة متفوقة يعد مانعا للانتشار.

ويصل هذا المنطق لمطالبة القوتين النوويتين الأوروبيتين "**بأوربة وظيفة أسلحتهما النووية** (أى وضعها فى خدمة أوربا) والمطلوب بوضوح أكبر هو أن يضع البريطانيون والفرنسيون أسلحتهم النووية فى هيكل أوربى غربى يخضع لمجموعة تخطيط أوربية تحدد خيارات الاستخدام، وتشكل قمة سياسية قيادية تتخذ القرار. معنى هذا أن تصل ألمانيا لمساواتها بالقوى النووية الأخرى **عبر المشاركة فى التخطيط والقرار** ولكن الطموح الألمانى نحو "المساواة فى الحقوق النووية" لايكتفى بالنظر إلى بريطانيا وفرنسا وحدهما.

ويطلب عميد السياسة النووية الألمانية أوفه نيرش أن تجدد معاهدة حظر الانتشار لمدة خمس سنوات فقط ويطالب كشرط **لتحالف أوربى أطلسى قادر على العمل" أن يتم التوصل إلى أشكال جديدة من التشاور فيما يخص الأسلحة النووية الاستراتيجية عند الولايات المتحدة.**

**ألمانيا بدأت تفصح الآن بوضوح عن طموحها الجديد الذى لم تعد تخفيه العبارات الدبلوماسية. أنها تريد أن تنفتح لها الأبواب على مصراعيها لتحتل مكانها كقوة عظمى اقتصادية وسياسية وأيضا عسكرية، وهى تريد أن تستفيد بالكامل من المظلة النووية للناتو ولكن ليس فقط كمستأجر للحماية النووية بل كمالك متساوى الحقوق والامكانيات، وألمانيا تسعى لمساواتها ليس فقط مع القوتين النوويتين الأوروبيتين بريطانيا وفرنسا بل مع الولايات المتحدة أيضا.**

**ومن المفهوم أن سعى ألمانيا للدخول إلى النادى النووى ليس هدفه تحويله إلى ناد لأنصار نزع السلاح النووى ولا للكفاح ضد المنطق التمييزى الذى لايقيم اعتبارا لحق الشعوب المتساوى فى الأمن.**

---

* صحفى وأستاذ علوم سياسية مستشار الكتلة البرلمانية لحزب الخضر فى البوندستاغ، انظر "أوراق السياسة الألمانية والدولية" عدد ٣ - ٩٥، بون بالألمانية.

اليمين الألمانى الجديد يعتبر ٨مايو ١٩٤٥
يوم الحداد

# الخلاف حول تفسير التاريخ يعكس الصراع حول المستقبل

بعد خمسين سنة من انتهاء الحرب العالمية الثانية لا زال الالمان فى حيرة .. هل كان يوم ٨ مايو ١٩٤٥ يوم تسليم المانيا ونهاية الحرب عيداً ليفرحون به أم هو يوم حداد .. هل كان ذلك التاريخ يوم تحرير لالمانيا أم هو يوم هزيمة .. ها هى صيغة السؤال التى ظل الاعلام الألمانى يطرحها يوميا.. ولكن الطريقة وتفاصيل الطرح هى ذاتها مثيرة للتساؤل .. ويزيد الصورة غموضا أن الاعلام لا يعكس فحسب مشاعر الناس وافكارهم كما يدعى بعض ممثليه بل انه يقوم بصنعها مهما قيل عن تعددية واستقلال الاعلام! وفى مقابل هذه الحيرة شهد العديد من مدن أوروبا منذ بداية العام احتفالات تحريرها من النير الألمانى منذ خمسين عاما واقيمت فى العواصم الاحتفالات بالذكرى الخمسين لانتصار الحلفاء على ألمانيا النازية..

وكالعادة ينهمر سيل نتائج استطلاعات قبل الحدث لكى يعرف الشعب رأيه ، ولكن النتائج تأتى هذه المرة متباينة للغاية بين من يقول أن ثلثى الألمان لا يعرفون ما هو موضوع ٨ مايو وبين من يقول ان ٥٦٪ من الألمان يعتبرون اليوم يوم تحرير و٦٪ يعتبرونه يوم الهزيمة والباقى إما لا يهمهم الأمر أو لا يستطيعون الاستقرار على رأى محدد.

والنقاش الجارى فى ألمانيا هام وخطير .. ولا تنبع خطورته بالدرجة الأولى من أهمية توضيح حقائق التاريخ وادارك الشعب لها بل لان الموقف من الحرب العالمية الثانية ، هو أيضا تحديد لوجهة السياسة فى المستقبل، وهو إما اقرار بالقيم والمبادئ العالمية التى تدين العدوان أيا كان من القائم به ، واتخاذ مواقف تبريرية تلفيقية حسب المصلحة الانانية تصمت ازاء أكبر جرائم القرن العشرين.

## سقوط الرايخ الألمانى

فى الساعة الحادية عشرة ودقيقة واحدة من مساء يوم ٨ مايو ١٩٩٤ فى حى **كارلز هورست** بشرق برلين وقع جنرال **فيلد ماريشال كايتل** مندوب قيادة **الفيرماخت** (القوات المسلحة الألمانية) وثيقة التسليم بدون قيد أو شرط أمام عدد من القادة العسكريين للحلفاء، وابرزهم مارشال **زوكوف** مندوبا عن القيادة العليا للجيش الأحمر، **ومارشال الجو آرثر ف. تيدر** مندوب القائد الأعلى لقوات الحلفاء المسلحة ، وانتهى منذ تلك اللحظة رسميا وجود «الرايخ ذو الألف عام» والذى دام فى الواقع ١٢ سنة .. احد أبشع الأنظمة الديكتاتورية الدموية فى تاريخ البشرية ... الشعب الألمانى لم يحرر نفسه بل حرره الجنود السوفيت والامريكان والبريطانيون والفرنسيون.

وكان كشف الحساب الذى خلفته الحرب مزيجا من الدم والانقاض والدموع:

قتل نحو ٥٥ مليون انسان واصيب أكثر من ٣٥ مليون، الاتحاد السوفيتى وحده فقد أكثر من ٢٠ مليون انسان من المدنيين والعسكريين (يذكر ممثلو روسيا فى الآونة الأخيرة ان الاعلام فى ظروف الحرب لم يذكر الرقم الصحيح لضحايا الاتحاد السوفيتى وهو ٢٧ مليون قتيل) ، وبولندا فقدت ٦ ملايين مواطن، والمانيا التى فجرت الحرب فقدت ٦٫٥ ملايين مواطن غير الملايين من المعاقين ، هذا غير نحو مليون قتيل فى يوغوسلافيا وملايين أخرى فى بقية بلدان أوروبا .. والدمار المادى الذى سببته الحرب أصاب أكثر ما أصاب الاتحاد السوفيتى، وتعليمات واضحة اصدرها هتلر لجنرالات جيشه يوم ٣٠ مارس ١٩٤١ قضت بادارة الحرب ضد الاتحاد السوفيتى وهو العدو الأخطر باعتبارها «حرب إبادة» وهكذا كان اذ دمر الألمان ١٧١٠ مدينة و ٧٠٠٠٠ قرية و ٣١٨٥٠ مصنع ٩٨٠٠٠ مزرعة و٦٥٠٠٠ كيلو متر من خطوط السكك الحديدة.

وحتى عندما اقتربت النهاية بتقدم الجيش الأحمر نحو برلين كان هتلر وخلصاؤه يأملون فى ان تأتى النجدة بأن يتوصلوا لاتفاق مع الغرب ليحاربوا السوفيت معا! الدعاية النازية حاولت ان تخدع الشعب المعذب حتى آخر لحظة بدعوة الاطفال والشيوخ الذين استدعوهم للخدمة العسكرية بالصمود الى حين يحسم «السلاح الاعجوبة» المعركة ، القائد واسمه بالالمانية «درفيرر» هتلر حكم فى النهاية على أمته بحكم اشبه بالاعدام عندما قال : «اذا لم يصمد الشعب الالمانى فى المعركة فلن يستحق الحياة .. ثم انتحر هاربا من المسئولية.»

النظام النازى (الاسم الكامل لحزب هتلر: حزب العمال الاشتراكى القومى الالمانى ومن حروفه الأولى بالالمانية اشتقت كلمة نازى) جلب كارثة كبرى للالمان ايضا وتسبب فى دمار مدنهم وصناعاتهم ودور علمهم وأكثر من هذا تسبب فى أن تحاصر كراهية الشعوب وتوجساتها المانيا.

## الحيرة رغم خمسين سنة على الحرب

ويعتبر بعض المراقبين ان النقاش الجارى يكشف وجود خلل اساسى فى العقل وفى البنية السياسية الالمانية .. ويكاد يكون غير مصدق ان ٥٠ سنة لم تكفى لفهم الماضى والتغلب على مراراته ولكى تصبح النزعة

الانسانية والحقوقية مكونا اساسيا للوعي العام.

ولكن فترة ما بعد الحرب شهدت في الالمانيتين تطورات متباينة فبينما كان نظام المانيا الديمقراطية في الشرق حاسما في مطاردة النازيين لم يمس في الغرب القضاة النازيون الذين حكموا بالسجن وبالاعدام على معارضي النظام الهتلري ، والذين طبقوا القوانين العنصرية والمعادية للسامية وباستثناء نفر قليل ممن حكمت عليهم محكمة نورنبرج والذين صدرت ضدهم أحكام في ايطاليا وفرنسا ( وسرعان ما افرج عنهم قبل انقضاء العقوبة) لم يحاكم الضباط والجنود الذين اجرموا بحق الشعوب الاخرى ، والمذهل من الجانب الآخر هو ان الجنود الألمان الذين رفضوا المشاركة في قتل الرهائن والمدنيين من أبناء الشعوب الأخرى أو رفضوا المشاركة في الحرب العدوانية (وكلها جرائم في نظر القانون الدولي) واضطروا بسبب ذلك للهرب من الجيش الألماني وصدرت ضدهم عقوبات ايام النازية يرفض البرلمان الالماني حتى الآن اعادة اعتبارهم والغاء العقوبات!

والجو السياسي السائد خاصة في غرب المانيا يسمح بان يبسط اليمين القومي التاريخ بقوله: «لقد ضربناهم فضربونا .. قتلنا منهم وقتلوا منا.. بل انهم دمروا بغاراتهم الجوية مدننا بعد ان اصبح جليا ان الحرب قد قاربت الانتهاء .. منطق يصور المسألة كلها كمباراة لعبها طرفان وانتهت ، أو كانها حساب قد تمت تسويته ولم يعد هناك مجال للتمييز بين فعل ورد فعل ، بين غاز مهاجم وبين مدافع عن وطنه .. ولكن الموضوع الغائب بشكل شبه كامل في المناقشة الدائرة على صفحات الصحف وشاشات التليفزيون هو السؤال الجوهري: ماهي أسباب الحرب العالمية الثانية ؟ ماذا ارادت ألمانيا باستيلائها على النمسا وتشيكيا وحربها ضد بولندا وفرنسا وبقية أوروبا الغربية ثم ضد الاتحاد السوفيتي وحملتها في أفريقيا ؟ وكانت خطة باربا روسا وهي الاسم السري لخطة غزو الاتحاد السوفيتي قد حددت الأهداف والوسائل قبل الهجوم على الاتحاد السوفيتي بزمن طويل وهي أهداف الاستيلاء الاستعماري والابادة الجسدية للمثقفين والمسئولين السياسيين والعسكريين.

اليمين الالماني لم يتوقف ابدا عن محاولة تصحيح التاريخ «باعادة كتابته» ، ولكن لم تتح له ظروف ملائمة منذ الهزيمة مثلما تتيح له الظروف الراهنة ، الاتحاد السوفيتي الذي قام بالدور الرئيسي في تحطيم النازية لم يعد موجودا ، وما تبقى عنه لسان حاله «عيد باية حال عدت يا عيد» بسبب الأوضاع الاقتصادية المزرية والحرب الظالمة في الشيشان وفساد القادة، وصور التاريخ التي يروج لها اليمين الالماني تجعل الغازي في وضع المدافع وتضع الضحية في مكان الجاني! وهذا التزوير المفضوح بدغدغ العواطف ويخدع الناس بتبريره لجريمة القرن العشرين الأكبر .. وعند الحاجة يخرج اليمين الالماني من خزانته روسا وبولنديين يدلون بشهاداتهم التاريخية والتي تشبه الاعتذار عن الهزيمة التي ألحقها الجيش الاحمر بالنازية ، وبالطبع تتم بالمناسبة التسوية بين هتلر وستالين وبين الفاشية والشيوعية ،ولا يبقى من أخبار الحرب سوى اغتصاب الجنود السوفيت للالمانيات وسرقتهم للساعات.

## ما هو اليمين الجديد

كتبت در شبيجل (١٧-٤-٩٥) عن المان متعاطفين مع النازية وديمقراطين قاصدة ما يسمون باليمين الجديد وهو تجمع سياسي برز اعلاميا في الفترة الأخيرة وبدأت الصحافة السياسية الالمانية تتابع موقفه.

اليمين الجديد تحالف بين المحافظين من الاحزاب الحاكمة (والذين مهما فعلوا يظلون ديمقراطيين) ومن اليمين القومي المتطرف ويتامى العهد النازي ، وقد وجد هذا التجمع واجهة في شخص الفريد دريجر الرئيس الفخري للكتلة البرلمانية للحزب المسيحي الحاكم في البرلمان الاتحادي (البوندستاغ) وهو يعتبر يوم ٨ مايو ، يوم الاستسلام يوما للخضوع الاجباري ، وقد أصدر عدد كبير من اليمين الجديد بيانا بعنوان ٨ مايو-ضد النسيان نشروه في جريدة فرانكفورتر الجيماينة تسايتونج القريبة من مراكز القرار السياسي واثار البيان زوبعة شديدة ، ويستشهد النداء بشهود مثل تيودور هويس أول رئيس لالمانيا الاتحادية والذي وصف نهاية الحرب بالمفارقة الالمانية لان تحريرنا وسحقنا جرى في آن واحد.

وتعتبر در شبيجل ان مصدري النداء قد نجحوا في تحقيق غرضهم بالضجة التي احدثوها ،ومعظمهم كما تكتب المجلة يعتبرون نهاية الحرب بمثابة كارثة مذلة للالمان.

وقد دافع فولفجانج شويبله رئيس الكتلة البرلمانية للاتحاد المسيحي في البوندستاغ ، وولي عهد المستشار كول كما يكرر الاعلام التأكيد ، دافع عن موقف دريجر ، وتتسع المفارقات الآن ففي نفس الوقت الذي يشارك فيه ممثلو الدولة الالمانية في احتفالات بلدان اوروبا بانتصارها على المانيا النازية يشارك فيه اعضاء بارزون في حزبهم في انشطة ذات مضمون مخالف باعتبار يوم ٨ مايو مناسبة حزن.

وقد خسر اليمين الجديد جولة عندما ادى الاعراض الواسع عن ادعا ءاته لالغاء احتفال اراد فيه الفريد دريجر (٧٤) ان يعلن الحقيقة كاملة عن سياسة الاخضاع الاجباري التي مارسها المنتصرون من على المنبر الذكرى السنوية للهزيمة في مدينة ميونيخ ، وكان دريجر قد القى خطابا أمام اتحاد الجنود الألمان في هايلبرون منذ ٤ بضعة اسابيع طالب فيه جميع الالمان ان يتحدوا ضد طمس الحقيقة الكاملة وان يرفضوا الموقف وحيد الجانب للماسوخيين الالمان ، ويتهم كتاب البيان المذكور اعتبار يوم ٨ مايو تحرير بانه موقف وحيد الجانب.

وتكتب در شبيجل : **لأول مرة يلتقي المحافظون واليمينيون المتطرفون في عمل مشترك،بل ان اسماء بارزة من المسيحيين الديمقراطيين والليبراليين قد توحدوا مع اعداء الدستور في نداء ٨ مايو ، وقد ضمت قائمة الموقعين اسماء نواب لرئيس حزب الجمهوريين (الذي تصفه الحكومة كحزب متطرف ومعاد للدستور)** مع وزير التعاون الدولي في الحكومة الاتحادية كارل ديتر شيرالجر ورئيس نفس الحزب (الحاكم في بافاريا) بيتر جاوفايلر واحد رواد القوى اليمينية فريدريش تسيرمان ، والحرس اليميني في حزب الاحرار برئاسة المدعى العام السابق اليكسندر فون شتال وعدد كبير من اليمين القديم من صفوف الاعلام والعلم والسلك العسكري ويضمنهم كتاب صحيفة يونجه فرايهايت الصحيفة الرئيسية لليمين الجديد.

والمبادر بالبيان تسيتلمان (وهو ماوي سابق) هو الآن عضو في حزب الاحرار في برلين وهدفه هو ان يجذب حزب الاحرار للاتجاه القومي مثل حزب يورج هايدر القومي الالماني في النمسا.

والاسلوب الذي اتبعه التليفزيون الالماني بقنواته المختلفة العامة والخاصة في تناول قضية ذكرى نهاية النازية كان له اثره على انتاج الحيرة اذ ظل التليفزيون ولنحو شهر على تقديم حلقات يومية عن الايام الاخيرة للحرب وخصص جزءا كبيرا منها للغارات

الجوية الانجلو امريكية على ألمانيا ولتقدم القوات الروسية نحو برلين محطمة المقاومة الالمانية المريرة ، وبالطبع دارت الحرب فى ايامها الاخيرة على الاراضى الالمانية والدمار اصاب مدن الالمان وبيوتهم.. وهكذا امكن ان ينشأ لدى مشاهد التليفزيون الانطباع بان بلده كانت ضحية دمرها العدو .. وفى المقابل بثت قنوات محدودة افلام عن تحرير الحلفاء لمعسكرات الاعتقال النازية (البرنامج الفرنسى الالمانى المشترك آرته والمجلة التليفزيونية التى تصدرها در شبيجل فى قناة فوكس) ولا يوجد تناسب فى الحجم الذى توليه البرامج للقضايا المختلفة اذ يكاد يتم كل التركيز على عملية اضطهاد اليهود مقابل اهمال غير متصور للتعرض لجرائم النازية ضد شعوب شرق أوروبا فى روسيا وبولندا وغيرها.

**اين يقف المستشار كول؟**

ترك المستشار الامور وكأنها على هواها كعادته وهكذا فى الديمقراطية الالمانية باحزابها الشعبية -حسب المصطلح الذى يستخدمه السياسيون للاحزاب الكبيرة- لا يحدث ان يتخذ الحاكم موقفا قاطعا من قضية طالما كانت هناك كتل انتخابية مطلوبة اصواتها قد لا يربحها هذا الموقف ، واصبح من مقتضيات لعبة التوازن ان يكون للحزب أكثر من موقف .. والكشف عن هذه المواقف احيانا اشبه بحل الفوازير ، وعندما تجمع كل ما قيل من تصريحات وصدر من بيانات تجد ان موقف الحزب يتسم «بالثنائية» لا بل والثلاثية .. وفن الحكم يستخدم وصفة كل من يسأل يسمع اجابة ترضيه (الا قليلا) وهكذا فى موضوع ٨ مايو -كل زعيم من زعماء حزبه وحكومته يقول ما يشاء .. أحد زعماء حزبه والثالثة فى هرم السلطة رئيسة البوندستاغ السيدة سيسموت تقول ٨ مايو كان يوم تحرير، ووزير خارجيته يؤكد هذا وفى نفس الوقت يوجه نغزة للاتحاد السوفيتى (فيتلقى الصفير واشارات الغضب من آلاف المحتفلين بتحريرهم من المعتقلات النازية وكان السوفييت قد حرروا العدد الأكبر منها) المستشار كول امسك العصى من وسطها فقال على هامش اجتماع انتخابى فى مقاطعة شمال الراين ان يوم ٨ مايو هو يوم تاريخى «يوقظ عند كل انسان ذكريات مختلفة!.

## ٨ مايو وطابور مبيضى الصفحات السوداء.

كتب اريش بيمه وهو من ابرز الصحفيين الالمان فى سيكسيشه تسايتونج (٥ مايو ١٩٩٥) عن نهاية الديكتاوتورية النازية وعن الاكاذيب التاريخية الرائجة:

«ثلثا الألمان لا يعرفون ما يعنيه يوم ٨ مايو بالنسبة لهم. تسليم المانيا بدون قيد او شرط قبل ٥٠ سنة ذهب مع الريح وطواه النسيان ،لقد غرق وحجبته الرفاهية او امل الرفاهية القادمة ، غرق وحجبه الفقر الشديد او الخوف من فقر جديد» .

ويذكر الكاتب بان رئيسين المانيين عبرا عن فهمهما للمغزى التاريخى لهزيمة المانيا فى الحرب العالمية الثانية الأول هو تيودور هويس بتصريحه الذى استشهد به كتاب بيان اليمين الجديد ، وكان هويس عضوا فى الرايخستاج وصوت مع اعطاء هتلر سلطات استثنائية عام ١٩٣٣ والتى قمع بها هتلر الشعب الالمانى ثم بقية اوروبا ، الرئيس الثانى هو ريتشارد فون فايتسيكر، وهو رئيس يعرف المشاعر التى عبر عنها هويس ، بل وشارك فى شبابه كمحام فى الدفاع عن والده الذى حوكم كمجرم حرب فى محكمة نورنبرج ، فايتسيكر الذى يحظى باحترام شديد فى ألمانيا وفى بلدان أوروبا قال عام ١٩٨٥ بين احتجاجات القوى القومية إنه يوم التحرير وفايتسيكر كان احرص من غيره على كسب مصداقية لالمانيا فى أوروبا خصوصا وفى العالم عموما فيما يخص موقف الالمان من الحرب، وطبعا لا يوجد من يقبل ان يبدأ الألمان الآن بعد خمسين سنة فتح النقاش حول .. من الذي ارتكب جرما أكبر؟ .. من سبب للآخر آلاماً أكثر؟ .. الحلفاء أم المانيا . بما يجر ايضا للمغالطة فيمن بدا بالخناقة»..

منذ بضع سنوات جرت نقاشات طويلة حول تقييم الحرب وفهمها فى اطار ما يسمى حوار المؤرخين وفيه تبنى المؤرخون المتعاطفون مع الماضى ان الابادة الجماعية التى ارتكبها الالمان فى الحرب ليست عملا فريدا فى العالم بحيث لا يجوز ان يقارن به اي حدث آخر ، بل انها كانت الرد المنطقى لبشاعة ستالين ، ولذا فانها قضية نسبية وتدخل فى المجرى العام للتاريخ ، ويكتب اريش بيمه بعد استعادة وحدة المانيا -اطلت الذكرى الخمسون للكارثة الالمانية- فهجم الصف الثانى من الذين كانوا قد اشعلوا النار بالأمس ، عن وعى او من غير وعى ويذكر ان واحداً من هؤلاء استنتج ان اهداف الحرب التى صاغها الحلفاء كانت تضم مصطلحات مثل الانتقام والتغلب والابادة والنصر ولكن لم يكن من بينها ابدا كلمة تحرير فيما يخص المانيا ، ولهذا لا يجوز للالمان ان يحسوا بانهم قد حرروا! ويكتب هذا المفسر ان الرايخ الثالث سقط وجذب المانيا معه الى الاعماق اذن الكلمة الصحيحة هى «الهزيمة».

## مراجعة التاريخ واستراتيجيات المستقبل

هذا الصراع ينفجر فى وقت لم يعد فيه الاتحاد السوفيتى موجودا .. اذن ضد من هو موجه بالضبط او ضد من فى الاساس؟

لا يمكن أن تخطئ العين انه موجه بدرجة غير قليلة للحلفاء الغربيين وربما بالاساس اليهم ، ولعل اليمين القومى الالمانى يتشوق ، مستندا الى تفوق المانيا الاقتصادى فى أوروبا ، ان يقول لهم ها نحن بعد ٥٠ سنة من الحرب من المنتصر ومن المهزوم؟ والمانيا قد انجزت بالفعل تطورا مذهلا بعد النهوض من انقاض الحرب العالمية الثانية ، وقد ساعدها الدعم الأمريكى الهام وتركيزها على التنمية الاقتصادية والتطوير التكنولوجى ، وقدتحقق هذا التقدم فى ظل قيود ارتضتها المانيا على دور العسكرية الالمانية ودور المانيا السياسى العالمى عموما ، والسؤال الآن هو هل: يريد اليمين القومى الالمانى استعادة امجاد ومكانة المانيا السابقة ووضعها كمنافس كامل العدة والعتاد فى الساحة العالمية بكل ما تعنيه المنافسة او المزاحمة فى عالم تجرى عملية اقتسامه بسرعة وحسم؟.

هجمة اليمين ذكرت مكررا هذه الأيام بما قاله شاعر المانيا العظيم برتولت بريشت عن آلة الحرب الالمانية التى اشعلت نار حربين عالميتين ، وعن هذه الأفعى قال: «هذا الحجر لا زال خصبا .. الذى زحفت خارجة منه».. ويعتبر بعض المعلقين ان من التهاون ان يظن احد ان ما كان لا يمكن ان يعود .. وها هو التاريخ قد بين انه مفتوح لكل الاحتمالات..

الذى يقول هزيمة وحداد ويتوقف عند هذا الحد دون ان يدين الحرب العدوانية ويتعاطف مع ضحاياها -ايضا الان بعد خمسين سنة- لا يعترف بحق الشعوب الاخرى فى الحياة الحرة، ويقف مع الجناة وليس مع الضحايا ، بل انه يبرر جريمة الهتلرية بشكل أو بآخر .. ونداء ضد النسيان يعد نقلة سياسية جديدة نحو مراجعة التاريخ- ومراجعة التاريخ تأتى دائما تمهيدا لاستراتيجيات جديدة للمستقبل..

رغم ٥٦ مليون قتيل فى الحرب العالمية الثانية يرفع اليمين القومى الالمانى رأسه ليبض صفحات التاريخ السوداء، كما كتب الصحفى اريش بيمه الذى استشهدنا به.

**نبيل يعقوب**



# السلطة الوطنية والللحظات الحرجة فى جنوب أفريقيا

د. ليلى عبد الوهاب

## رسالة بريتوريا

الأحلام الكبيرة والمبادئ النبيلة التى عشنا نناضل من أجلها سنوات طويلة فى فترات المد الثورى وفترات صعود وتنامى حركات التحرر الوطنى فى منطقتنا العربية وفى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية انتهى الحال بمعظمها الى واقع مرير مهزوم ضاربا الحائط بكل القيم والمفاهيم والشعارات التى قادت حركات التحرر فى الخمسينات والستينات من حرية واشتراكية وعدالة اجتماعية ومساواة، تم استبدالها بمقولة ميكيافيلية ترى أن تقنع بالممكن خيرا من طلب المستحيل.

والممكن هو بالطبع ما تفرضه الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها فى إطار يسمى بالنظام العالمى الجديد على شعوب العالم الثالث من حلول وهمية لمشاكلها وصراعاتها، احيانا بغرض استئناس حركات التحرر، وأحيانا أخرى بغرض الفرقة والانقسام بينها، ومن ثم أصبح الحديث عن الحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية والوحدة هو من قبيل المستحيل الذى يتهم اصحابه بانهم واهمون أو على احسن تقدير حالمون.

قصدت من المقدمة السابقة أن أمهد للحديث عما شاهدته وخرجت به من انطباعات خلال زيارتى لدولة جنوب افريقيا. فقضية الصراع العربى الصهيونى فى فلسطين وقضية الصراع العنصرى فى جنوب افريقيا كانتا على قمة أولويات نضالنا التحررى طيلة العقود الأربعة الماضية. واذا كانت قضية الصراع العربى الصهيونى قد سارت فى طريق الحل الجزئى المنفرد من خلال اتفاق كامب ديفيد ثم اتفاق غزة-أريحا أولا، فان المفاوضات التى جرت بين حزب المؤتمر الأفريقى A.N.C، والحزب الوطنى الممثل للأقلية البيضاء، والتى انتهت بتسليم السلطة الوطنية إلى الأغلبية السوداء ممثلة فى حكومة ائتلافية انتقالية بزعامة نيلسون مانديلا، كانت بدون شك موضع اهتمام وترحيب عالمى ولكنها فى الوقت ذاته كانت تشوبها كثيرا من علامات الاستفهام حاولت من خلال زيارتى كشف النقاب عن بعضها.

لقد ذهبت إلى مدينة بريتوريا بجنوب أفريقيا فى الفترة من ٦ إلى ١٦ أبريل بدعوة من منظمة المرأة الافريقية للبحوث والتنمية AAWORD التى أتمتع بعضويتها منذ عام ١٩٨٠، وذلك لحضور ندوة حول «المرأة الأفريقية والتطور الديمقراطى»، وكذلك للمشاركة فى جمعيتها العمومية التى انعقدت عقب انتهاء الندوة لانتخاب اعضاء جدد للجنتها التنفيذية. ومنظمة المرأة الأفريقية للبحوث والتنمية منظمة اقليمية تأسست عام ١٩٧٦ ومقرها داكار بالسنغال، وهى تهتم فى المقام الأول بعمل البحوث والدراسات والندوات العلمية حول قضايا المرأة الأفريقية فى مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاعلامية.

اما أن الندوة فقد كانت بالفعل تجمعاً أفريقياً كبيراً لباحثات يمثلن حوالى ثلاثين دولة أفريقية هى «كينيا وتنزانيا والكاميرون، ونيجيريا، وغانا، وغينيا، ومصر، وتونس وساحل العاج، وموروشيوسى، وجنوب أفريقيا، و أوغندا، والنيجر، والسنغال، ومالى، وزامبيا وسيراليون، وزيمبابوى، وناميبيا، وموزمبيق وبوركينافاسو، وبينين، والكونغو، وسويزلاند، ومدغشقر، والجابون، وليسوتو، وبتسوانا».

وقد نوقش خلال أربعة أيام كاملة فى مركز المؤتمرات الذى يبعد عن وسط مدينة بريتوريا بعشرين كيلو مترا أكثر من خمسين بحثا غطت محاور موضوع المرأة والديمقراطية من جوانبه المختلفة بدءاً بمفهوم الديمقراطية مروراً بالدساتير المختلفة وما تحتويه من تمييز ضد المرأة فى مجالات العمل والأسرة والمشاركة السياسية، كذلك الفجوة القائمة بين الدساتير كنصوص والواقع الاجتماعى والسياسى.

كما ناقشت الندوة أيضا محوراً هاماً حول مبادئ وضمانات الديمقراطية للمرأة الأفريقية خاصة فيما يتعلق باستبعادها من مواقع اتخاذ القرار وسيطرة النظام الأبوى، كذلك دور الجماعات النسائية فى منظمات المجتمع المدنى وأثر ذلك على تفعيل دور المرأة فى العملية الديمقراطية.

وفى محور ثالث ناقشت الندوة دور الثقافة الديمقراطية على التطور الاجتماعى والسياسى للمرأة، كما خصصت الندوة محوراً آخر لمناقشة تأثير

مكانة المرأة الاقتصادية على العملية الديمقراطية فى المجتمعات الأفريقية . وأخيرا كان لمحور العنف ضد المرأة والعملية الديمقراطية مجال كبير فى الأوراق البحثية والمناقشات التى دارت فى جلسات الندوة ، وهو المحور الذى قدمت فيه الكاتبة بحثا حول تأثير العنف البنيوى والعنف الأسرى على الدور الديمقراطى وقد انتهت الندوة بأصدار بيانين أحدهما يتناول تأثير الصراعات العرقية والدينية على المرأة الأفريقية وضرورة توفير الحماية الاجتماعية والسياسية من قبل الدول والحكومات للنساء اللاتى يتعرضن لانتهاكات فى ظل هذه النزاعات. كما أصدرت الندوة بيانا آخر حول سياسات التكيف الهيكلى المتبعة فى كثير من الدول الأفريقية وتأثيرها على المرأة ومطالبة الحكومات باتخاذ التدابير والضمانات اللازمة لحماية المرأة من الآثار السلبية لهذه السياسات.

وكانت الندوة فرصة لمتابعة الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى جنوب أفريقيا .حاولت خلال الزيارة التعرف على بعض ملامحه خلال عدة مصادر منها بعض الأوراق البحثية التى قدمت، واللقاءات التى اجريت مع العديد من النساء اللاتى شاركن فى الندوة، كذلك من خلال الحوارات المحدودة التى أتيحت لنا خلال فترة الاقامة بمدينة بريتوريا ، ومدينة جوها نسبرج ، ومدينة سويتووأخيرا من خلال متابعة بعض برامج التليفزيون.

وأبسط ما يمكن استخلاصه عن الوضع الاجتماعى والاقتصادى والسياسى هناك، انه يمتلئ بالعديد من التناقضات الحادة التى تهدد بانفجار الموقف فى أى لحظة فالتغيرات التى حدثت هى تغيرات فوقية لم تتجاوزها لتصل إلى عمق التناقضات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الحادة المتمثلة فى الفقر الشديد للغالبية السوداء والبطالة التى تصل إلى أكثر من ٥٠٪ والجريمة، العنيفة التى تفشت بدرجة مخيفة والتى تجعل من الصعوبة بمكان أن تتجول منفرداً فى وضح النهار، فهناك خطر يحذرونك منه بمجرد وصولك خاصة بالنسبة للنساء مع ارتفاع معدلات الاغتصاب وذكرت احدى الباحثات فى ورقتها ان هناك حوالى الف امرأة تغتصب يوميا، هذا بالاضافة إلى زيادة جرائم السرقة والنشل بشكل كبير . وقد ادركت ان الشعور بالأمان الاجتماعى مسألة هامة للانسان وانه عندما يسلب منه هذا



الشعور يجد نفسه محدد اقامته اجتماعيا ، وهى مسألة لا تقل خطورة عن المحدد اقامته سياسيا بل قد تتجاوزها.

ان حكومة الأغلبية بزعامة المناضل مانديلا تطالب الشعب بالصبر واعطائها الفرصة لعلاج ما خلفه النظام العنصرى من مشاكل وأزمات .

والمرء لابد ان يشعر بالقلق أمام حجم المشكلات والتناقضات القائمة وعدم قدرة الغالبية السوداء على مزيد من الانتظار فقد فاض بها الكيل كما يقولون ، كما ادى القهر والحرمان الطويل فى ظل الحكم العنصرى إلى توحش الشخصية بشكل يهدد بانقلابها على نفسها خاصة عندما تتمفصل الصراعات العنصرية مع الصراعات الطبقية والثقافية والعرقية هذا ما جعلنى أفهم ما كان يستعصى على فهمه قبل الذهاب إلى جنوب أفريقيا عندما قررت حكومة الأقلية البيضاء بزعامة دكليرك تسليم السلطة بطريق سلمى إلى الأغلبية السوداء بزعامة مانديلا ، فيما يمكن ان نسميه باللحظات الحرجة التى يوشك فيها الوضع على الانفجار ، وعنده يكون الفشل والعجز وعدم القدرة على تسيير أمور البلاد من نصيب الحكومات الوطنية ، كما يتحول فيها الرفاق إلى فرقاء والشعوب إلى جماعات متصارعة .

وللعلم فان العديد من رجال المال والاقتصاد البيض يهاجرون بأموالهم وثرواتهم خارج البلاد تجنباً لهذه اللحظة.

ومع كل الشعور بالمرارة الذى ملأنى جلست فى غرفتى بالفندق أشاهد التليفزيون واتابع بعض برامجه في فترات الراحة وهى الوسيلة الوحيدة المتاحة لملء وقت الفراغ هناك . فاذا ببرنامج على القناة الأولى يستضيف سكرتير الحزب الشيوعى SACP ويدعى شارلز نكاكولا يسألونه عن رأيه وبرنامج الحزب فى القضايا المختلفة والمشاكل التى تعانى منها البلاد. وبعد استطراد فى تحليل شامل لمختلف الأوضاع والأزمات يقرر انه لا أمل فى حل التناقضات والمشكلات القائمة إلا فى الاشتراكية وان التحالف القائم بين حزبه وحزب المؤتمر هو تحالف يسعى الى تعضيد سلطة الأغلبية السوداء فى ظل المرحلة الانتقالية الحالية هكذا عندما تتعقد الأمور وتشتد الأزمة وتحتد التناقضات يصبح الحل الاشتراكى هو الأمل الوحيد المفقود.

بقيت نقطة واحدة أخيرة جديرة بالاشارة تخص وينى مانديلا زوجة زعيم حزب المؤتمر الوطنى هذه المرأة التى شدت اهتمام العالم كله وتصدر اسمها لسنوات الكثير من عناوين الصحف والمقالات ، تارة باعتبارها زعيمة قادت النضال ضد الحكم العنصرى طيلة ٢٧ عاما وهى فترة سجن زوجها مانديلا فى سجون جنوب أفريقيا ، وتارة أخرى يتصدر الأسم نشرات الأخبار وعناوين الصحف والمجلات باعتبارها انسانة مفسدة ومستغلة للنفوذ وأنها متهمة بالعديد من قضايا الفساد، وبرغم غموض الحقيقة والتعتيم عليها فان شعبية وينى بين النساء الأفريقيات جعلتهن يصررن على مقابلتها، وفى رحلة إلى مدينة سويتو ويقطنها حوالى ٤ ملايين من السود وتبعد حوالى عشرين كيلو متراً عن جوهانسبرج توقفنا أمام منزل تقيم فيه له بوابات حديدية وطلبنا اللقاء ، وبعد فترة من الانتظار لم يجب لمطلبنا وشعرنا انها غير مسموح لها بلقاء احد خاصة


البيت الابيض
وفي هذه اللحظات الحرجه بالذات
يقدم لكم
خلدون غرايبة

# الاقتصاديات العربية وكابوس العولمة

د.حكيم بن حموده

أشرنا فى مقالاتنا السابقة فى مجلة اليسار عديداً من المرات إلى واقع العولمة وانعكاساته السلبية على الاقتصاديات الوطنية وعلى المؤسسات الاقتصادية، لكن إلى الآن لم نحدد محتوى العولمة ولم نقم بتعريف هذا المفهوم بطريقة دقيقة، لذلك ولتسهيل متابعة مقالاتنا فى هذا الباب المخصص للاقتصاد العالمى قررنا الحديث فى هذا المقال عن العولمة وخاصة التركيز على قدرة الاقتصاديات العربية على الالتحاق بركبها.

يشير مفهوم العولمة عند الاقتصاديين إلى التغيير الذى شمل الاقتصاد العالمى منذ عشرين سنة والذى انتقل بموجبه مجال الديناميكية الاقتصادية من المجال الوطنى إلى المجال العالمى، أى أن مجال الإنتاج للمؤسسات الاقتصادية الرأسمالية وأفق التجارة والمال لم يعد يقتصر على المجال الوطنى بل تجاوزه إلى المجال العالمى، وجاءت جل المؤسسات الاقتصادية تضبط استراتيجياتها على مستوى عالمى ولاتقتصر بالتالى على الأسواق الوطنية.

ويشكل هذا التغيير نقلة نوعية فى تاريخ الاقتصاد العالمى الذى كان يعتمد منذ الحرب العالمية الثانية على الأوطان (Nation) كمجال رئيسى للعملية الاقتصادية.

ومن هنا فإن العلاقات الاقتصادية العالمية كانت أساسا علاقات بين دول مستقلة وقد وضعت الدول مؤسسات وهياكل على المستوى الوطنى لضبط العملية الاقتصادية وترشيدها. وفى هذا الإطار نجد فى البلدان الرأسمالية المتقدمة الدولة "الكينزية" التى تلعب دورا كبيرا إلى جانب السوق فى دفع عملية التراكم وخلق الظروف الملائمة لتطورها، ولعل أهم ميزة للدولة" الكنزية" هى التأكيد على ضرورة وأهمية الحوار بين النقابات العمالية ونقابات الأعراف ورؤوس الأموال وتجسيد هذا الحوار فى اتفاقات اجتماعية تهم أساسا الأجور، وقد نجحت هذه الاتفاقات فى ربط نمو الأجور بنمو الانتاجية مما ساعد على تكوين أسواق داخلية هامة وتطوير الاستهلاك الشعبى.

ويعتبر هذا التطور نقلة هامة فى كيفية تعاطى رؤوس الأموال مع الأجر الذى لم يعد تكلفة إنتاج فحسب بل صار مفتاح وركيزة السوق الداخلية. وهكذا اقتنع أصحاب رؤوس الأموال بأن نمو الأجر يمكن أن يشكل دافعا للاقتصاد الرأسمالى إذا اقترن بنمو مماثل للإنتاجية.

أما فى بلدان العالم الثالث فقد تميزت فترة مابعد الحرب العالمية الثانية بتطبيق مايسميه د. سمير أمين بمشروع " باندونغ" للتحديث الوطنى، وقد تميز هذا المشروع بالدور الرئيسى الذى لعبته الدولة فى تحديث الهياكل الاقتصادية التقليدية ومحاولتها من خلال التصنيع بعث وبناء اقتصاد وطنى مستقل ومتكامل، أما المشروع الثالث الذى ميز هذه الفترة الوطنية فى الاقتصاد العالمى فهو مشروع الدولة السوفياتية التى شكلت نموذج البناء الوطنى فى دول المعسكر الاشتراكى سابقا، وقد تميز هذا المشروع بدور التخطيط المركزى فى ضبط العملية الاقتصادية وتأميم كل الأنشطة الاقتصادية.

إلا أن مشروع الدولة الوطنية دخل منذ نهاية الستينات وبداية السبعينات فى أزمة حادة. ففى البلاد الرأسمالية المتقدمة شهدت المؤسسات الاقتصادية نموا كبيرا وأصبحت لاتكتفى بالاقتصاد الوطنى كمجال وحيد لنشاطها - ومن هنا ركزت خطابها ودعايتها الأيديولوجية على الليبرالية التى ترمى من ورائها إلى تقليص دور الدولة الوطنية وتمكينها بتسهيلات لتطوير نشاطها على المستوى العالمى.

أما فى بلدان الجنوب فقد فشل المشروع الوطنى فى تحديث الاقتصاديات وبناء مجتمعات نامية ومستقلة، وبدأت بلدان المعسكر الاشتراكى تشهد تآكل النموذج السوفياتى نتيجة فشل التخطيط المركزى فى تلبية حاجيات شعوبها، وصارت طوابير

الانتظار الصورة المميزة لهذه الاقتصاديات فى العالم . وبالمقابل أصبح المجتمع الاستهلاكى الرأسمالى النموذج المفضل لشعوب المعسكر الاشتراكى.

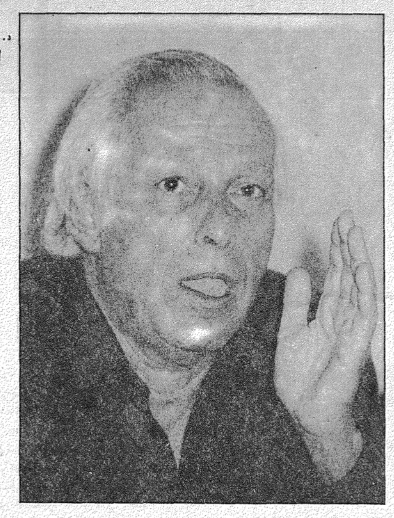
إذن فى ظل أزمة الدولة الوطنية صارت العولمة المجال الرئيسى للنشاط الاقتصادى . وفى هذا الإطار شهد الاستثمار الخارجى نمواً كبيراً فى السنوات الأخيرة، بلغ معدله حوالى ٢٤٪ سنويا فى الفترة الممتدة بين ١٩٨٦و ١٩٩٥. ولم تقتصر العولمة على الرأسمال الصناعى بل شملت كذلك الرأسمال العالمى مما أدى إلى تسارع وتيرة السيولة النقدية العالمية.

وقد أصبح فى الوضع الحالى شعار " **الالتحاق بركب العولمة**" جوهر السياسات الاقتصادية الوطنية . ففى البلدان المتقدمة عملت الحكومات المتتالية سواء أكانت يمينية أو اشتراكية على الحد من الضوابط والقيود على تطوير العولمة . أما فيما يخص بلدان العالم الثالث فإن تطبيق برامج التعديل الهيكلى يرمى فى نهاية التحليل إلى إلحاق هذه البلدان بركب العولمة ، فمن خلال فتح الأسواق الداخلية نحو البضائع الأجنبية والاستثمار الخارجى وتقليص دور الدولة فى التنمية فإن هذه السياسات تسعى إلى القطع مع نموذج الدولة الوطنية فى التنمية وتقديم العولمة والانخراط فى الاقتصاد العالمى كبديل لمشروع الدولة الوطنية .

ولكن التساؤل الذى يطرح نفسه هنا هو: قدرة كل البلدان وبصفة خاصة بلدان العالم الثالث والبلدان العربية على الانخراط بصفة متساوية فى الاقتصاد العالمى؟.

ومن هنا تبرز فى رأينا أخطار العولمة فى أنها لاتمكن كل الأقطار والبلدان من نفس خطوط النجاح والتنمية ، فالبلدان الرأسمالية المتقدمة تضع إمكاناتها الضخمة لتتمكن من تحقيق أحسن المراتب وأوفر الحظوظ، بينما يكون التهميش مصير بلدان العالم الثالث نظرا لضعف إمكانياتها الوطنية.

إن دراسة اتجاهات الاستثمار الخارجى على المستوى العالمى يؤكد لنا هذه النتائج ، فقد انخفض معدل الاستثمار الخارجى المتجه سنويا إلى بلدان العالم الثالث من ٢٦٪ فى بداية الثمانينات إلى ١٧٪ من المجموع فى بداية العشرية الحالية . أما حصة بلدان العالم الثالث فى مجموع الاستثمار الخارجى العام فقد انخفضت كذلك فى نفس الفترة من ٢٢٪ إلى ١٩٪ . ولم ينج العالم العربى من تدنى الاستثمار الخارجى ، فالبلدان التى لعبت ورقة الإنخراط فى الاقتصاد العالمى كمصر وتونس



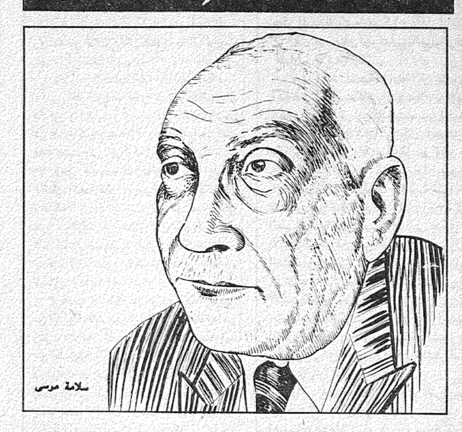
د. سمير أمين

الإنخراط فى الاقتصاد العالمى كمصر وتونس والمغرب شهدت انخفاضا كبيرا فى سيولة الاستثمار الخارجى ، ففى مصر شهد الاستثمار الخارجى تراجعا هاما من مليار و٢٥٠ مليون دولار سنة ١٩٨٩ إلى ٢٥٣ مليون سنة ١٩٩١ . أما فى تونس فقد تراجع كذلك معدل الاستثمار الخارجى من ١٨٤ مليون دولار سنويا بين ١٩٨١ - ١٩٨٦ إلى ٧٥مليون دولار سنة ١٩٩٠ . أما فى المغرب فإن كان قد شهد الاستثمار الخارجى بعض النمو بعد التراجع الرهيب الذى شهده فى العشرية الفائتة فإنه لم يتجاوز ٢٠٠ مليون دولار سنويا.

نفس التراجع شهده الاستثمار الخارجى فى بلدان الخليج المصدرة للنفط . فنهاية حرب الخليج لم تدفع المستثمرين الأجانب إلى التكثيف من عملياتهم فى هذه المنطقة بالرغم من كل التشجيعات التى منحتها لهم أنظمة الخليج.

هكذا إذن نرى أنه إلى جانب أخطار العولمة وانعكاساتها السلبية على الاقتصاديات الوطنية - كما نبهتنا إلى ذلك الأزمة المكسيكية الأخيرة - فإن إمكانات الإنخراط فى دورة العولمة ليست بالسهلة . فتجربة بعض الاقتصاديات العربية كالبلدان المصدرة للنفط ومصر وتونس والمغرب بينت بما فيه الكفاية أن الليبرالية المفرطة وتحرير الأسواق وتقليص دور الدولة ليست كافية لتشجيع الاستثمار الأجنبى وتعجيل انخراط هذه البلدان فى الاقتصاد العالمى ، بل بالعكس فتجربة بلدان شرق أسيا ( كوريا الجنوبية ، تايوان...) تؤكد أن شرط الانخراض فى العولمة لا يكمن فى مزيد من الليبرالية بل بالعكس يتطلب بناء اقتصاد وطنى متكامل وقادر على مجابهة المنافسة الأجنبية بصفة فعالة.

فى نهاية هذا التقديم نعود لنؤكد من جديد على ضرورة إعادة النظر فى الوطن العربى بصفة جدية فى واقع العولمة وسياسات التعديل الهيكلى التى تزعم تهيئة الظروف الملائمة لانخراط البلدان العربية فى حركتها . هذا التقييم ضرورى ويشكل نقطة انطلاق لبناء اقتصاديات وطنية متكاملة وذات قدرة تنافسية تمكنها من مواجهة أخطار العولمة فى ظل تكامل اقتصادى عربى.




# سلامة موسى:
## أول الموسوعيين
## آخر الموسوعيين

الاسم : سلامة موسى

العفى

المهنة: مثقف

تاريخ الميلاد: ١٨٨٧

تاريخ الوفاة : ١٩٥٨

د.رفعت السعيد

وبقدر ماطالعت لسلامة موسى وعنه لم أزل متحيرا إزاء هذا اللغز ، هذا الفتى المسيحى المتفجر حيوية ، ابن الأسرة الميسورة التى تمتلك أرضا وجاها ومنصبا رفيعا احتله أبوه " رئيس تحريرات مديرية الشرقية " .. فهذا الفتى المنطلق سعيا وراء المعرفة يتعثر دوما فى دراسته .. لم يحصل على الابتدائية إلا فى ١٩٠٣ أى فى سن السادسة عشرة من عمره .. ومن ثم انطلق إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة التوفيقية الثانوية ثم الخديوية الثانوية .. لكنه ينحى كتبه المدرسية جانبا . ،وربما يترفع عليها ، وينغمس فى قراءات نهمة .. متعددة المصادر ، موسوعية التوجه.

يقرأ كتابات رفاعة الطهطاوى ، وفتاوى الإمام محمد عبده ، وهرطقات شبلى شميل ، ودراسات فرح أنطون ، وتجليات أحمد لطفى السيد .. ويدهش اذ ينغمس بكليته فى التهام مترجمات تتراكم سريعا على صفحات" الجامعة" و" المقتطف" و" الهلال" .. الخ .

يستند الفتى إلى ميراثه عن أبيه ( الذى توفى سريعا تاركا إياه فى الثانية من عمره) عديد من الأفدنة قرب الزقازيق يسميها الناس ويسميها هو" عزبة" كانت تدر عليه إيرادا شهريا قرابة الثلاثين جنيها .. وهو مبلغ كبير بمعايير هذا الزمان يكفيه كى يعيش مستريحا وكى يشترى كل مايريد من كتب ومجلات .. بل ويكفيه كى يركل تلك الدراسة المدرسية التى لم تشف غليله أبداً .. ويرحل إلى باريس عام ١٩٠٧.

وهناك تمترست فى أعماقه قيم الحرية والديمقراطية وحقوق المرأة والمساواة والاستنارة ، وهناك عايش الفعل السياسى الملتهب وطالع بانبهار لم يخفه فى كتاباته جريدة " الإومانيتيه" ( الاشتراكية آنذاك والشيوعية فيما بعد) وتلمس على صفحاتها أولى أحرفه الهجائية فى أبجدية الاشتراكية .. ويضاف إلى متاريسه الفكرية متراس جديد " العدل الاجتماعى والاشتراكية " ويدهش الفتى وهو يطالع فى باريس التى عشقها كتبا ودراسات عن مصر القديمة ، ويدهشه أكثر أنه – وهو المصرى – وأن أبناء شعبه – وهم المصريون – لم يدركوا قيمة حضارتهم القديمة .. ولاميراث آبائهم الفراعنة .. فيعود إلى مصر منطلقا مباشرة إلى الصعيد ليمضى شهرين متأملا فى آثار الفراعنة .. وهناك يضاف إلى هجائيته متراس جديد .. الفرعونية ، والعشق الأصيل للوطن المصرى والحضارة المصرية.

.. ولم يزل عشق الثقافة والمعرفة يعصف بالفتى فيقتاده مره أخرى إلى الترحال .. هذه المرة إلى لندن يمنى النفس بدراسة أكاديمية وشهادة مدرسية . ويلتحق بالفعل بكلية الحقوق .. لكنه لم يلبث أن يتناسى هذه الدراسة منغمسا من جديد فى مطالعات لاتنتهى .. وهكذا يمتلك سلامة موسى أدوات التعرف الموسوعى .. إجادة تامة للفرنسية والانجليزية .. ورغبة عارمة فى القراءة المتعددة الجوانب . وانهار من الكتب والدراسات.

لكن التناقض المتعدد الجوانب يعصف به . هذه الحرية المتعددة الجوانب التى تغلف أوربا والفكر الأوربى - والتى ظل دوما معتقدا أنها معيار تقدمه وازدهاره - وذلك الجمود الذى يخيم على كاهل مصر . ثم هذه "العزبة" التى يمتلكها ومشاعر الاشتراكية التى أخذت سبيلها للإقامة فى داخله ، ثم قبل هذا وذاك شغف هؤلاء الأوربيين بالحديث عن حريتهم ، بينما هم يستعمرون وطنه .. منتهكين حريته.

وبحثا عن حلول لهذه المتناقضات بدأ **سلامة موسى** أولى خطوات رحلة "العمل".. كل ماسبق كان استمتاعاً فكريا . والخطوة التالية هى أن يستقيم الفكر ناهضا وقادراً على الصراع دفاعا عما يعتقد.

وينضم سلامة موسى إلى جمعيتين فى لندن " **جماعة العقليين** " و" **الجمعية الفابية** " .. وفى الجماعة الأولى تعرف على **نظرية داروين وأفكار سبنسر** ، أما فى الجمعية الفابية فقد تعرف على الفكر الاشتراكى وإن بنزعة إصلاحية فابية وتعرف على شخصية أثرت فيه كثيرا وأعجب بها كثيرا " **برنارد شو** " وانعقدت بينهما صداقة دامت طويلا وكان أهم ماقربه من شو .. هو انتقاد شو لمذبحة دنشواى وتنديده بها.

الآن تجهز الرجل .. علما واسعا ، ومعرفة متعددة الجوانب ، ويبدأ المعركة ، وهى معركة متعددة الاتجاهات متشعبة وأحيانا متناقضة ، فالرجل قرأ كثيرا وتأثر بالكثيرين : **برنارد شو . سبنسر . نيتشه ، تولستوى ، غاندى ، أوين ، أبسن** .. وحتى **كرويتكين** تأثر به وترجم له " **نداء إلى الشباب**" .

لكن سلامة موسى يبدأ معركته عام ١٩١٠ بكتاب غريب " **مقدمة السوبرمان**" ردد فيه بالأساس أفكار **نيتشه** ذات الصبغة العنصرية ، فهو ينصح المصريين بالزواج من غير المصريات حتى يحسنوا النسل المصرى ، وهو يؤيد سيادة الأبيض على الزنجى فالزنجى كان منذ مائة عام فقط يأكل الإنسان ، ومن المستحيل أن تكون مشاعره كمشاعرنا مهما طلى نفسه بأداب السلوك".

لكنه حتى فى هذا الكتيب المرتبك يتحدث عن **الاشتراكية** .." ومما يساعد رقى الأمة أن نجعل ناموس تنازع البقاء يجرى بلا إجحاف بين الناس ، ولايكون ذلك إلا إذا استوت أمامهم الفرص المعيشية بحيث لايمتاز أحدهم عن الآخر إلا بكفايته الذهنية أو الجسمية فيجب أن يتساوى الناس فى فرصة الإثراء .. وذلك باصطناع نظام اشتراكى أو شبيه بالاشتراكى حتى لايولد واحد غنى وآخر فقير ، وقد يكون الغنى أحط ذهنا وجسماً من الفقير ولكن امتيازه بالمال الموروث يعينه" ( مقدمة السوبرمان - ط٣ - ص ٦)

وفى هذا الكتاب يبدأ أول مصادماته :" والدين إذا خرج من دائرة علاقة الإنسان بالكون وأخذ يقرر أصول المعاملة بين الناس من تجارة وزواج وامتلاك وحكومة ونحو ذلك فإنه عندئذ يقرر الموت لكل من يؤمن به" .

**وهو يتمسك بالدين .. ولكن فقط كعلاقة روحية بين الإنسان وخالقه** " إن الدين ضرورى لكل أمة ولكل فرد ، ولايمكن أن يعيش الانسان بلا دين ، لأنه مادام قد شرع يفكر فى الكون زمانا ومكانا فقد شرع يفكر فى الدين" ( المرجع السابق - ص ٣١).

ومادمنا نتحدث عن موقف سلامة موسى من الدين فلابد من إشارة إلى مقال له عن ويلز ، عنوانه " أديب ينشد ربه " يتحدث فيه عن **ضرورة الإيمان بالله** .. لكنه إله " لاوجود له من حيث المادة أو الفضاء ، لكن له وجود زمنى كوجود التيار الفكرى ، وهو ينمو بنمو الإنسان ، وينظر بأعيننا إلى هذا الكون ويعمل بأيدينا فيه ، وكل مالنا من حقائق ، وكل مالنا من قصد ، أو عمل عظيم ، يجمعها فى نفسه" ( مختارات سلامة موسى - ط٢ - ص٢٢ ).

*** الفابى اشتراكيا**

لكن الاشتراكية لم تزل تزهر فى عقله .. تفرض نفسها عليه .. وبرغم فابيته الواضحة التى تؤكد : " من الغلو أن نعتمد على الثورة الحاسمة التى تفصل بيننا وبين الماضى " ( المجلة الجديدة - ديسمبر ١٩٢٩). فانه يعلن اشتراكيته ومبكرا جداً .. فى عام ١٩١٣ ، إذ يصدر أول كتاب بالعربية يحمل عنوان " **الاشتراكية**" .

وربما كانت النزعة الفابية التى غلف بها دعوته الاشتراكية ناجمة عن علاقاته الأولى بالجمعية الفابية ، وربما كانت بسبب إحساس عميق بأن الفكر الاشتراكى بكل مايحمله من عقلانية وعلمانية وتحرير للعقل هو كثير جدا على المجتمع المصرى آنذاك ، ولعله يعبر عن ذلك صراحة إذ يقول فى مقدمة كتابه :" يدعونى إلى كتابة هذه الرسالة الوجيزة كثرة السخافات والغباوات التى تحكى عن الاشتراكية .. فغرضى الأول منها تنوير الرأى العام عن ماهيتها " ، ثم يؤكد " ولست طامعا أن تعد هذه الرسالة دعوة للجمهور إلى الاشتراكية ، ولا أ ن تكون سببا فى تأليف حزب أو جمعية ولكنى أطرحها أمام الجمهور القارئ عسى أن تكون خميرة تختمر بها الأفكار إلى حين تستعد البلاد للاشتراكية"( الاشتراكية . ط٢ - ص ٥ ).

وأكاد أعتقد أن الفابية لم تكن أصيلة فى معتقد **سلامة موسى** بقدر ماكانت فى اعتقاده مرحلة .. أو ضرورة مرحلية ..أو حتى ساترا، ولنا بعض الأدلة على ذلك.

فعندما جاءت ثورة يوليو وتصور **سلامة موسى** أنها تحمل رايات الحرية خلع عن نفسه رداء التستر وأعلن صراحة مالم يصرح به من قبل " ومع أنى فى كتاب " هؤلاء علمونى" قد ذكرت نحو عشرين من الأدباء والعلماء والمفكرين الذين وجهوا نشاطى الذهنى وربوا نفسى ، فإنى لم أذكر معهم **كارل ماركس** داعية الاشتراكية ، والآن أحب أن أعترف أنه ليس فى العالم من تأثرت به وتربيت عليه مثل **كارل ماركس** ، وإنما كنت أتفادى ذكر اسمه خشية الاتهام بالشيوعية " ثم يقول " ولو كنت قد وجدت الحرية أيام الحكومات الملوكية السابقة لألفت عن الاشتراكية بما كان يوجه ويرشد " ( تربية سلامة موسى - ص ٢٩٠).

وثمة قصة أخرى بالغة الدلالة يرويها عنه واحد من أصدقائه .." فى عودته من إحدى رحلاته إلى أوربا سنة ١٩٥٠ كان سلامة يقرأ كتاب **رأس المال لماركس** فى السفينة سراً وكان لقلقه وخوفه من التجسس والمطاردة يلقى فى البحر كل ورقة يقرأها بمجرد الانتهاء منها" ( محمود الشرقاوى - سلامة موسى ،

سلامة موسى شتاء ١٩٥٣



المفكر والإنسان - ص ٤٤٠ )

**الاشتراكى مناضلا**

لكن الأمر لم يكن كذلك دوما .. فهو واحد من أربعة وقعوا إعلان تأسيس **الحزب الاشتراكى المصرى** ( والذى نشر فى الأهرام ( ٢٩ أغسطس١٩٢١ ) ونقرأ فيه " فى تلك الآونة التى تعصف فيها النظم الرأسمالية الفردية بحياة بنى الإنسان وأرواحهم ، وعقولهم ، وجهودهم ، تبث النظم والمبادئ الاشتراكية فى الأفئدة المعذبة لإنجاد الانسانية وإغاثتها من بطش القوى الظالمة وتحقيق غايات العدالة الطبيعية" ونقرأ أيضا :" ولقد امتدت يد الاستعمار والأفتيات إلى مصر فاستلبت حريتها عملا بسياسة تلك النظم الرأسمالية سعيا إلى استثمار أرزاقها واستغلال جهود بنيها .. لذلك كان من الضرورى أن يمتد إلى تلك البلاد صراع المبادئ الاشتراكية العادلة للنظم الرأسمالية سعيا إلى تخفيف ظلمها وويلها الفادح .. وتحقيقا لتلك الغاية نهض إخوان العمل فى مصر لتأليف الحزب الاشتراكى " .

لكن سلامة موسى لايلبث أن ينسحب من الحزب لأنه يعتقد **" أن البلشفية كثيرة الآن على حزب مصرى "** ومحتجا على التأثر الواضح بتعليمات الكومنترن ومعلنا " :أراد مبتدئو الحركة فى مصر أن تكون صيغتها مصرية بحتة تتكيف بتكيف المزاج المصرى ولاتنقل عن أوربا نقلا ، كما أرادوا أن ينهجوا نهج الاعتدال والثقة فى خطتهم بحيث لايجد ولاة الأمور مجالا للتخوف أو الشدة فى سيرهم " ( الأهرام ٤-٣-١٩٢٣)

لكن سلامة موسى يظل يتحين الفرص ، بل ويخترعها كى ينفذ من ثقب الإبرة متحدثا عن الاشتراكية . وفى " المجلة الجديدة" يلجأ إلى حيلة شهيرة هى اصطناع رسائل .. ثم يرد عليها ، ونقرأ " " سؤال من القارئ «ع ج» الاسكندرية يسأل ماالفرق بين هذه الألفاظ الاشتراكية . الفابية . البولشفية . الشيوعية " ثم ينتهز الفرصة ليتحدث طويلا عن هذه الموضوعات ( المجلة الجديدة - ١-٨ - ١٩٣٠ ص ١٢٨٧).

ولم ينج سلامة موسى من هجوم متصاعد ضده بسبب اشتراكيته ، ويعلق فى المجلة الجديدة على كتاب صدر بغير توقيع يحمل عليه حملة شديدة ، ويقول : " وسألت عن كاتبه فى إدارة المطبوعات فعرفت أنه ابن أخ رشيد رضا الصحفى السورى المعروف ، الذى وفد على بلادنا كما تفد الطواعين وخص نفسه بشتم الشبان المصريين واتهامهم بالالحاد والشيوعية" وبعد أن يورد **سلامة موسى** نماذج من الشتائم التى كالها له الكاتب يقول: " وهكذا بحيث أنك تحتاج إلى أن تغسل يديك عقب قراءة هذا الكتاب ، وقد تناولنا هذا السورى السافل بتهمة الشيوعية والدعاية لها .. فوضع نفسه بالوضع الذى يستحقه ، وهو وضع الجاسوس " ( المجلة الجديدة - يوليو ١٩٣٠).

وينغمس سلامة موسى رغم ذلك فى نشاط فكرى جارف ونشاط عملى محموم .. فقد أسس " المجمع المصرى للثقافة العلمية" وأسس جمعية " المصرى للمصرى" التى تدعو إلى الاستقلال الاقتصادى " أيها الشباب المصريون كفوا عن معاملة الأجانب ، لايشتر أحد منكم شيئا إلا من صانع أو تاجر مصرى ، لأن بهذا وحده يمكننا أن نحقق استقلالنا " ( تقويم المصرى للمصرى - عام ١٩٣٢) ، وكان سلامة موسى يغضب كل يوم مرتين وهو يمر بشارع فؤاد ( ٢٦ يوليو) ذاهبا وعائدا من جمعية الشباب المسيحية من أن هذا الشريان التجارى الحيوى لايوجد به متجر مصرى واحد، واستطاع أن يقنع " بنك مصر" باقتتاح " شركة بيع المصنوعات المصرية " فى ذات الشارع وذلك بعد أن دفعت جمعية المصرى للمصرى تبرعا للبنك قيمته ألف جنيه ، تشجيعا له على فتح هذا المحل.

وفى عام ١٩٤٦ يقبض على سلامة موسى للمرة الأولى .. وبذات التهمة التى حاول أن يتحاشاها طويلا تهمة " الشيوعية" .. فى تلك الحملة التى شنها اسماعيل صدقى على كل القوى التقدمية المصرية .

*** ثم تأتى ثورة يوليو**

ويخيل لسلامة موسى أنه قد حقق بعضا مما أراد ،. ومما كافح من أجله ، ويطرب لطرد الملك ، وللإصرار على جلاء الانجليز وللإصلاح الزراعى .. فيتشجع ويعلن ماركسيته وتتلمذه على ماركس ، لكنه لم يلبث أن يفجع عندما يجرى اغتيال الديمقراطية وحرية التعبير وبرغم ذلك يواصل الكتابة ، محاولا كعادته دوما أن ينفذ من ثقب الإبرة . وتحت عناوين مثل " الأدب المرتبط ، جو الحب، ثلاث تهم توجه إلى سقراط ، عندما تزيد حياتنا حيوية . كان قادرا أن يودع فى كل منها بعضا من فيض فكره التقدمى المبدع .. وفى مقال له بعنوان " القرن العشرون يلغى القرون الماضية " نقرأ أمنيات حاسمة محددة " أن يلغى القرن العشرون لعنة الكد والكدح فى الإنتاج ، أن يلغى الاستعمار ، أن يعمم الاشتراكية ، ويعمم المبادئ الإنسانية " ( مختارات سلامة موسى . ص ٣٢٢ ).

ويظل القلم حياة سلامة موسى وعذابه ومحرابه وسجنه حتى آخر نفس ..

حتى يرحل ..وأحلامه الكبيرة لم تتحقق .

لكن كتاباته المبدعة تظل تراثا ثمينا للفكر المصرى .

## من إبداعات سلامة موسى

- مقدمة السوبرمان .
- الاشتراكية.
- أشهر الخطب ومشاهير الخطباء.
- الحب فى التاريخ .
- أحلام الفلاسفة .
- حرية الفكر وأبطالها فى التاريخ .
- أسرار النفس ، العقل الباطن.
- تاريخ الفنون ، وأشهر الصور.
- اليوم والغد.
- نظرية التطور وأصل الإنسان.
- قصص مختلفة.
- فى الحياة والأدب.
- ضبط التناسل ومنع الحمل( مع آخر).
- جيوبنا وجيوب الأجانب.
- غاندى والحركة الهندية.
- ماهى النهضة؟.
- مصر أصل الحضارة.
- الدنيا بعد ٣٠ سنة.
- التجديد فى الأدب الانجليزى الحديث.
- السيكولوجية فى حياتنا اليومية.
- حياتنا بعد الخمسين.
- البلاغة العصرية واللغة العربية.
- حرية العقل فى مصر.
- التثقيف الذاتى.
- عقلى وعقلك.
- تربية سلامة موسى.
- فن الحب والحياة.
- طريق المجد للشباب.
- محاولات سيكولوجية.
- هؤلاء علمونى.
- كتاب الثورات.
- الأدب للشعب.
- دراسات سيكولوجية.
- المرأة ليست لعبة الرجل.
- برنارد شو.
- أحاديث إلى الشباب.
- مشاعل على طريق الشباب.
- مقالات ممنوعة.
- الإنسان قمة التطور.
- افتحوا لها الباب ( مجموعة قصص قصيرة).
- الصحافة حرفة ورسالة.







# من أزمة السينما إلى سينما الأزمة (٣)

## من فوكوياما إلى يوسف شاهين وعادل إمام!

أحمد يوسف

ربما كان الدليل شديد الوضوح والإفصاح على انتصار أفلام " **سينما الأزمة** " التى صنعتها أزمة السينما المصرية الراهنة ، هو تلك المبالغة السائدة فى لغة الأغلب الأعم من التعليقات الصحفية على أهم الأفلام المعروضة خلال الأعوام القليلة الماضية ، حتى بات " النقد" فى معظم الأحوال يختلط بالدعاية المباشرة أو المستترة ، وأصبحت " **المعارك النقدية** " - أو هكذا تبدو - أقرب إلى **الحملات الإعلانية** التى تروج لسلعة ما على حساب السلع الأخرى ، بل إنك كثيراً ماترى بعض أصحاب الأقلام وهم يتحولون بين عشية وضحاها تحولاً مفاجئا من النقيض إلى النقيض ، فما كانوا يرفضونه منذ سنوات قلائل رفضاً قاطعاً أصبح اليوم عندهم يلقى بالغ الترحيب والحفاوة . لكن مايجعل الأزمة أكثر عمقا هو أن الأغلب الأعم من هذه الكتابات تكتفى فى العادة بإصدار الأحكام الانطباعية المتسرعة ، دون أن تهتم بأن تجعل القارئ أو المتفرج أكثر قدرة على تذوق الفيلم والاستمتاع به ، فكأنما الهدف الوحيد لها هو إثارة الانبهار لدى الجماهير.

إن أردت تفسيرا سهلاً ومباشراً لتلك الظاهرة فهو أن كثيراً من" **النجوم**" - الذين كانوا حتى وقت قريب يقتصرون على ميدان التمثيل ، فانضم لهم اليوم نجوم من عالم الاخراج وكتابة السيناريو ( ولماذا لا ونحن نعيش عصر النجوم فى كل المجالات ؟!) - قد تحولوا إلى **مؤسسات**" بالمعنى الحقيقى للكلمة ، فى عصر اختفت فيه المؤسسات الحقيقية أو تضاءل دورها ، بل إنه يمكنك فى كثير من الأحوال أن تشعر بأن الحماس المفرط عند بعض أصحاب الأقلام فى الإعجاب بأحد هؤلاء النجوم يعكس فى حقيقته نوعاً من" المصلحة" وليست هناك فى الإشارة لتلك الظاهرة أى ظل من الاتهام الأخلاقى ، فالاتهام الحقيقى يجب أن يوجه إلى السياق الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الذى أفرز هذه الظاهرة ، وجعلها أمراً عادياً سائداً ومألوفاً ، فى ظل ظروف صناعة السينما المتردية التى تزداد تردياً كل يوم ، سواء على مستوى " البيزنيس" الذى لا يترك فرصة إلا للنجوم وحدهم ، أو على مستوى الإبداع الفنى الذى يجد نفسه محاصراً بأكثر الاتهامات تخلفاً.

ليس غريباً إذن أن تقرأ كتابات صحفية ونقدية ، لكتاب لهم قيمتهم ووزنهم ، تشيد كل الاشادة بفيلم " **المهاجر**" **ليوسف شاهين** ، دون أن تشير ولو على نحو خافت للسلبيات الجمالية والفكرية التى لم يستطع الفيلم الإفلات منها ، فانتهى إلى أن يصبح نسخة متواضعة فى شكلها ومضمونها للأفلام الهوليودية التى تتناول موضوعات " شبه" تاريخية . ولتقارن تلك الحفاوة المفرطة بفيلم" المهاجر" بالرؤى النقدية المتأملة لأفلام يوسف شاهين السابقة ، فكأنما فقد معظم النقاد جرأتهم على الإشارة للجوانب السلبية - فى الأسلوب أو الفكر- وأصبحوا ينظرون إلى الفنان على أنه " عبقرى" فى كل مايفعل أو مايقول . على الجانب الآخر ، وإن لم تختلف ردود الأفعال المغالية فى تطرفها ، فإن أكثر أفلام **عادل إمام** شعبية خلال الثمانينات، والتى صنعت منه نجما جماهيرياً بحق ، كانت تثير استهجان ورفض العديد من النقاد ، الذين رأوا فيها تلاعباً بغرائز الجماهير ، لكن هاهو النجم الساطع قد أصبح عند هؤلاء النقاد أنفسهم " **زعيما**" فى كل مايقدمه من أفلام ، **فإذا صنع فيلماً عن الإرهاب بقدر غير قليل من السطحية وخفة المعالجة ، كان عليك أن تشيد به وإلا بدا الأمر وكأنك تمالئ الارهاب والارهابيين** (!) . أما إذا تحول النجم مرة أخرى إلى صنع فيلم متواضع من أفلام التسلية ، مثل فيلمه الأخير " **بخيت وعديلة**" ، فإنك سوف تجد المدافعين عنه يطلقون عليه لقب " **زعيم الغلابة** "(هكذا!) الذى يقدم للمطحونين وجبة من" الضحك" ، يسليهم بها عن همومهم . وربما إذا فكرت أن تلقى الضوء على سطحية الفيلم الذى لايختلف كثيراً عن أفلام الكوميديا الهوليودية الساذجة التى تنتمى إلى العشرينات ، فإنك سوف تجد نفسك هذه المرة متهما بأنك تريد أن تترك الغلابة لهمومهم

وأحزانهم!.

إننا لانذهب بعيداً إذا قلنا أن التفسير الأكثر عمقا لظاهرة الترويج الإعلامي والاعلاني لفيلمي " **المهاجر** و" **بخيت وعديلة**"- وليس في وضعهما في سياق واحد أي رغبة في الاستخفاف بأي منهما - لايكمن فقط في دور" النجم" - المؤسسة" ، وإنما هو في جوهره تفسير سيا سي ، بالمعنى الأرحب للكلمة ، ولعله التفسير الذي قد يلقي الضوء على جوهر الأزمة التي تضرب بجذورها في كل نواحي حياتنا ، وأرجو أن يجد القارئ في هذه السطور قدراً من الاقتراب من جوهر هذه الأزمة .

## الهروب من الزمان والمكان

قد لانستطيع أن نخمن بقدر كبير من الثقة كيف كان لفيلم مثل " **بخيت وعديلة** أن ينال مثل هذا الإطراء النقدي الذي قوبل به إذا كان قد ظهر للنور قبل سنوات ، أو بالأحرى قبل أن يتحول **عادل إمام** عند قطاع كبير من المثقفين إلى نجم يطلبون منه الفتوى في أمور السياسة والاقتصاد (!) ، لكن الفيلم - في الأغلب - كان سوف يوضع على المستوى النقدي في قاع السلة مع الأفلام الخفيفة أو الساذجة التي قدمها الممثل الكوميدي في بدايات حياته الفنية كنجم ، والتي لم يستطع معظم النقاد أن يتلمسوا فيها الحس الشعبي الذي صنع من **عادل إمام** بطلاً محبوباً عند الجماهير. لكن المفارقة التي تثير الدهشة والأسى هو أن أفلام **عادل إمام** الأولى التي تجاهلها النقاد كانت أكثر صدقا وتعبيرا عن الجماهير ، بالمقارنة مع فيلمه الأخير الذي حصد الكثير من الاشادة: " **بخيت وعديلة**.

ولعل أول مايبعث على الدهشة في هذا الفيلم أنه يكاد أن يخلو من الحس الشعبي، **فإنك لن تجد فيه إلا آثاراً باهتة من صعلوك عادل إمام التقليدي** ، الذي عرفناه أكثر اقتراباً على نحو ما من صعاليك وشطار الحكايات الشعبية، بل إن أفلامه الجماهيرية كانت تقترب أيضاً في حبكتها من أسلوب المقالب و" الملاعيب" الشهيرة في تلك الحكايات ، لكنك لن تجد للبطل هنا إلا **تنميطاً شديد السطحية لرجل بلا ملامح ، يعيش في عالم لاينتمي إلى زمان أو مكان** . كما أنك لن تبذل جهداً كبيراً لتتعرف في قصة الفيلم على آثار الاقتباس عن مصادر تنتمي إلى " الفودفيل " ، وهو الاقتباس الذي يجيده بقدر متفاوت من النجاح كاتب السيناريو **لينين الرملي** . كما أن الاخراج المدرسي **لنادر جلال** - الذي يميل إلى مدرسة الأفلام الهوليودية التجارية ، قد ساهم بدوره في مسخ الروح الشعبية أو مسخها ، فكأنك في النهاية ترى فيلماً كوميدياً أمريكياً من أفلام العشرينات التي لم يكن زمنها يتجاوز الدقائق العشر، لكنها أصبحت ساعتين ونصفاً مع الارتجالات التي أضافها عادل إمام.

دعك من الأسماء الغريبة التي يختارها الفيلم لأبطاله ، ليثير بعض الضحكات الفارغة الخشنة ، ولتحاول أن تبحث عن " الحدوتة" التي يحكيها لك الفيلم، فهاهو الكهربائي **بخيت حنيدق المهيطل** ( عادل إمام) يلتقي في عربة الدرجة الثالثة بالقطار مع المدرسة عديلة صندوق ( شيرين) ، ومن اللحظة الأولى يدب بينهما شجار ، لايستمد وجوده من أي ملامح درامية في رسم الشخصيات ، وإنما هدفه الوحيد هو خلق المزيد من المشاجرات والمشاحنات الكوميدية التي لاتنتهي بينهما . وبالمصادفة - التي سوف تتكرر كثيرا في الفيلم - يقف إلى جوارهما بالقطار زعيم العصابة ( **مصطفى متولي**) ، الذي استطاع لتوه أن يقضي على عصابة منافسة ويقتنص لنفسه حقيبة مليئة بآلاف الدولارات ، كما يقبع في جيب سحري بها كمية هائلة من السموم البيضاء ، لكن الرجل يضطر بسبب مطاردة الشرطة له إلى أن يضع الحقيبة وسط حقائب بخيت وعديلة ، وقد خطط لمطاردتهما حتى يحصل عليها مرة أخرى.

من تلك البداية تنطلق كل خيوط الفيلم التي تتباعد أحياناً ، وتتلاقى أحياناً ، فمن ناحية نجد بخيت وعديلة - القادمين من عالم الكتلة الهائلة الغارقة من أبناء هذا الوطن - تستحوذ عليهما فكرة الاستمتاع بالمال إلى درجة السفة والجنون ، حتى ينتهي بهما الأمر إلى الإفلاس على يد رجل الأعمال النصاب وجيه ( **عزت أبو عوف**) ، ثم يكتشفان المخدرات المختفية فيحاولان بيعها لكنهما يقعان في براثن نصاب جديد هو مدير البنك( **حسن حسني**) ، وفي اللحظة الأخيرة ، حين يعثر عليها زعيم العصابة ، في نفس اللحظة التي تصل فيها الشرطة ( كما ينبغي لك أن تتوقع مع مثل هذه الأفلام) ، فإنهما يكونان قد عادا إلى النقطة التي بدءا منها ، فقيرين معدمين ، لكن الفيلم لايفوت الفرصة في أن يلقي عليك حكمته الأثيرة ودرسه البليغ: " ليه ماحسناش بالسعادة لما كان معانا فلوس كتير؟ .. لأن حياتنا مالهاش أي معنى "!!.

### ابتذال الكوميديا" النظيفة"!

يقولون لك أن هذه " الحدوتة" قد عاد بها " زعيم الغلابة" إلى الضحك والكوميديا النظيفين ، وإن كان الفيلم يخلو منذ البداية من أهم شروط الكوميديا ، وهو ضرورة أن تحتوي الدراما على المفارقة التي تثير الضحك بقدر ماتثير الأسى - فهذه الحبكة ذاتها تصلح أن تكون مجرد فيلم من أفلام المطاردات والعصابات أكثر من انتمائها لعالم الكوميديا ، لذلك فإن الضحك الذي يمكن اضافته لهذه الحبكة سوف يكون **ضحكاً على" بخيت وعديلة ، من خلال سلسلة من المواقف شديدة الافتعال** ،

تتكرر بحذافيرها بين الآونة والأخرى ، وتكاد تنحصر فى ذلك الابتذال الذى يظهر به هذان القيران وقد تحولا إلى ثريين بين عشية وضحاها، أو فى العدوانية التى يكنها كل منهما للآخر ، ولاندرى لها سبباً إلا أن تكون مبرراً لدى صناع الفيلم لاختلاق مشاهد تبادل الكلمات والصفعات والركلات وتحطيم الأثاث وتقطيع الملابس.

وإنه يمكن لك بقدر قليل من التأمل ، وهو ما أشار إليه بالفعل بعض النقاد ، أن تكتشف كيف يسخر " زعيم الغلابة" من الفقراء والمطحونين ، ويدعوهم - رغم الأزمة الاقتصادية والسياسية الطاحنة التى تزيد من اتساع رقعة الفقر كل يوم - إلى التمسك بفقرهم والبحث فيه عن " معنى الحياة"(!). لكن أرجو أن يسمح لى القارئ بأن أطرح سؤالاً أكثر بساطة ، وهو إذا ماكان فيلم" بخيت وعديلة" فيلماً .. كوميدياً" يستحق كل تلك الإشادة والاطراء؟.

إن كان الضحك هو معيار النجاح ، فلست أدرى لماذا لانطبق المعيار ذاته على العشرات من المسرحيات المبتذلة التى يقف فيها الممثلون ليتبادلوا " القافية" أو النكات التى لاتختلف كثيرا عما يتفوه به الجالسون كى استرخاء حول الدخان الأزرق ، أما إذا كان المقصود كما يقول البعض هو الضحك " النظيف" فهل يمكنك أن تجد فى هذا المصطلح - الذى يبدو هو ذاته مجرد نكته - معيارا يفصل بين " النظافة" ونقيضها ، ولتبحث عن هذه النظافة فى مواقف اختلقها الفيلم اختلاقا - وربما كان مؤلفها الحقيقى هو **عادل إمام** نفسه - مثل جلوس بخيت وعديلة متجاورين خلف الحقيبة المفتوحة المكتظة بالدولارات ، وقد ارتسمت على وجهيهما علامات الدهشة والاستمتاع ، مما يجعل أم بخيت ( **هانم محمد**) تتخيل أنهما يتبادلان فعلا جنسيا فاضحاً ، أو عندما يتبادل البطلان الضرب المبرح فى إحدى غرف الفندق الذى نزلا فيه - ولامانع أيضاً من تقطيع الملابس أو الركل بين الفخذين - فتصدر عنهما تأوهات يتصورها مدير الفندق ( **يوسف داود** ) تعبيراً عن لذة الشبق الجنسى ، فيطيل استمتاعه باستراق السمع لصرخاتهما من خلف بباب الغرفة المغلق.

إلى جانب هذه **الكوميديا" النظيفة"** ، هناك العشرات من عبارات ونمر عادل إمام المأثورة التى أتى بها من أعماله السابقة ، مثل " إحنا ليلتنا بيضة والا حاجة؟" أو" يعنى فيه نسوان؟" ، أو الاستطراد فى الخطب الجوفاء التى يضع فيها الكلمات غير المترابطة جنباً إلى جنب، أو استمتاعه بضرب الكومبارس والممثلين المساعدين على أصداغهم ، ناهيك عن السخرية الغليظة عندما يغازل غانية لعوباً ، يقتنصها منه أحد السواح العرب ، فيعترض قائلاً:" ويبقولوا وحدة عربية قال"!.

ومن الحق القول أن كاتب السيناريو **لينين الرملى** قد أتى أيضا ببعض المواقف والشخصيات من مسرحيات أخرى له ، مثل إحدى لوحات" **تخاريف**" عن الفقير الذى أصابه الثراء فجأة فتحول إلى كائن شره يجد لذته فى التهام الطعام ، ومن اللوحة ذاتها اقتبس شخصية الشاب الفقير نزيه ( **أحمد راتب** ) خطيب عديلة ، الذى يبدى نزاهة صاخبة وهو يقف مدافعاً عن حبه ضد ثراء منافسه ، لكنه يتحول بدوره تحت اغراء المال إلى انتهازى يبحث عن ثمن التخلى عن هذا الحب.

## الضرب بالعصا المشقوقة

أين الكوميديا إذن فى " بخيت وعديلة" الذى احتشد بالنمر المختلقة لإضحاك الجماهير ؟ وربما بدا أن هناك نوعا من التناقض بين التحفظ الذى نبديه على انتماء " **بخيت وعديلة**" إلى جوهر الكوميديا وبين الاعتراف بضحك الجمهور على " بخيت وعديلة" ، **لكن أول شروط الكوميديا هو تلك الحالة من تعاطف المتفرج مع الشخصيات التى يراها** ، وهو مانفتقده تماماً مع أى من شخصيات الفيلم ، فحتى " **بخيل" موليير** يثير رغم ضحكاتنا منه قدرا من الشفقة عليه ، لأنه يجسد الحالة الانسانية التى تجمع بين الخير والشر ، أو بين الفضيلة والرذيلة ، لذلك فاننا نقترب منه لأنه يشبهنا على نحو ما ، كما أن ملامحه قد تميل إلى المبالغة الكاريكاتورية لكنها لاتفقد انسانيتها أبداً . على النقيض ، تحولت كل شخصيات " بخيت وعديلة" **إلى أنماط شديدة السذاجة والسطحية وبلا ملامح انسانية حقيقية** : زعيم العصابة القاسى ، مدير الفندق الانتهازى، مدير البنك المحتال ، رجل الأعمال النصاب ، الشرطى الأبله البدين ( **علاء ولى الدين**) ، سائق التاكسى المغلوب على أمره ( **محمد هنيدى**) ، مأمور الضرائب المتعنت ( **سعيد طرابيك**) ، ناهيك عن البطل والبطلة وأفراد عائلتيهما الغلاظ الأجلاف.

إن تلك الشخصيات شديدة النمطية هى ماتجعل فيلم" **بخيت وعديلة**" ينتمى كما سبق القول إلى أحد أنماط كوميديا سينما العشرينات ، والتى تعرف باسم" **كوميديا السلابستيك**" ، التى استمدت أسمها من العصا المشقوقة ذات الشرائح المتلاصقة ، وتصدر صوتا عاليا عندما يضرب أحد الممثلين ممثلاً آخر على مؤخرته ، فيضحك الجمهور بسبب الصوت الصاخب للعصا ، وهو الصوت الذى يوحى بفداحة الألم الذى يعانى منه الشخص المضروب ، وإنه ليمكنك أن تعد العديد من نمر **كوميديا " العصا المشقوقة"** التى احتشد بها فيلم" بخيت وعديلة" ، مثل تبادل قذف الطورطة على الوجوه النظيفة اللامعة ، وتقطيع الملابس المتأنقة ، وتحطيم الأثاث الفاخر والظهور فى بعض الأماكن بمظهر غير لائق ( مثل دخول **عادل إمام** إلى مطعم الفندق بمعطف أنيق وسروال قصير ، أو استكمال حفلة الزفاف ومايزال الصابون يغطى ذقنه ) ، وتبادل اطلاق الرصاص بطريقة هزلية تشبه أفلام الكارتون ، وغفلة الشرطة التى تجعلها أحياناً



تحرس مرتكبي الجريمة وتساعدهم على تنفيذها .من هذا "الأرشيف" الجاهز لكوميديا العصا المشترقة تأتي ضحكات الجمهور الذي رأى الفيلم ، لكنها ضحكات عابرة سرعان ماتنساها ، ربما لأن هذا النوع من الكوميديا يعتمد على القسوة والعنف والغلظة ، وربما لأن صناع فيلم "بخيت وعديلة" تناسوا أن تلك الكوميديا التي تعتمد على الحركة الخشنة كانت أكثر ملاءمة للسينما الصامتة ، لكن الأهم هو أنهم عجزوا عن إدراك السياق الاجتماعي الذي ظهرت فيه ، والذي أدركه البعض من فناني هوليوود خلال العشرينات فاستخدموا هذه الكوميديا العنيفة لمغازلة مشاعر الجماهير خلال الأزمة الاقتصادية الطاحنة ، فكان هدف الضحك هو أن يكون متنفساً للسخرية من سلوكيات البرجوازية وسياساتها وأخلاقياتها ، والتي جلبت البؤس على الطبقات الفقيرة ، بينما ترى في "بخيت وعديلة" أن السخرية كانت من هؤلاء الفقراء !.

لذلك كله ، فإننا لسنا ضد كوميديا العصا المشترقة ، إذ أنها رغم انتمائها لعشرينات السينما الصامتة ليست إلا المادة الخام التي يمكن تشكيلها عن طريق فنان يتمتع بالوعي الجمالي والسياسي بدلاً من أن ينزلق بها إلى مجرد " زغزغة" الجماهير ، ولنتذكر كيف استطاع شابلن أن يطورها وهو الذي خرج من عالمها ، كما خرج صعلوكه من معطف العديد من صعاليك ممثلين كوميديين سابقين عليه ، لكنه ابتعد به عن التنميط ، وجعله إنسانا متعدد الأبعاد ، يثير تعاطفك معه لاسخريتك منه ، لأنه يحمل بين جنباته شخصية مهذبة حالمة ، وإنسانا حقيقيا يبحث عن تحقيق ذاته في مجتمع فقد انسانيته ، من جانب آخر ، لاتجد شابلن يتخلى عن الحركات الخشنة لهذه الكوميديا ، لكنه يوظفها لتوصيل أفكاره إلى المتفرج . فإذا كان الصعلوك في" المهاجر" ( لشارلي شابلن وليس ليوسف شاهين !) يركل خلسة ضابط الجوازات الأمريكي : شلوتا" ، فلأنه ينتقم لنفسه من المصير البائس الذي انتهى إليه الحلم بالهجرة إلى أمريكا ، كما أنه في" العصر الحديث" يندفع بمفتاحه المعدني خلف امرأة شبكت زرارين فوق صدر فستانها ، لأنه يتصورهما مسمارين يحتاجان لربطهما ، بعد أن تحول في عمله خلال الساعات الطويلة بالمصنع إلى آلة فقدت انسانيتها ، فأنت لاتضحك هنا على آلية تصرفاته ، وإنما تأسى له بسبب هذه الآلية ذاتها.

## الأزمة الراهنة وإمكانيات المستقبل

إن أقسى مافي" **بخيت وعديلة**" هو أنه اقتبس حبكة فودفيل عارية، وبعض نمر كوميديا العصا المشترقة ، ليقدم فيلماً لاينتمي إلى زمان أو مكان ومع ذلك فإنه قد نال الكثير من الإعجاب لدى بعض النقاد لأن " زعيم الغلابة" أراد أن يعيد للجماهير المطحونة الابتسامة !.

لكن الأمر الأكثر قسوة هو أن تجد القطاع الأكبر من أصحاب الأقلام وقد تحولوا إلى موظفين في مؤسسة النجم ، بوعي كامل أو بقدر من الانزلاق المستسلم للوضع الراهن الذي يفرض سيطرة النجوم في كل المجالات ، وأرجو أن يكون واضحاً أن تلك الرؤية - أيا كان الحكم على صوابها أو خطأها - لاتنسحب أبداً على كل أصحاب الأقلام ، بل أنها تهدف إلى الإشارة إلى أن أكثر هؤلاء صدقا واستقلالية يبدون محاصرين ، بينما يتمتع أصحاب الصوت العالي بمكانة تضعهم في مكان القادة الثقافيين المؤثرين على عقول الجماهير!.

ومع ذلك فإنه يبقى أن هناك أزمة حقيقية يقف فيها المثقفون الجادون في مفترق الطرق ، وكأنهم يشعرون بأن صلتهم بالماضي القريب قد انقطعت ، ولاطريق واضحاً أمامهم للعبور نحو المستقبل ، فلم يبق لهم إلا تكريس مايرونه ايجابياً في الوضع الراهن ، حتى أنهم باتوا مضطرين للدخول في معارك استنزاف حقيقية ، تجعلهم يفقدون أحلامهم أو يتخلون عنها ، وهي الأحلام التي يبقى وجودها هو الأمل الوحيد في تجاوز زمن الهوان والضعف القومي ، وصياغة رؤية تستشرف آفاق المستقبل . وليست تلك الإشادة الجارفة بفيلم "المهاجر" وعبقرية صانعه ، أو الإطراء الزاعق لفيلم" بخيت وعديلة": وتنصيب بطله زعيما للغلابة ، إلا وجهين لعملة واحدة ، هي أن أزمة السينما قد خلقت سينما الأزمة ، **فإذا كان عليك أن تواجه مع " المهاجر" اتهامات متطرفة بالمروق والهرطقة فإنك سوف تجد نفسك مضطرا إلى الدفاع عن" المهاجر" بكل ماتملك من قوة ، لأنك تريد الدفاع عن حرية الإبداع ، دون أن تتاح لك الفرصة للتفكير المتأمل والهادئ في إيجابيات الفيلم وسلبياته ، كما كنت تفعل مع أفلام يوسف شاهين السابقة** ، وإذا كانت الصلة قد انقطعت بينك وبين الجماهير التي انحازت طويلاً لأفلام عادل إمام التي كنت تراها ساذجة ، فهاهو النجم قد انضم إلى موكب المثقفين في بعض القضايا العامة ، مما جعلهم يغضون الطرف عن الجانب السلبي في أفلامه.

وهكذا تمضي بنا ثقافة الأزمة إلى اختيار نجوم على مقاس مانحياه في الزمن الردئ ، وأرجو أن تبحث معي عما ينبغي علينا أن ننصح به الأجيال القادمة من السينمائيين الذين مايزالون براعم وليدة : **هل يصنعون سينما على طريقة يوسف شاهين ، بأن يجدوا لأنفسهم تمويلاً بملايين الدولارات ليقدموا أفلاما مبهرة بينما هي في حقيقتها تفتقد أصالة الشكل والمضمون ، أم يلجأون إلى صنع أفلام على طريقة عادل إمام ، تعتمد على النجومية الساطعة التي صاغها سياق اجتماعي مضطرب ، جعل من عادل امام زعيما لأننا نفتقر إلى أي مشروع قومي أيا كان تواضعه ، فكيف لهذا السياق أن يعثر على من يستحق أن يكون " الزعيم" ؟!.**

وقد يثير الأسى في النفس أن نتذكر فيما يشبه الحنين إلى الماضي بعضاً من البيانات الملتهبة التي كانت حتى منتصف السبعينات هي الصياغة الملائمة للأحلام الغائمة عند بعض السينمائيين المصريين الشبان ، الذين أصبحوا اليوم كهولاً ، فقد ترى بعضهم وقد تحول إلى صناعة أفلام بالمواصفات التجارية وإن حاول أن يضيف إليها بعض التوابل السياسية التي توحي بجديتها ، أو قد تشعر أن بعضهم قد فقد الاتجاه فأسقط من يده كل الرايات وأفرغ عقله من كل الأيديولوجيات ، حين بدا له السياق الراهن غامضاً ملتبساً ، لتبقى على السطح أفلام النجوم التي تبدو شديدة الابهار ( وهم يؤكدون على نجاحها دائما من خلال أرقام شباك التذاكر) ، لكنك إن تأملتها لاكتشفت أنها ليست إلا برهاناً مراوغاً على نظرية فوكوياما الساذجة عن" نهاية التاريخ" ، فكأن تاريخ السينما عندنا ينبغي عليه أن يعود من جديد إلى معايير النجاح بالمقاييس الهوليودية ، في نوع من الاستسلام " للنظام السينمائي العالمي الجديد"(!!) ، وهو الأمر الذي لايعبر أبداً عن صدق نظرية فوكوياما ، لكنه يشير إلى عمق الأزمة الراهنة ، التي تتطلب بالضرورة جهداً فائقا من مختلف قطاعات المثقفين لبلورة رؤية للمستقبل وشق الطريق نحو هذا المستقبل ، فلأنه ليست هناك للتاريخ أي نهاية ، **فإن من المؤكد أن أزمة السينما وسينما الأزمة يمكن تجاوزها ، ولعلنا نجد بصيص الأمل في أفلام تعكس قدراً من الوعي السياسي والجمالي الذي يملكه فنانون جادون مثل داود عبد السيد ومحمد خان.**

# برغم كل هذه الاغراءات نريد برامج حقيقية

ماجدة موريس

منذ أسبوعين.. صرحت سهير الاتربى رئيسة التليفزيون بأن الارسال سوف يمتد فى الدورة الصيفية التى تبدأ من أول يونيو إلى الثالثة والنصف صباحاً .. أى ارسال صيفى ترويجى عن الجماهير المكدودة.

وبعدها بأيام قليلة، اغرقت شركة الاخبار المصرية (CNE) الجرائد بإعلانها حول صفقة جديدة تجربها مع المشاهد وهى ١٢٠ فيلماً جديداً يراها من خلال قناة الافلام التى اضافتها لخدمتها مقابل ٨٠ جنيها اشتراك (فإذا حسبناها يتضح أن الفيلم يصل على المشاهد أو الأسرة بخمسة وسبعون قرشاً فقط!) وهذه الاعلانات جاءت بعد سلسلة اعلانات أخرى تطالب الناس ، بالحاح، بالاشتراك فى هذه الشركة المصرية الخاصة التى يشارك فيها الاعلام المصرى كشركة أجنبية للبث التليفزيونى .

المشكلة كما هى واضحة من نداءات الشركة المتقاربة والملحة أنه ليس هناك اقبال من المشاهدين المتوقعين لهذا البث «الصنف-الحكومى» لأن الشركة بدأت خدماتها منذ عام ١٩٩١ مع بداية الانفتاح على استيراد أجهزة الارسال الخاصة (الاطباق) وبيعها لكل من يرغب فى بث فضائى حر بعيد عن الرقابة.

ولقد بدأت الشركة نشاطها بالاعلان عن أكبر اغراء لفئتين من الناس ، المثقفون وأهل البزنس حيث أن القناة الأولى التى بدأت بها كانت قناة ال (C.N.N) الامريكية الاخبارية المستمرة بدون انقطاع ، ثم بعد فترة قصيرة لم يحقق الاشتراك فيها اقبالا ادخلت الشركة قناة الأوروبية الذائعة الصيت بين الشباب (MTV) ضمن الصفقة، ولما لم يتحقق لها ما أرادت من اقبال بدأت التنازلات من خلال خدمات اضافية بلا مقابل واعلانات ضخمة فى كل مكان وتتردد اشاعات متناثرة حول خسارة مالية كبرى لهذه الشركة وأن كانت بدون مستندات حتى اليوم. لكن المستند الأهم ربما كان هذا الاعلان الذى نشر يوم ١٧ مايو الماضى عن صفقة الافلام اياها والتى هى أرخص من احضار افلام من نوادى الفيديو يقف الفيلم بأثنين من الجنيهات فقط!.

والحقيقة أن المسألة بالطبع هى مسألة وقت ينتشر فيه اطباق (الدش) على نطاق واسع فيتاح للمشاهد أن يرى ما يراه بدون كونترول شركة الاخبار المصرية ، هذا اذا كان ممن يستطيعون الافلات من قبضة القنوات التلفيزيونية المحلية، أما من لا يستطيعون فقد اعلنت رئيسة التليفزيون فى تصريحها



سهير الأتربى

صفوت الشريف

فاتن حمامة .. وفيلم يوم مر .. يوم حلو

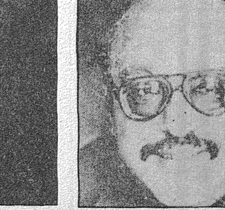
السابق ذكره الهجوم عليهم واطلاق ساعات الارسال لقنوات التليفزيون المصرية السبعة حتى قرب الفجر.

ولقد كانت خريطة عيد الأضحى المبارك فى أول مايو نوعاً من الاختبار لهذا المد التليفزيونى لم تنقطع فيه ساعات الإسال إلا نادراً، وتم بمقتضاه عرض ٣٤ فيلماً مصرياً منها ستة افلام جديدة ، أثنان منها لخيرى بشارة ،الأول يخص بشارة القديم وهو (يوم مر.. يوم حلو) ووهو فيلم اعترضت عليه الرقابة لمدة ٧ سنوات كاملة ثم عرض فى زحام العيد) والثانى لخيرى بشارة فى مرحلته الجديدة وهو (رغبة متوشحة) ومنها ايضا فيلم(مولد وصاحبه غايب) لأشهر مخرجى سينما المقاولات الآن ناصر حسين ، وفى القناة الثانية كان الامر قريب من هذا فقد عرضت ٨ أفلام أجنبية لأول مرة منها فيلم للنجم الهندى( أميتاب باتشان) الذى «تتبارك» به القناة الثانية فتقدم له فيلما كل عام فى نفس المناسبة ، وفى القنوات المحلية الاخرى كان عدد الافلام مقارباً لما عرضته القناة الأولى) وبين كل فيلم فقرات غنائية ومسرحيات التى يسمونها ضاحكة وفى الأمسيات اعادة لحفلات (ليالى التليفزيون الغنائية) ، وتلك كلها على ما يبدو هى مظاهر الخريطة الصيفية المنفتحة التى سوف ينافس بها التليفزيون المصرى القنوات الفضائية التى تسحب قطاعات من جمهوره تدريجيا.

ومن المؤسف أنه برغم كل هذه الفرفشة فان الامور اذا زادت عن حدها أنقلبت إلى الضد ، وهذا ما يشعر به قطاع عريض من الناس اليوم تجاه الشاشة الصغيرة ، فليس بالسينما والاغانى وفقرات الضحك وحدها يحيا الانسان وليس المطلوب هو رفع رايات النكتة، ولكن التوقف عند ما نحتاجه حقيقة من التليفزيون من أجل أن نحيا بشكل أفضل. ولعل أهم ما يراه أصحاب (الدش) الذين أقتنوه من أجل برامج أفضل هو **البرامج التسجيلية عن الناس والحضارات والشعوب والبيئات الطبيعية**، وهى برامج على أعلى درجة من الجمال والجاذبية والاهمية تشتهر بصنعها فرق من الفنيين المتخصصين فى تقديم هذه البرامج البيئية والعلمية ، وللأسف فإن هذه البرامج موجودة فى قناة المغرب الفضائية وفى قناة دبى أيضا بالطبع إلى جانب القنوات الخارجية ولكنها غير موجودة فى التليفزيون المصرى بل تتقلص ، ولننظرإلى رحلة برنامج يقدمان فى أضيق الحدود وفى أضيق الامكانيات بالاضافة لهذه البرامج هناك برامج التحقيقات الجماهيرية الحقيقية التى تستطلع آراء الناس ولاتصادر عليها ، وبرامج الثقافة الحقيقية وبرامج الحوار مع المسئولين الحقيقية، وبرامج الاطفال الحقيقية ، والبرامج السياسية التى تتيح مساحات واسعة للرأى والرأى الآخر ..وبحيث يدرك المشاهد أن لديه امكانيات الحديث فى السياسة وليس السماع عنها فقط وأن بمصر عدة أحزاب وليس الحزب الوطنى فقط.. وهناك البرامج النفسية والاجتماعية والاقتصادية الحقيقية ثم البرامج التى تواكب الاحداث كلها بلا تفرقة بين حدث ترضى عنه .

الحكومة وحدث لا ترضى عنه **أن الحل الوحيد لكى يصبح التليفزيون اداة فاعلة للتقدم فى بلادنا هو أن يصبح جهازا حقيقيا يخطط من أجل مجتمع متماسك ويدرك أن مناقشة كل الامور بحرية وفتح قنوات التعبير للجميع والبحث عن اساليب افادة الملايين التى تشاهده هو طريقة الوحيد للاستمرار لأن القنوات العربية الفضائية والمحلية لديها امكانيات أكبر منه تشترى بها الافلام والمسرحيات وحتى حوارات النجوم ولكن ليس لديها مساحات الحرية ولا الثروات البشرية التى تصنع الفن والثقافة ..**

خيرى بشارة



ممدوح الليثى







# ثقافة إسرائيل فى «إبداع»..

## دعاوى التطبيع وأبعاد المواجهة

**فريدة النقاش**

أصدرت مجلة "إبداع" ثلاثة أعداد متوالية "يناير - فبراير - مارس" ١٩٩٥ عن ثقافة إسرائيل دعاوى التطبيع وأبعاد المواجهة. خصصت العدد الأول للشعر والفن التشكيلى، والثانى للرواية والقصة القصيرة، والثالث للدراسات والعلوم الإنسانية - اليهود العرب - المسرح والسينما.

وتشكل الأعداد الثلاثة توثيقا شبه كامل للثقافة - اليهودية وثقافة الدولة الصهيونية، سواء تلك التى أنتجها اليهود فى البلاد الأصلية التى جاءوا منها قبل اغتصاب فلسطين، أو أنتجتها الأقلية اليهودية التى عاشت فى فلسطين أو ولدت فيها بعد إنشاء الدولة عام ١٩٤٨.

ويطرح الشاعر **أحمد عبد المعطى حجازى** رئيس التحرير مجموعة القضايا الأساسية التى ينشغل بها الفكر العربى حول ثقافة العدو فى افتتاحية العدد الأول خاصة والحوار دائر على أشده فى معظم الساحات العربية حول التطبيع.

وفى محاولته للإجابة عن سؤال الافتتاحية "**ثقافة أمة أم ثقافة أفراد؟**" قدم مجموعة من الافتراضات وترك الإجابة الأخيرة للأعداد نفسها والتى شارك فيها مايقرب من خمسين باحثا وأكاديميا ومترجما.

وكان أول وأخطر هذه الافتراضات "افترض أن اليهود نفوا جميعا عن فلسطين، وعاشوا ممزقين ألفى عام فى أقطار العالم القديم، أليست هذه القرون العشرون كافية لدمج اليهود فى غيرهم من الأمم؟.

أليست كافية على الأقل لتحويل الأمة الواحدة إلى جماعات عرقية وثقافية مختلفة؟.

ثم يضيف "إن التطبيع الحقيقى يبدأ من اندماج الإسرائيليين فى المنطقة، فإذا أصروا على أن يتعاملوا معنا كما كان يتعامل الأمريكيون مع الهنود الحمر، فالكلام عن التطبيع لغو وهراء، ولن يكون التطبيع فى مثل هذه الحالة، إلا خطوة فى طريق الإبادة، ولن يكون من ناحيتنا إلا إذعانا وتسليما لما يملونه هم علينا .. ".

ويقدم العدد الأول شهادة أربعة من المثقفين المصريين حول التطبيع.

فيكتب **محمود أمين العالم** عن "هذا التطبيع مع ماليس طبيعيا!" وإذا كان فى إسرائيل شئ متقدم فهو العلم والتكنولوجيا فى بعض المجالات، ولكن العلم والتكنولوجيا فى إسرائيل هى امتداد مباشر للعلم والتكنولوجيا الغربية دون أى خصوصية إسرائيلية، وخلاصة الأمر أنه ليس للثقافة الإسرائيلية أى قيمة كبيرة يخشى منها على الثقافة العربية ذات التراث التاريخى العريق فى الماضى، وذات الإبداع الراهن فى مجال الأدب والفن والفكر والثقافة عامة..".

**وإن فضح الحقيقة الصهيونية فى غير هوادة، وفضح محاولات تغييبها من جانب القوى الرجعية العربية قضية بالغة الأهمية فى التصدى للثقافة والأيديولوجية الصهيونية".**

ويضع "**صلاح فضل**" شروط العرب

للسلام على« النحو التالى " فان تنازل عن أطماعه التوسعية فعلا ، وبادل السلام بالأرض عن طواعية ، وكف عن إذلال الشعب الفلسطينى الضحية ، واعترف بحقه المشروع فى إقامة دولته المستقلة طبقا للأعراف الدولية على ترابه الوطنى ، واتخاذ القدس الشرقية - رمز دينه ومجده ومقدساته - عاصمة له ، وقبل تدمير أسلحة الفتك النووى التى يختزنها لإبادتنا ، أن رضى عمليا بكل ذلك فقد طوى صفحة الأمس ، وتجاوز حالة العداء ، واستحق أن نمد له يدنا بالتعاون .."

**أما إدوارد الخراط فيسأل سؤالا آخر .. هل معرفة العدو تعنى التطبيع معه؟**

**ويجيب أزعم مرقنا - بأن المعرفة - معرفة النفس ، ومعرفة العدو ، ومعرفة الذات ومعرفة الآخر ، ليس لها إلا نتيجة واحدة ، هى رفض التطبيع بأى شكل من أشكاله ..".**

ويرى" حسن طلب " " أن الثقافة - لحسن الحظ - هى الميدان الوحيد الذى لاتستطيع فيه المؤسسات الحكومية أن تدير عجلة التطبيع بقرار علوى يتجاهل صناع الثقافة ذاتها من الفنانين والمبدعين والمفكرين كما فعلت من قبل فى ميادين أخرى مثل الزراعة والسياحة والسلك الدبلوماسى وغيرها.

**ليس المثقفون موظفين عند أحد ، وليس هناك مايحكمه غير ضمائرهم الوطنية ، ولهذا انعقد إجماعهم تقريبا على موقف موحد رافض للتطبيع ..".**

" .. وربما كانت المواجهة الداخلية هى الأجدر بالتفاف المثقفين وتفانيهم فى التصدى لمحاولات تزييف الوعى ، وتغييب الحس الوطنى وتشويه الحقائق التاريخية وحماية الفساد وترويج الخرافة .

ان واجب المثقفين هنا هو الجهاد الأكبر ، بينما لاتمثل مواجهة الثقافة الإسرائيلية ذاتها ، إن كانت هناك مواجهة على الإطلاق ، إلا الجهاد الأصغر.."ويؤكد " أننا فى غير حاجة إلى وسيط عبرانى لكى نتلقى تأثير التيارات الحداثية المختلفة ".

كذلك " فإن التراث اليهودى يهمنا جميعا لأنه رافد حى من روافد الخيال البشرى ..".

وفى العدد الثالث جاء فى شهادة الدكتور " **لطفى عبد البديع** " " لكنهم لايريدون أن يكونوا كسائر البشر بل نسجوا من الأسطورة تاريخا ، وكان تاريخها من دعاوى الاضطهاد المختلفة بسبب التفوق الفعلى المزعوم الذى ليس عليه دليل..".

والعقلية اليهودية ، كما ذكر غير واحد من الباحثين عقلية تآمرية يساورها الخوف أينما ذهبت وحيثما حلت ، فهى أبدا مرتابة مذعورة تخشى الاضطهاد وكأنها ترغب فيه وتنادى عليه كما ينادى شيلوك قادحيه والساخرين منه ، وعندها القدرة بفضل عقدة الاضطهاد على أن تخلق الأعداء إذا لم تجد الأعداء ..".

وفى العدد الثالث يكتب الدكتور عبد الوهاب المسيرى عن الخصوصية اليهودية نموذج تفسيرى جديد .. ويتوصل إلى أنه ليس هناك مايسمى بالخصوصية اليهودية المعاصرة بعد أن كانت الثقافة العبرية القديمة التى تمتعت بقدر من الاستقلال داخل التشكيل الحضارى السامى فى الشرق الأوسط القديم قد أختفت ،وأكبر دليل على الاختفاء السريع للخصوصية هو ماحدث للكتلة البشرية الشرق أوروبية الضخمة من يهود اليديشية والتى كانت تشكل ٨٠٪ من يهود العالم ، فقد اختفت اليديشية أهم مظاهر هذه الخصوصية بسرعة غير عادية، ولم يعد هناك سوى بضعة جيوب وأفراد يتحدثونها وتعد تجربة المهاجرين اليهود مع الولايات المتحدة من أهم التجارب فى التخلص من الخصوصية " .

ويضيف :" **ولايمكن الحديث فى الوقت الحاضر عن أى خصوصية إسرائيلية ولكن حتى أن ظهرت مثل هذه الخصوصية فإنها لن تكون خصوصية يهودية عالمية وإنما خصوصية التجمع البشرى الإستيطانى فى الشرق الأوسط ..** ذلك المجتمع الذى يتحدث سكانه اللغة العبرية مع أنهم جاءوا من تشكيلات حضارية شتى ، وأحضروا معهم خصوصياتهم الحضارية المختلفة والواقع أن النزاع القائم بين الأرثوذكسى وغير الأرثوذكسى وبين الدينيين واللادينيين ، وبين السفارد والاشكيناز هو أكبر دليل على عدم وجود الخصوصية اليهودية العالمية أو العامة ..".

ويبن حسن طلب فى دراسته لاتجاهات الفلسفة اليهودية الحديثة من موسى مندلسون" إلى مارتن بوبز" " أن الخصوصية اليهودية لم تثبت على مستوى الفكر أمام معاول النقد الذاتى إلا إذا احتمت بالأساطير القومية والسياسية كما فعلت الصهيونية فى هذا العصر .

ويلاحظ الباحث " أن أغلب المفكرين اليهود من القرن التاسع عشر جنحوا إلى المواءمة بين اليهودية والحساسية الحديثة اعتمادا على المفاهيم العقلية التى أنضجتها الفلسفة الألمانية من "كانت" إلى": هيجل" وصبغت بها روح العصر .. حدث ذلك بعد أن كان سلطان العقل على كل ميادين الحقيقة لم يعد موضع جدال عند سبينزا .." وسبينوزا هو الفيلسوف اليهودى الأبرز فى القرن السابع عشر .



" وإذا كان سبينوزا قد استجاب لروح العصر بلا تردد فأصبح ابنا لعصره أكثر من كونه ابنا للتراث اليهودى ، فإن فلاسفة اليهود فى القرنين التاليين (الثامن عشر والتاسع عشر) سيكونون فى الغالب كذلك ..".

وتبقى مقدمة حسن طلب لبحثه دالة للغاية حين قال:

" **ولاتختلف الفلسفة اليهودية فى الملامح العامة لتاريخها الطويل عن أية فلسفة دينية أخرى ، خاصة الفلسفة المسيحية والفلسفة الاسلامية . إن كل سيرة فكرية لأى من الأديان الثلاثة السماوية ستطلعنا بلا شك على تيارات متناظرة فيها من المحافظة مايصل إلى حد الجمود ! ومن التحرر ماقد يصل إلى الهرطقة والإلحاد ، فضلا عن التيارات الأخرى التى تتوسط.**

واستخلصت الباحثة" **سوزان السعيد يوسف** " أن الفولكلور اليهودى هو مزيج من آداب وفنون ومعتقدات مختلفة للشعوب التى عاش بينها اليهود ، وكانوا جزءا منها ، ولكن هذه العناصر المستعارة طوعت وفقا للظروف التاريخية والسياسية التى عاش اليهود فى ظلها..".

وكما أثرت الفلسفة العربية الإسلامية تأثيرا عميقا على الفلسفة اليهودية فقد تابع الباحث " **محمد جلاء ادريس**" التأثير العربى والإسلامى فى الأدب العبرى المعاصر فاتضحت له حقيقتان تمثلتا فى مصادر التأثير العربى الإسلامى وتحديد مظاهره.

أما مصادره فهى البيئة الفلسطينية العربية ، والمهاجرون اليهود العرب وشهرة الأدباء العرب وعالميتهم ، أما مظاهره فقد وجدناها فى استخدام الألفاظ العربية والصيغ اللغوية العربية أيضا ، وكذلك وجدناها فى تأثير الأدب العربى الكلاسيكى والمعاصر ، كما وقفنا عى آثار واضحة للمفاهيم الإسلامية بالاضافة إلى العادات والتقاليد العربية ، وإستخدام الأمثال الشعبية العربية بصورة ملحوظة .

ويكتب الناقد الإسرائيلى العراقى الأصل " **ساسون سوميخ**" عن مساهمة اليهود المصريين فى الثقافة العربية الحديثة، من" **يعقوب صنوع**" الصحفى ورجل المسرح ، **ومراد فرج** الشاعر وواضع المعاجم **وداود حسنى** الموسيقى ، **وتوجو مزراحى** السينمائى ونشاط الأخرين هرارى فى مجال الطباعة والنشر أصحاب مجلة الكاتب المصرى التى رأس تحريرها **طه حسين** ، ويقدم الناقد سيرة شاملة لحياة وأعمال **مراد فرج** النثرية والشعرية " التى تجد فيها إشارات متكررة إلى الأخوة العربية اليهودية والأخوة الإسلامية اليهودية ، أخوة مصدرها وحدة الأصول التاريخية وتشابه التقاليد وقرابة اللغة ، وحتى أكثر تلك القصائد صراحة فى نزوعها الصهيونى ، تحركها رغبة الشاعر أن يقنع مواطنيه المصريين بعدالة وشرعية الآمال القومية اليهودية..".

ويختتم الناقد مقالته بتسجيل حقيقة " **أن غالبية المؤلفين المصريين اليهود قد اتجهوا إلى الكتابة بلغات أخرى** ..".

وعن يهود العراق وإسهامهم فى الرواية الإسرائيلية يبين لنا " **شهاب الكردى**" " **أن تناول المعاناة التى تعرض لها اليهود الشرقيون بعد هجرتهم لإسرائيل " لم يظهر إلا متأخرا فى الأدب الإسرائيلى وبصورة تحاشى النقاد الإسرائيليون إبرازها أو التعرض لها على طريقة " إقتله بالإهمال )..**".

ويتابع الباحث أعمال الأدباء من أصل عراقى سواء الذين يكتبون بالعبرية أو بالعربية أو كليهما.

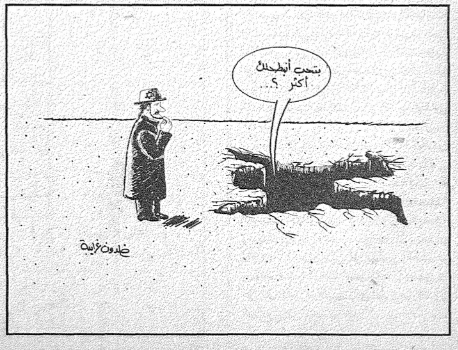
ويقول الروائى **سامى ميخائيل** الذى هاجر إلى فلسطين قادما من العراق سنة ١٩٤٩ " **كلما كنت أزداد غوصا فى اللغة العربية كنت أدرك أننى أتحول إلى نبتة غريبة فى إسرائيل وكان الحاضر الذى فصل بينى وبين اليهود( فى إسرائيل ) يرتفع ويعلو لقد صارت اللغة حدودا صلبة وراسخة..**".

ويتابع الباحث " **محمد حسن عبد الخالق** صورة يهود اليمن فى أدب " **حييم هزاز**" وهو مهاجر يهودى من أوكرانيا صور حياة اليهود اليمنيين فى القدس الذين تعرضوا للتفرقة العنصرية شأن كل السفارديم( اليهود الشرقيون) وكان هو نفسه صهيونيا متعصبا.

" قدم لنا نفسه فى صورة بطل قصته يعيش ، ومن خلال بطله هذا عرض لنا كل ماخطر بباله فى مجال هداية جميع اليهود إلى الطريق الذى يراه مؤديا إلى تخليصهم مما يعانونه على أيدى مجتمعات الأغيار" التى يعيشون فيها ، وخاطب الأغيار ( العرب والمسلمون) وصب جام غضبه عليهم ..

وتدرس الباحثة **سناء عبد اللطيف صبرى** " العلاقة بين اليهود والعرب فى أدب الأطفال العبرى فى إسرائيل مع ترجمة قصة من ذلك الأدب تدعى " يوزيك" ، وتتبع رحلة البحث عن أسس للسلام والتخلص من القناعات الثابتة عن العربى الذى بدلا من " المخرب" أصبح " ذا « الشارب » والذى يعنى الفدائى.

وعن المسرح العبرى والصراع الطائفى فى إسرائيل يتوصل الباحث " **محمد محمود أبو عزيز** " إلى أن الصراع بين اليهود



الشرقيين والغربيين فى إسرائيل قائم ومستمر بما يؤكد فشل الحركة الصهيونية فى توفير الحل الفعلى لمشاكل اليهود ، وأن المجتمع الذى قيل عنه أنه سيكون بوتقة تصهر فيها جميع الطوائف اليهودية لم يستطع التغلب على الصراع الطائفى بين اليهود فى إسرائيل ، أو كما ذكر بعض اليهود من أن المجتمع اليهودى فى إسرائيل يحوى فى داخله قنبلة زمنية خطرة يمكن أن تنفجر فى أى لحظة ، وهى قنبلة الفجوة الطائفية.

وعن صورة اليهود الشرقيين فى السينما الإسرائيلية يوضح الناقد أرى أجهون الكيفية التى عرضت بها السينما الإسرائيلية صورة هؤلاء المواطنين من الدرجة الثانية وعذاباتهم.

" واليهود والعرب فى السينما الإسرائيلية هى مقالة الناقد السينمائى فوزى سليمان الذى يكشف عن مداخل ورؤى مختلفة لدى السينمائيين الإسرائيليين للعرب أو الأغيار".

فماذا تقول النصوص الأدبية التى اختارتها إبداع من قصائد وقصص قصيرة وملخصات روايات ومذكرات ؟! سوف تطالعنا بصورة واضحة للغاية مجموعة من القضايا الرئيسية بشأن التناقض بين الواقع والمثال الخوف والاضطهاد فى أوساط اليهود الشرقيين ، إنتظار الكارثة ، الرعب الدفين ، النزوع الأصولى للاحتماء بالدين ، تضارب الحدود والثقافات التى جاء منها الأبطال، الصراع الداخلى المشوه الذى يمزق الروح الإنسانى ، الفجوة بين الطوائف وبين الحلم والواقع، الخذلان ، انكشاف الفكرة الصهيونية كخدعة كبيرة ، الهوس الدينى، التباس الهوية ، الحب ، الكره ، الصورة التى يريدونها للعرب والصورة الواقعية للعرب.

وبعد فإن هذا العرض - الذى كان لابد أن يختار من المادة العينية المتنوعة للأعداد الثلاثة - لم يوفها حقها ، فهناك ذلك السجال بين الناقد الفلسطينى فيصل دراج والروائى والسياسى إميل حبيبى الذى يثير مجموعة من الأسئلة أهمها على الإطلاق سؤال التسوية وأى تسوية؟ وهناك رد الكاتبة الإسرائيلية " شولميت هارابين" على مقالة كتبها الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى فى الأهرام بعنوان " هنا عرب لاهنود حمر" فتقول الكاتبة " هنا إسرائيليون لاصليبيون" والقراءة المتأنية لردها سوف تكشف لنا بعمق عن حقيقة معسكر السلام الإسرائيلى ورؤيته للقضية المركزية للعرب وهى قضية فلسطين حين تتحدث الكاتبة عن الأراضى المحتلة تسميها " المناطق " ولاتصفها بالمحتلة ، وقراءة المسكوت عنه فى ردها تبين لنا النزوع الصهيونى التوراتى الأصيل الذى يرى فى أرض فلسطين حقا لليهود ، ويدعو أنصار السلام بحكم نزعة إنسانية أو رفض للحرب إلى الاعتراف ببعض حقوق للسكان وليس حقهم فى الأرض من ضمن هذه الحقوق.

* * *

سوف نجد أنفسنا بعد قراءة هذه الأعداد الثلاثة وقد أيقنا - عن علم - أن ثقافة إسرائيل هى ثقافة مجموعات ، وأن المجتمع الإسرائيلى يتحدد بأنه مجتمع طبقى - عنصرى - أبوى استيطانى، وأن الصهيونية التى قدمها دعاتها كيوتوبيا وأيديولوجية تحرر لكل يهود العالم ليست سوى خرافة عنصرية أو غطاء وهمى للاستيطان والعنف والتمييز حتى وإن كان النظام العالمى الجديد قد نجح فى شطب صفتها العنصرية من مقررات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وتبقى الحاجة ملحة بعد هذه الأعداد الثلاثة لعدد رابع تخصصه إبداع للرؤية المادية للقضية اليهودية وبشكل خاص رؤية " كارل ماركس" فى كتابه عن المسألة اليهودية وهى - كما يلخصها الباحث الأردنى ناهض حتر - :

" لقد طوع ماركس بالبناء الضبابى للخرافات اليهودية ، حين رفض تفسير الظاهرة اليهودية بالديانة اليهودية وطقوسها أو بالعرق اليهودى المزعوم ، أو بالنزعة اليهودية الإيمانية الوحدانية .. الخ وإنما بالوضع الاجتماعى لليهودى الواقعى فى التاريخ اليهودى هو شيلوك الشكسبيرى رجل العلاقات النقدية الرأسمالية فى العهود ماقبل الرأسمالية .. كان شيلوك المذموم أخلاقيا من وجهة نظر المجتمع المسيحى ضروريا ، مع ذلك - وبسبب ذلك - لهذا المجتمع الذى لم يكن تنظيمه الاجتماعى الثقافى يسمح لأبنائه بامتهان تجارة المال ، بينما كان هو بحاجة الى من يقوم بها ، فأحالها الى شيلوك هذا هو الأساس فى بقاء اليهودية فى التاريخ ، وليس تعلق اليهودى بإيمانه الوحدانى ولإرادة الرب ، وعندما تحولت أوروبا الغربية إلى الرأسمالية ، عندها وفقا لتعبير ماركس تهودت المسيحية ، ولم يعد اليهودى ضروريا . هنا نشأت المسألة اليهودية من وجود يهود فعليين خلفهم المجتمع الإقطاعى ولم يعد المجتمع الرأسمالى بحاجة إليهم واقترح ماركس حلا بسيطا لهذه المشكلة ، حلا تفاؤليا فى الواقع ، وهو تخلى اليهودى عن يهوديته فى إطار الثورة الإشتراكية الكفيلة وحدها بإلغاء اليهودية لأول مرة فى التاريخ ..".

أليس فى مشروع الشرق أوسطية الذى ستهيمن عليه إسرائيل وكيلا عن الرأسمالية العالمية لتصبح البنك الأكبر والصراف والمرابى الأكبر فى المنطقة أليس فى هذا المشروع تجسيدا لليهودية الشيلوكية التى يصبح التخلص منها وتجاوزها مهمة للاشتراكيين والذين دعاهم المفكر الشهيد " مهدى عامل" لممارسة الصراع الوطنى ضد الصهيونية باعتباره صراعا طبقيا ، إذ أن الطريق للتخلص من المشروع الصهيونى ينفتح أمامنا بالتخلص من الرأسمالية .

ولعلنا فى هذا الطرح نجد إجابة أوضح لما سماه الشاعر حسن طلب بالجهاد الأكبر الذى لايعنى سوى العمل من أجل تغيير واقعنا العربى وتجاوز مأزقه الراهن.

# الحرب العربية على جبهة العفاريت

حتى العام الماضى ، كانت الحرب العربية على جبهة العفاريت- طبقا لتقارير مجلس الأمن-حرباً محدودة، والمناقشات معقولة ، والمخاطر فى اطار نسبة الأمان المعترف بها تاريخيا ودوليا، فعلى مدى تاريخ المرض، كان هناك دائماً ، مرضى بأمراض غامضة أو مستعصية ، يعجز الأطباء عن تشخيصها أو علاجها ، فيغلب على ظن المصابين بها، أنهم ممسوسون أو ملبوسون أو محسودون وأن العفاريت هم سبب ما يعانونه من آلام!.

وعلى مدى تاريخ الطب كان هناك دائما فريق من الشطّار ، يشيعون عن أنفسهم القدرة على علاج تلك الأمراض بالرقى والتعاويذ، ويستغلون حالة الضجر من المرض، واليأس من الشفاء لإيهام هؤلاء المرضى التعساء بأنهم مطلعون على سرّ بعض آيات الكتب المقدسة ، قادرون على استخدامها فى قهر العفاريت وتأديب الجان، إلى أن ينجح الأطباء فى اكتشاف الأسباب الحقيقية التى تنجم عنها تلك الأمراض، ويتوصلون إلى الدواء الحقيقى الذى يقضى عليها، فيضحك الناس من أنفسهم، وممن سبقهم، وهو ما فعلوه عندما اكتشفوا ان الميكروبات والفيروسات- لا العفاريت- هى التى تسبب أمراضاً كانت غامضة وعصيّة على العلاج منذ نصف قرن مثل الانفلونزا والدرن والطاعون والكوليرا والتيفوس والملاريا ، فأصبحوا يلجأون-لعلاجها- إلى الأطباء والصيادلة ، بدلاً من قاهرى العفاريت والعطارين، ويداوونها بالاسبرين والكينين والبنسلين والاستربتومايسين بدلا من الزعفران والجاوى واللبان الذكر وبودرة العفريت.. فبارت تجارة قاهرى العفاريت، واعتزل معظمهم العمل.

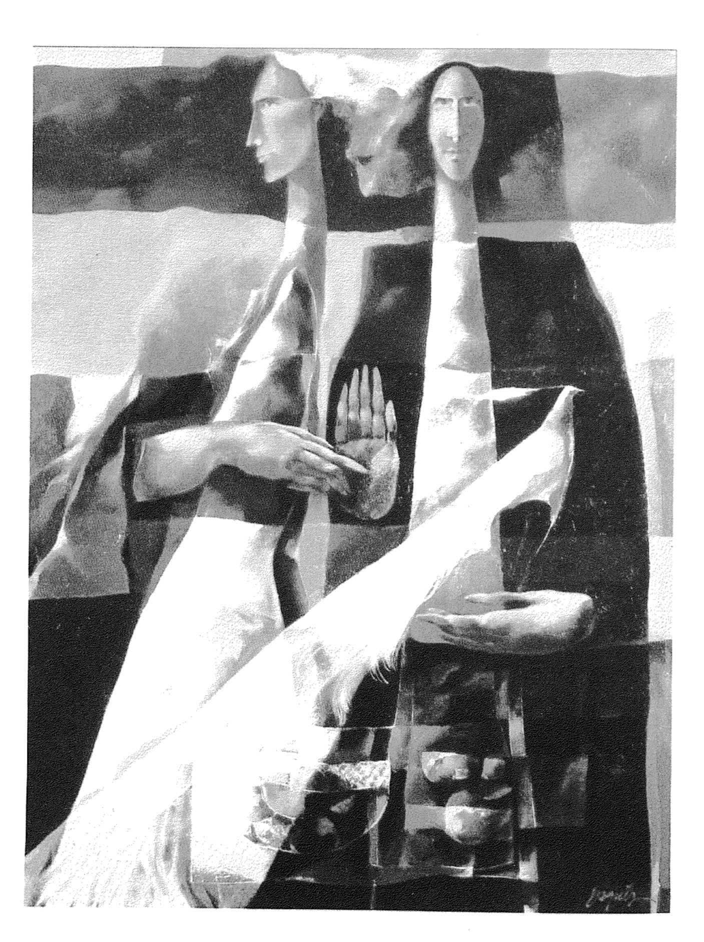
وفجأة ولأسباب تبدو غامضة ، وعصيّة على الفهم، عاد قاهرو العفاريت للظهور على خريطة الأمة العربية ، وتزايدت أعدادهم تدريجيا ، وتزايدت-كذلك -أعداد الممسوسين والملبوسين والمحسودين والمعمول لهم عمل شرير، ممن يلجأون اليهم لشفائهم من أمراضهم الغامضة والعصية على الشفاء ، التى فشل الأطباء فى مداواتها، حتى أصبحت «عيادة» الواحد منهم- وهى عيادة مظلمة فى بيت ريفى تتصاعد فى اجوائها سحابات دخان البخور تستقبل يومياً آلافا من المرضى ،من مختلف المستويات والمقامات من بينهم فلاحون فقراء ومليارديريون أثرياء، وعمال مغمورون وفنانون مشهورون، وموظفون صغار ومسئولون كبار ، بل ومن بينهم -كذلك- عدد من الأطباء والمهندسين ، يشدون الرحال إلى مراكز قهر العفاريت بالسيارات والبواخر والقطارات، ويأتون من المحيط إلى الخليج ، بل أن بعض هؤلاء المرضى ، ممن تحول ظروفهم الخاصة أو العامة ، بينهم وبين الانتقال إلى تلك المصحات، يضعون تحت أمرة أولئك الدكاترة المعفرتين ، طائرات خاصة تنقلهم اليهم، وفى أيديهم حقائبهم الطبية التى تحتوى على الزعفران الأحمر والبباريخ وحبّة البركة والكسبرة والزنجبيل والجلنجات وبذر الكتان وراس الهدهد اليتيم وكبد الدجاجة الأرملة!.

وكالعادة اتفق العرب فى رصد الظاهرة واختلفوا فى تشخيص أسبابها، فكل الشواهد تدل على أن هناك زيادة كبيرة فى أعداد المصابين بأمراض عجز الطب عن معالجتها، بعضها نفسى مثل الصرع والاكتئاب والحزن والأرق والقلق والانطواء والانعزال والصدود والشرود والحسد والعجز الجنسى ، وبعضها اجتماعى مثل العنوسة والعزوف عن الزواج وكثرة الطلاق ، والثالث عضوى مثل الفشل الكلوى والسرطانات والايدز والتهاب الكبد، وفى تشخيص ذلك قال علماء النفس والاجتماع أنه عرض من أعراض الانتقال بشكل مفاجئ وسريع من مجتمعات ريفية أو بدوية بسيطة وعلى الفطرة، إلى مجتمعات مدينية مركبة ومعقدة ، وما صاحب ذلك من اختلال فى القيم وانقلاب فى العادات وتخبط انماط السلوك .. وقال علماء الايكولوجى أن السبب هو تلوث مصادر المياة والغذاء بالنفايات الكيماوية والنووية، وتلوث الهواء بالأدخنة والأشعة الذرية والفلورينات وانخرام غلاف الاوزون المحيط بالكرة الأرضية.. وقال علماء الشيشة أن السبب فى ذلك كله هو العفاريت والجان الشرير الذى يقتحم جسم الانسان ، منذ شهور ، وأعلن الدكتور الشيخ «مجدى» قاهر العفاريت الشهير- ان تحت إمرته مليارين من الجن ، يستطيعون شفاء جميع الامراض، على رأسهم عفريت ابن جنيه اسمه الملك «منجاوز» يستطيع شفاء الايدز فى دقيقتين.

المضحك فى الأمر ، أن قاهرى العفاريت هؤلاء نجحوا فى جرجرة علماء الدين و الأطباء ، وعلماء النفس إلى أراضيهم ، فقبلوا الدخول فى مناظرة معهم، مع انه لا جديد فيما يقولونه أو يفعلونه ، فإذا كان صحيحاً أنهم ينجحون فى علاج بعض الحالات، فان كل الشواهد تدل على أنها حالات نفسية من النوع الذى يفيد فى علاجه الايحاء ، طالما ان المريض يثق فى معالجه، أما المخيف فى الأمر فهو إصرارهم على ضرب المرضى بالعصى، وصفعهم على وجوههم، بزعم أن الجان الشرير لا يخرج من أجسادهم الا اذا ضرب ضرباً مبرحاً ، مما انتهى إلى مقتل ٣٨ من المرضى تحت العلاج خلال العام الماضى وحده.

أما الغريب فى الأمر ، فهو حالة الصدود التى جعلت علماء الاجتماع السياسى يعزفون عن محاولة تفسير الظاهرة ، مع أن مفتاح السرّ بين ايديهم ، فليس صدفة ان تنتشر حالات الاكتئاب والاحباط والحزن والأرق والشرود بين أرجاء الأمة، خلال السنوات التى فصلت بين توقيع اتفاقية كامب ديفيد ، واتفاقيات كامب أوسلو، ونتيجة للسياسات التى أشعلت حرب الخليج الأولى والثانية ، فأفقدت العرب طموحهم ، و قضت على ثقتهم فى أنفسهم ، وأعادت كل منهم إلى نفسه ينطوى عليها، حتى أصبحوا أمة ممسوسة ملبوسة ، فى حاجة إلى من يضربها علقه، لكى تفيق مما هى فيه، فلا تدخل القرن الواحد والعشرين ، وهى تتطوح قائلة: «شيخ محضر .. يا شيخ محضر.. اللى عليه عفريت يحضر» ، إذ المؤكد أنها لو فعلت ذلك، فسوف ينهال عليها الجميع ضرباً .. حتى تقطع النفس!.

صلاح عيسى



للفنان الأسبانى «باكيس»



- وئام – للفنانة نيرة برج